

جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم ٧٣٥

The Electronic
War in the
Middle East
1968-70



EDGAR O BALLANCE

الحرب الإلكترونية في الشرق الأوسط

تأليف: ادجار أوبالانس

جمهورية مصر العربية
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة رقم ٧٣٥

الحرب الإلكترونية في الشرق الأوسط

١٩٦٨ - ١٩٧٠

تأليف
أدجارو بلانيس

شكر وعرفان

لقد حصلت على معظم المعلومات التي استعنت بها في هذا الكتاب خلال أحاديثي ، ومناقشاتي ، وزياراتي لجبهات المعركة وغيرها ..

وأود أن أتجه بالشكر بوجه خاص الى دينيس جرين لشرحه علم الالكترونات .. كما أنني وجدت عوناً كبيراً في تاريخ تسلسل الأحداث كما جاءت فيما نشرته صحيفة « الشرق الأوسط الجديد » تحت عنوان « ماذا حدث » ، كما أنني مدين أيضاً لهذه الصحيفة لترجمتها للخطب والوثائق العبرية والعربية .. هذا ، وأود أن أذكر بالشكر والعرفان مؤلفي وجامعي وناشري المؤلفات التالية التي قرأتها أو رجعت إليها فأفدت منها واستمعت بها :

محمد حسنين هيكل : « جمال عبد الناصر » - دار النشر « دابلداي »
نيويورك (١٩٧٢) .

جين : « الطائرات في كل العالم » .

جين : أنظمة السلاح .

كينزنج : المحفوظات المعاصرة .

معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن : التوازن العسكري

معهد الدراسات الاستراتيجية بلندن : الدراسة الاستراتيجية .

مقدمة :

تعتبر حرب الاستنزاف التي شنها الرئيس عبد الناصر واستمرت ثلاث سنوات منذ يولية ١٩٦٧ حتى اغسطس ١٩٧٠ أول حرب الكترونية في التاريخ ، وفيها تقاتلت دولتان عظيميان هما أمريكا والاتحاد السوفيتي ولكن بطريق غير مباشر ، وقامت كلتاها في مواجهة الأخرى باختبار أسلحتها الحديثة المتطورة والأسلحة المضادة (وان كان القتال في المقام الأول بين الاسرائيليين والمصريين) . وأخذ « الصيف الالكتروني للحرب » يبدو وكأنه قصة علمية خيالية فقد كانت الطائرات فيها تروغ وتنحرف للأفلات من الصواريخ ، بينما يحاول كل من الخصمين أن تكون له الغلبة والتفوق على الآخر ، حيث كان يتزود باطراد ببراعم الوسائل الالكترونية المضاد ومهمات الكشف بالرادار ، وفي هذا الميدان البالغ التخصص حرصت على أن أجعل المصطلحات الفنية الخاصة بالرادار والتوجيه بالرادار والتشويش والمحاورة مبسطة جدا حتى في شرحها كي يتسنى للقارئ العادي ذى الدراية العلمية المحدودة أن يدرك ما كان يحدث آنذاك .

لابد أن هذه الحرب العلمية تبدو في عين من بهرته وكأنها حرب سحر وشعوذة حيث كانت الالكترونيات في أوج نشاطها .

وأوضحنا أنه اذا كانت المهمات تحتاج في تشغيلها الى «أسلاك» كالمفتاح الكهربائي والاضاءة الكهربائية ، فانها مهمات كهربائية - أما اذا تم تشغيلها « بدون أسلاك » فهي « الكترونية » . وربما كان هذا فراط في التبسيط ، ولكنه قد يكون كافيا . ولعل العقل ذو التركيب الفنى يريد المزيد من التفاصيل الدقيقة ، ولكن على أى حال لايزال الكثير من جوانب هذا الموضوع محظورا ، ومن ثم لن يكون من السهل اشباع رغبة السائلين تماما .

قد يقول البعض ان الحرب في فيتنام كانت حربا « الكترونية » ولكنها لم تكن كذلك تماما ، حيث اشتركت فيا قوات برية ضخمة . ولعبت الالكترونيات دورا طفيفا فقط وخاصة على جانب شمال فيتنام وفييت كونج ، ولكن الحرب لم تدر من حولهما ، بينما فوق قناة السويس وفي المراحل الأخيرة كانت الالكترونيات هي التي تسيطر على الحرب . ففي الحرب الالكترونية لم تتصادم القوات البرية الرئيسية (ولو أنه كانت هناك غارات كثيرة من جانب الكوماندو في كلا الجانبين) اذ وقفت قناة السويس حائلا بينهما ، ومن ثم كان دورها ثانويا الى حد ما .

لقد كانت أيضا حرب دعاية ، وحرب بيانات ، حيث كان من المستحيل التوفيق بين مزاعم وادعاءات المتحاربين . كان الاسرائيليون أكثر دقة

وصدقا ، فكانوا يختارون في اعلانهم عن الأرقام ما يثبتون به نقطة معينة أو يدفعون بها بالحجة نقطة معينة بينما كان المصريون يبالغون الى أبعد مدى في ادعاءاتهم مما قضى على معظم ما كان لهم من رصيد ثقة بأقوالهم . وقد حاولت أن أزيح جانباً أقنعه الدعاية الثقيلة ، ومن المحتمل جدا أن يكون ما روته هنا هو ما حدث فعلا . ولم يكرس كل من الاسرائيليين والمصريين على السواء اهتمامهم الصادق ومواردهم للحرب . وكان الرئيس عبد الناصر ، وهو أول مصري يحكم مصر منذ نيف وألفى سنة مشغولا بمحاولة توحيد العرب ، أو على الأقل بتوحيد أكثر ما يمكن منهم تحت لوائه ، ولكن التواءهم وتعتهم استنفزا الكثير من وقته وطاقته ، ثم كان الصراع بينه وبين الفدائيين . وأن الانسان ليدهن الى حد ما من أن يبان قد ساقه الى الحرب الالكترونية التي كان يخشاها كثيرا اعتقادا منه بأن الأمريكيين قد يبرزون الروس ، وكذلك الاسرائيليون منهمكين في جبهات أخرى ، ومع الفدائيين أيضا .

كان الموقف غير مألوف في التاريخ ، فالعرب المهزومون لا يريدون أن يجلسوا على مائدة التفاوض مع الاسرائيليين كما جرت العادة مع المنتصر والمهزوم ، بل تجاهلوا ببساطة مجرد وجود الاسرائيليين . . . وهناك حقيقة أخرى لم تتأكد عموما ، وهي أن المصريين قد واجهوا مشكلة ضخمة ، وهي وجود ما يقرب من السبع مائة وخمسين ألفا بلا مأوى ، أي ما يقرب من ثلاثة أرباع الفلسطينيين ، ولكن لم يتخذ منهم مأرب سياسى كالفلسطينيين ، وكان من السهل أن تمتصهم البلاد وأن يندمجوا ضمن الملايين الذين تزدهم بهم مصر .

وجاء وقف اطلاق النار في لحظة حيوية ، عندما كان الطرفان يستعدان « للحملة الأخيرة » التي كان كل منهما يعتقد أنه سيكسبها . . . لقد تم ابعاد السلاح الجوي الاسرائيلي عن سماء مصر بعد أن كان يحلق فوقها بحرية لشهور طويلة ، وأصبح لا يستطيع أن يغامر الا بالكاد بالتحليق على بعد ثلاثين كيلو مترا غربى القناة . . . وبالرغم من ثقة الاسرائيليين ، فانه ما كان لهم أن يتفوقوا كما كانوا يتوقعون ، اللهم الا اذا كان في جعبتهم ما يخفونه من الكترونيات مضادة .

وبينما يتمتع الطيارون الاسرائيليون ، عن جدارة ، بسمعة حسنة من ناحية المهارة والشجاعة ، فإن هذه الصفات ان وجدت في المصريين كسأنت غالبا موضع التجامل ، ولكن يجدر بنا أن نذكر أن الطيارين المصريين المهزومين ، وعديمي الخبرة ، كانوا دائما يهجمون على الطائرات الاسرائيلية رغم الأضرار والخسائر ، وأن رجال المدفعية في مواقعهم بطول القناة كانوا يتشبثون بمدافعهم بالرغم من الهجمات المستمرة من جانب الطائرات أو المدفعية ، وأن الرجال الذين كانوا يعملون في احتياج شديد لاصلاح قواعد

الصواريخ سام التي دمرت ليلا ، قد اظهروا شجاعة ومثابرة واصراراً منقطع النظير . . . وهناك نقطة أخرى طالما اغفلت ، وهي أن القوات المصرية الخاصة « الكوماندو » كانت صلبة عنيدة وحسنة التدريب ، وكان نشاطها يشير قلق الاسرائيليين الى أبعد الحدود .

وعند طبع هذا الكتاب نشبت الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل وأخذت تتطور ، ومن ثم فإن هذا التقرير سيعتبر بمثابة المقدمة لصراع الكتروني أكثر تقدما .

ادجار أوبالانس

١ - كتب البقاء للرئيس عبد الناصر

« الآن وقد انتهت الحرب ، تبدأ المتاعب »

موشى ديان

من الخطأ أن يقال إن المصريين ، شأن بقية العرب ، قد صدقوا من جراء الهزيمة القاجاة وغير المتوقعة التي ألزها بهم الاسرائيليون في الحرب الثلاثة القصيرة بين العرب واسرائيل التي استمرت من الخامس الى العاشر من يونيو عام ١٩٦٧ والتي يعرفها الاسرائيليون باسم « حرب الايام الستة » ، ويسمونها العرب « حرب يونيو » . . . حقا لقد كان هناك وعد للمصريين لم يشكروا فيه اطلاقا بأن النصر سيكون حليفهم ، ولم تكن تخطر على بالهم فكرة التمرق الحارق او ورطة ، كما انهم لم يتصوروا انهم سيتعرضون لكارثة وعزيمة كاملة . وحجبت الرقابة الصارمة والدعاية الانباء السيئة عن الشعب ، الفى بدأ يشعر فقط وبصورة مبهمه ان الامور لا تسير على ما يرام منذ اليوم الثالث من الحرب ، أى فى السابع من يونيو ، عندما أوقعت افاعة القاهرة البلاغات الحربية المثيرة واستبدلتها بتلاوة من القرآن .

وفى الثامن من يونيو كانت الطواير الاسرائيلية المدرعة تشق طريقها سرعيا عبر صحراء سيناء واقتربت من قناة السويس حيث كان المصريون فى انسحاب كامل . . . وعندئذ أدرك كبار القادة المصريين تماما كيف أصبح الموقف ميؤوسا منه . وفى مساء ذلك اليوم اجتمع الرئيس عبد الناصر ببعض كبار الضباط ومن بينهم المشير عبد الحكيم عامر ، نائب القائد الأعلى (وكان عبد الناصر هو القائد الأعلى للقوات المسلحة) وقادة الجيش والطيران والبحرية ، وغيرهم من ضباط أركان حرب . . . وخلال مناقشات ومجادلات كثيرة ألح كبار ضباط على عبد الناصر أن يستقيل ، ولكنه صدهم ، وأنهى المؤتمر بقوله انه سيفكر فى الأمر وأنه سيذيع على الشعب بيانا فى اليوم التالي .

وسرعان ما وصل الاسرائيليون الى الشاطئ الشرقى لقناة السويس عند عدة نقاط ، وفى الساعات الاولى من التاسع من يونيو بدأ تنفيذ وقف إطلاق النار ، وأصبحت قناة السويس « فى الواقع » ، هى الحد الفاصل بين الجيشين المتحاربين . وكان معظم السلاح الجوى المصرى قد دمر فى ساعات قليلة ، وهزم الجيش المصرى فى سيناء وكان مؤلفا من تسعين ألف رجل ، وتم صده فى أربعة أيام ، وخسر فى هذه العملية فعلا معظم أسلحته وعربات ومهمات الحديثة التي كان الاتحاد السوفيتى قد زوده بها مؤخرا .

وفي التاسع من يونيو ألقى الرئيس عبد الناصر خطاباً استثنائياً ، المعروف وذلك من طريق التليفزيون ، وفيه أعلن : أن إسرائيل قد وجهت ضربة أقوى مما كنا نتوقع . . . واستطرد يقول : لا يمكن أن نخفي عمل أنفسنا حقيقة أننا قد منينا بنكسة خطيرة في الأيام القليلة الماضية . . . عمل على استعداد لتحمل المسؤولية كاملة . . . وقد قررت أن أتنحى عن كل منصب رسمي ومن كل دور سياسي وأن أعود إلى صفوف الشعب . . . وعين خليفة له رئيس الوزراء السابق زكريا محيي الدين صديق العمر ، ورفيق من الضباط الثيبان الذين أطاحوا بالملك فاروق في عام ١٩٥٢ . وفي نفس اليوم استقال الكثير عامر ، وكذلك شمس بدران ، وزير الدفاع .

وكان رد الفعل المباشر : لخطاب التنحي ، أن احتشد الآلاف من أبناء الشعب ، والكثير منهم في بكاء ، في شوارع القاهرة والمدن المصرية الأخرى وهم يهتفون معلنين تأييدهم لعبد الناصر ويطالبونه بأن يبقى رئيساً للدولة . . . وفي مساء ذلك اليوم ، أصدر مجلس الأمة الذي لم تكن لديه فكرة عن فداحة الكارثة أكثر مما كان لدى الشعب ، أصدر قراراً أطالب فيه الرئيس عبد الناصر بالبقاء رئيساً للدولة . ولم يتضح الموقف إلا عندما عاد الأحياء في غير نظام من سيناء وعاد أيضاً أسرى الحرب . ولم تقدر الأمة المصرية المدى الشامل للتهزيمة تقديراً تاماً بفضل الدعاية الماهرة والرقابة . وقامت مؤسسات ومنظمات عديدة ، بما فيها القوات المسلحة وقسم الشباب في الاتحاد الاشتراكي العربي (وهو الحزب السياسي الوحيد المسموح به) وكثيرون من الشخصيات البارزة ، بتوجيه نداءات إلى عبد الناصر لكي يبقى . . . ووجه زكريا محيي الدين نفسه إذاعة مقتضبة أعلن فيها أنه لا يمكنه أن يقبل الرئاسة وأن الرجل الوحيد الذي يجب أن يقود مصر هو جمال عبد الناصر فكان هذا حسماً للأمر ، وفي اليوم التالي ، العاشر من يونيو أعلن عبد الناصر قراره بالبقاء في منصبه «أزاء تصميم الشعب على رفض استقالتي» . . . وشك المعلقون الآخرون في تلقائية المظاهرات الموالية لعبد الناصر ، ورأى البعض أنها كانت مخططاً سياسياً مدبراً وأخيراً مسرحياً وإثارة للشاعر . . . ولكن لم يظهر حتى الآن أي دليل مقنع يؤكد هذا التلميح . . . ولا يمكن إنكار أنه في تلك اللحظات من الجهالة كانت شعبية عبد الناصر قد بلغت ذروتها لدى الجموع .

وما إن استقر للرئيس عبد الناصر مركز السيطرة والسلطة حتى شرع في القضاء على أية معارضة ممكنة من جانب القوات المسلحة المهزومة الموجودة والتي قد توجه إليه اللوم على هذه الكارثة وتحاول إقصاءه عن السلطة . وفي الحادي عشر من يونيو انقلب على كبار الضباط الذين كانوا نصحوه قبل أربعة أيام بالاستقالة ، وفصل ثمانية منهم بما فيهم الفريق محسن مرتجي القائد السابق للقوات المصرية في سيناء وأمير البحار سليمان عزت ، قائد البحرية ، أما الآخرون فهم بعض اللواءات في المراكز الرئيسية ، كما أنه فصل أيضاً أحمد سعيد المدير بالإذاعة .

وعين الفريق محمد فوزي ، رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة ، في منصب القائد العام للقوات المسلحة خلفاً للمشير عامر .

وكان عبد الناصر يعتبره كفواً ولكن ليس على قدر كبير من الدهاء السياسي . . . وبهذا التعيين ألقى منصب المشير السابق كنائب للقائد الأعلى . . . وعاد الفريق عبد المنعم رياض لقوة بعد هزيمته في الأردن ليصبح رئيساً لهيئة أركان حرب القوات المسلحة ، كما عين أمير البحر فؤاد زكي قائداً للبحرية . . . وهم جميعاً من أوفى المؤيدين لعبد الناصر كانوا قادرين على إحباط أي عصيان مسلح محتمل من جانب الضباط المتدمرين . واستهدفت عمليات الفصل داخل القوات المسلحة ، ومعاينة من أخفقوا في المعركة .

وفي التاسع عشر من يونيو ، شكل الرئيس عبد الناصر حكومة جديدة برئاسة برناسته ، كما تولى في نفس الوقت منصب السكرتير العام للاتحاد الاشتراكي العربي . . . وهكذا أمسك إلى جانب الرئاسة المراكز الثلاثة الكبرى في مصر ، وأصبحت السلطات السياسية والعسكرية والتنفيذية في قبضة يده . . . ومن المؤكد أن عبد الناصر قد كتب له القيام سياسياً . وعين محمد عبد الوهاب البشري وزيراً للدفاع والانتاج الحربي ، ولكنه استبدل بعد شهر أي في الحادي والعشرين من بولية بأمين هويدي وكان سفيراً وضابطاً سابقاً بالجيش .

ومن ناحية أخرى كان الموقف العسكري من أسوأ ما يكون . لقد تحطم الجزء الرئيسي من القوات المسلحة المصرية ، بما في ذلك خسارة ثلثي طائراتها المقاتلة التي كانت تقدر بأربعمئة وخمسين طائرة ، وحوالي الثمانمائة من دباباتها التي كانت تبلغ ألف دبابة ، وكل المهام التي كانت قد نقلتها إلى سيناء ، وبددت فرقتان مدرعتان وخمس فرق مشاة واثنتان عشرة وحدة مدفعية ، ولم تعد ذات فاعلية وأصبح كل ما تبقى لمصر فرقة مدرعة تحت التكوين ، واثنتي عشرة وحدة كوماندو صغيرة ، وبضعة مراكز تدريب ، وفصائل إدارية . والوحدة العسكرية المنظمة الوحيدة كانت هي القوة المصرية الصغيرة الموجودة بعيداً في اليمن ، وقد انخفض تعدادها إلى ما يقرب من خمسة عشر ألف رجل ، حيث أعيد لواءان منها إلى مصر ويقدران بخمسة آلاف جندي ، فقد تم استدعاؤهما عندما نشبت حرب يونيو . . . لقد كانت لإسرائيل السيطرة التامة في الجو ، وكانت مصر على حافة انهيار عسكري ، ولم يكن هناك ما يحول دون عبور الإسرائيليين لقناة السويس والزحف إلى القاهرة وقد قال عبد الناصر فيما بعد : «لم يكن لدينا دفاع على الضفة الغربية من القناة ولم يقف جندي واحد بين العدو والعاصمة» . . . فقد كان الطريق إلى القاهرة مفتوحاً . . . وكان المأزق المصري شبيهاً بالمأزق البريطاني في دنكرك .

ولما كانت مصر قد خسرت تلك الكميات الضخمة من السلاح والمهمات السوفيتية ، فقد ساور الحكومة المصرية الشك فيما إذا كان السوفييت في صرامتهم قد يبعثون إلى مصر بأي معدات أخرى .

ونظرا لما كان هناك من نفور سابق من مصر ازاء حكومات أمريكا وبريطانيا وفرنسا ، كان هناك ياس من هذه الحكومات ، ولو انه لم يستمر طويلا . . . ومع ذلك فليس في هذه النقطة ما يدعو الى القلق . ففي الثامن عشر من يونيه صرح وزير خارجية الكويت في اجتماع وزراء الخارجية العرب في الكويت ان الحكومة السوفيتية وعدت بومدين خلال زيارته الاخيرة لموسكو بتعويض كل خسائر العرب في حرب يونيه . . . وكان من دواعي الدهشة لدى الجميع ما تأكد من صدق هذا الوعد . ففي العشرين من يونيه ، أي بعد أكثر من أسبوع منذ انتهاء حرب يونيه ، ظهر في القاهرة المارشال زخاروف ، رئيس أركان حرب الاتحاد السوفيتي ، وفي صحبته بعثة عسكرية سوفيتية كبيرة . . . والى جانب زيارتين قصيرتين لسوريا ، مكث في القاهرة أسبوعين .

ولكن الأمر الذي كان أكثر إثارة هو أن بودجورني ، رئيس الاتحاد السوفيتي وصل الى القاهرة في اليوم التالي ، أي في الحادي والعشرين من يونيه ، حيث قضى ثلاثة أيام في محادثات مع عبد الناصر .

وبالرغم من أن بودجورني كان يشعر بالقلق ازاء ما خسرت مصر من عتاد في حرب يونيه ، والاستخفاف الصارخ من جانب المصريين ازاء نصائح السوفييت فيما يتعلق بالاستراتيجية والتدريب والتكتيك ، فإن بودجورني اختار مساندة عبد الناصر أكثر من مساندته لأي زعيم عربي آخر ، حيث أن الاتحاد السوفيتي كان يسعى الى التغلغل ومد نفوذه في الشرق الاوسط وأفريقيا .

وأكد بودجورني علانية تأييده لمصر ضد إسرائيل ، وذلك بموافقته على تقديم المساعدات المالية والاقتصادية والعسكرية ، ولكنه في هذه المرة اتجهت نية الاتحاد السوفيتي لأن يكون له اشراف أكثر دقة وتحكما على الاسلحة التي يبعث بها الى مصر . ونسب بعد ذلك الى بودجورني قوله : « سنحتفظ في أيدينا وفي كل مكان بمفتاح الاسلحة التي سنعطئها لهم (١) » . وفي العاشر من يولييه ألق أسطول سوفيتي الى مينائي بور سعيد والاسكندرية تأكيدا لمساندة السوفييت لعبد الناصر ، وللمساعدة في ردع الاسرائيليين اذا كان هناك ما يفريهم بالتقدم غربا .

كانت مهمة المارشال زخاروف تحديد كمية العتاد اللازم للدفاع المباشر عن مصر وتدمير شحنه اليها ، ووجود بعثة عسكرية سوفيتية مقيمة تساعد المصريين على استيعاب هذا العتاد والاشراف على استخدامه .

وفي الخامس والعشرين من يونيه وصلت الى مطار غربى القاهرة أول شحنة من الاسلحة عن طريق الجو ، وتلتها شحنات أخرى على فترات قصيرة ومستمرة . وخلال أسبوعين مبطت مصر مائتا طائرة نقل سوفيتية حيث أفرغت المهمات التي كانت في صناديقها ، ومعظمها ذات طابع دفاعي ، مثل مدافع الهاون وبنادق الميدان والطائرات المقاتلة . . . وكان من ضمن هذا العتاد عدد قليل من قاذفات القنابل والمدافع البعيدة المدى .

وامتدادت مصر المعدات الحربية التي كانت لا تزال مغلقة في الصناديق والتي كانت قد سارعت بتخزينها في اليمن خلال حرب يونيه حتى تكون في مأمن (٢) . وخلال أشهر الصيف وصلت الى الموانئ المصرية أسبوعيا على الأقل سفينتا شحن سوفيتية لتفريغ مهمات عسكرية . . . ومن المسلم به عامة أنه حتى منتصف أكتوبر كان قد تم استعواض ستين في المائة من خسائر مصر في حرب يونيه .

وقد أثار قرار إعادة تسليح مصر دهشة الكثيرين ، ولكنه فزع الاسرائيليين خاصة ، حيث لاحظت مدى السرعة والفاعلية التي تم بها ذلك .

وهكذا أخذ يسير برنامج إعادة التسليح ، وأصبح عبد الناصر واثقا من نفسه ، فأخذ يلهو بشن الهجوم المضلل في اليمن . ففي أثناء حرب يونيه ألح الملكيون ، الذين كانوا يحاربون الجمهوريين الذين تساندتهم مصر ، أن يسحب عبد الناصر قوة جيشه الصغيرة ليستخدمها في حربه ضد الاسرائيليين بدلا من استخدامها ضد الملكيين ، مؤكدين انه لو فعل ذلك فانهم لن يهاجموا الجمهوريين في غيبة هذه القوات . . . ولكن عبد الناصر لم يرد عليهم ، بل قامت الطائرات المصرية في الخامس والسادس من يونيه ، أي في اليومين الاولين من حرب يونيه ، بقصف الملكيين تحذيرا لهم كي يلزموا حدودهم . . . وشعر الملكيون الذين يتمتعون بمساندة السعودية بجرح كبريائهم فبدوا هجوما حقق بعض النجاح . وما أن انتهت حرب يونيه ، وأفاق عبد الناصر من خوفه ، وعادت الاسلحة السوفيتية تتدفق على مصر من جديد ، حتى تم تعزيز الحامية المصرية الى أن بلغ تعدادها خمسة وعشرين ألف رجل . تساندتهم الطائرات والمدفعية والمصفحات وتساعدت العمليات ، ونجحت في استعادة معظم الاراضي التي كان الملكيون قد استولوا عليها .

كانت قناة السويس عاملا له أهميته الاستراتيجية الكبيرة . وبسبب التدخل المزعوم من جانب أمريكا وانجلترا في حرب يونيه ، أغلق عبد الناصر القناة رسميا في وجه سفن هاتين الدولتين وتلك التي تتعامل معهما .

والواقع أنها كانت غير صالحة للملاحة بالنسبة للجميع خلال حرب يونيه بسبب تفوق الطيران الاسرائيلي ونشاطه . وفي الحادي عشر أعلن رئيس هيئة قناة السويس أن القناة قد أغلقت حيث أن الاسرائيليين أغرقوا عدة مراكب فيها ولكنه رفض الافصاح عن أسماء هذه المراكب وجنسياتها . وواقع الأمر أن القناة أغلقت عمدا بناء على أوامر عبد الناصر ، حيث كانت هناك سفينتان « شبه غارقين » ، وهما من سفن الحجاج المصرية ، حمولة الواحدة منها ثمانية آلاف طن ، وذلك جنوبى بور سعيد ، كذلك كان هناك حوضان عائمان « نصف غارقين » ، وكانا مملوئين بالأسمنت بين الاسماعيلية والبحيرات المرة الكبرى ، ومركب صهريج مصرية حمولة خمسة آلاف طن ، وكانت تسد مدخل القناة جزئيا بالقرب من ميناء السويس (٢) . . . والى جانب ذلك ، كانت هناك خمس عشرة سفينة أجنبية ، منها أربعة بريطانية ،

وأصبحت « حبيسة » في البحيرات المرة الكبرى ، ولكن تم اجلاء معظم ملاحيتها على يد المصريين بمجرد انتهاء حرب يونية ولم يبق على ظهرها سوى عدد قليل من طاقمها .

وكان البترول أيضا عاملا استراتيجيا ذا أهمية كبرى . ففي السادس من يونية فرضت دول البترول العربية حظرا على كل مبيعات البترول الى بريطانيا وأمريكا ، وظل هذا الحظر قائما حتى بعد حرب يونية ، ولكن ما كادت تمر بضعة أيام حتى بدأت تلك الدول تشعر بالضييق الاقتصادي . . وكانت السعودية أول من أبدى تذمره ، وكان ذلك في الثلاثين من يولية عندما سلم وزير البترول السعودي في مؤتمر صحفي بأن الحظر قد أثر باقتصاد بلاده التي خسرت أحد عشر مليون جنيه في أربعة وعشرين يوما . . وفي نفس اليوم قالت إحدى الصحف الكويتية ان الالتزامات بتنفيذ هذا الحظر قد تسبب في هبوط داخل الحكومة بنسبة أربعين في المائة . وفي السابع من يولية صدر بيان للحكومة السعودية أعلنت فيه أنه لم يعد هناك داع للاستمرار في حظر توريد البترول الى أمريكا وبريطانيا حيث قد ثبت الآن أنه لم يكن لهما دخل في حرب يونية . . وأضاف البيان بطريقة لاذعة ان الدول العربية ليس هي المصدر الوحيد للبترول في العالم . . ومع ذلك استمر الحظر قائما ، ويرجع ذلك بوجه خاص الى الضغط من جانب سوريا والجزائر .

في الثاني عشر من يونية ، عندما أعلنت تونس تضامنها مع مصر وعرضت ارسال قوات تونسية لمحاربة الاسرائيليين ، استؤنفت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين بعد أن ظلت مقطوعة منذ أكتوبر عام ١٩٦٦ . وفي الخامس عشر من يونية طار الرئيس السوري الاتاسي الى القاهرة لمقابلة عبد الناصر ، وفي اليوم التالي سافر عبد الناصر الى الجزائر لاجراء محادثات مع بومدين .

وفي العاشر من يولية كان في القاهرة كل من بومدين وحسين ملك الاردن لاجراء محادثات مع عبد الناصر ، وفي الحادي عشر لحق بهم عارف رئيس العراق . وفي الثالث عشر وصل الى القاهرة رئيس وزراء سوريا لمقابلة عبد الناصر ، ولحق بهما اسماعيل الازهرى ، رئيس السودان .

وعاد جمال عبد الناصر ليتبوأ مركزه كسياسي رائد للشرق الاوسط .

وانتهت هذه الجولة الأخيرة من محادثات القمة العربية في السادس عشر من يولية ، واقتصر البيان على القول بأن رؤساء مصر وسوريا والعراق والجزائر والسودان اتفقوا على « الخطوات لازالة آثار العدوان الاسرائيلي ضد البلاد العربية » . . ولكن اتخذت الخطوات لعقد المزيد من الاجتماعات ، واقتراح عقد اجتماع لوزراء الخارجية العرب بالخرطوم في القريب العاجل . . وفي نفس الوقت كان المنتصرون ينتظرون عبثا أن يأتي المهزومون الى مائدة

المفاوضات لمناقشة تسوية ما بعد الحرب . . وكان رئيس وزراء اسرائيل ، اشكول ، قد صرح بأنه « مستعد لمقابلة الرئيس عبد الناصر والملك حسين والزعماء العرب الآخرين ، في أي مكان وأي زمان ، من أجل اجراء محادثات السلام » ولكنهم لم يستجيبوا له ، بل أثروا أن يجتمعوا فيما بينهم . . كذلك كان موسى ديان ، وزير الدفاع الاسرائيلي ، ينتظر في أمل ، وقد نسب اليه فيما بعد قوله « كنت أترقب أن يدق جرس التليفون في أي وقت خلال الصيف ليحمل لي شروط الصلح من العرب » .

عقد وزراء الخارجية العرب اجتماعاتهم السرية في الخرطوم من أول أغسطس الى السادس منه ، واختتموا اجتماعهم ببيان مقتضب أكدوا فيه تصميمهم على « استئصال كل آثار الامبريالية الصهيونية على الأرض العربية » . . وأكدت التقارير الصحفية معارضتهم لاية صورة من التفاوض مع اسرائيل ، ولكنهم لم يكونوا على مثل هذا الاتفاق بالنسبة للموضوعات الأخرى ، فقد كان معظمهم يعارضون المقترحات الجزائرية والسورية الخاصة بشن حرب عصابات ثورية ضد اسرائيل على غرار حرب فيتنام . بينما اعترضت السعودية والكويت وليبيا على تشديد الحظر ضد أمريكا وبريطانيا والمانيا الغربية ، وطالبت تونس بمزيد من المحاولات الدبلوماسية الفعالة والدعاية والاقبال من قحقة السيوف والثروة . . وظل البترول عامل تفرقة بين العرب ، وسعيت الدول « الفقيرة » الى فرض وجهات نظرها على « الدول الغنية » . . وللتوصل الى سياسة مشتركة اجتمع وزراء المالية والبترول العرب في بغداد من الخامس عشر الى العشرين من أغسطس ، ولكن يبدو أنهم لم يصلوا الى أي حل ، وكل ما جاء في بيانهم دعواهم بأنهم « قد حققوا روح تضامن عربي » . . وظل البترول مقطوعا من الدول العربية عن الغرب .

وكان هناك موضوع آخر محل شيء من النزاع ، وهو استمرار اشتراك مصر ، ولو بصورة مصغرة ، في اليمن لتأييد حكومة الجمهوريين ضد الملكيين الذين تساندتهم السعودية ، فهي حرب دفعت اثنتين من أهم الدول العربية لأن تقف احدهما في وجه الأخرى ، بل جعلتهما أيضا تتحاربان بصورة غير مباشرة . . وأخذ محجوب ، رئيس وزراء السودان ، على عاتقه دور رجل السلام ، فقام بزيارة كل من الرئيس عبد الناصر والملك فيصل ، وأعلن في الرابع والعشرين من أغسطس أن كلا الزعيمين قد وافق على العمل من أجل تسوية على أساس « المشروع السوداني » ، ولكنه لم يكشف عن أية تفاصيل . . وقد فهم بوجه عام أن المشروع السوداني ينص على انسحاب مرحلي للقوات المصرية ، وانتهاء المساندة المالية وغيرها للملكيين من جانب السعودية ، واجراء استفتاء لتقرير الصورة المستقبلية للحكم في اليمن .

وبعد اجتماع تمهيدي لوزراء الخارجية لاعداد جدول الاعمال ، عقد بالخرطوم في الثلاثين من أغسطس مؤتمر لمعظم الرؤساء العرب أو ممثلهم ،

وتخلف عن الحضور رئيس مهم ، هو بوندين .. كما ان رئيس وزراء سوريا حضر الى الخرطوم ممثلا بلاده ، ولكنه لم يشترك في الجلسة الافتتاحية بل طار عائدا الى بلاده في نفس اليوم .. لقد كانت كل من الجزائر وسوريا تناديان بحرب عصابات على غرار حرب فيتنام الامر الذي عارضه المعتدلون ..

ولما عاد رئيس الوزراء السوري الى بلاده عقد حزب البعث الحاكم اجتماعا طارئا وأصدر قرارا أعلن فيه « ان حرب التحرير الشعبية هي الوسيلة الوحيدة لطرد القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة » .

انتهى مؤتمر الخرطوم في الثالث من سبتمبر .. وكانت القرارات الأساسية هي ضرورة استئناف تدفق البترول الى الغرب ، وأن على دول البترول الغنية تقديم المعونة الى مصر والاردن نظير خسائرها في حرب يونيو ، وإلى مصر نظير الخسائر في دخلها بسبب اغلاق قناة السويس .. كما يجب اتخاذ جميع الخطوات لتعزيز القوة العسكرية العربية . وعلى سبيل المثال ، بلغت قيمة العائد من قناة السويس في عام ١٩٦٦ أربعة وسبعين مليوناً من الجنيهات ، وثلاثة أرباع هذا المبلغ هي من رسوم مرور البترول .. وما يقرب من الثمانية والعشرين مليوناً مقابل الخدمات والمساعدات . وبلغ عدد السفن التي مرت بالقناة خلال هذا العام .

ولكن لعل ما كان أكثر أهمية وأبعد أثراً هي المبادئ الثلاثة التي أعلنت ، وهي « لا اعتراف » ، ولا مفاوضات ، ولا صلح مع اسرائيل » .

ولم يذكر أي شيء رسمي عن اليمن ، ولكن المعتقد أن عبد الناصر قد وافق على سياسة الانسحاب التام حيث فقد فجأة اهتمامه بهذه البلاد بعد مؤتمر الخرطوم ..

وفي الثالث من الشهر أعلنت اذاعة القاهرة أن قناة السويس ستظل مغلقة ، طالما أن مصر ستتلقى من السعودية والكويت وليبيا المساعدة التي وعدت بها . وقد سبق للجنرال أود بول ، رئيس لجنة الأمم المتحدة للإشراف على الهدنة أن أعلن في السادس والعشرين من أغسطس أن كلا من اسرائيل ومصر قد وافقت على عقد اتفاق بالامتناع عن الملاحة عبر القناة ، وذلك الى أجل غير محدود ، ويستثنى من ذلك مرور الزوارق المصرية لنقل الامدادات الى السفن الاجنبية الجانحة في البحيرات المرة الكبرى .

وفي الثالث من سبتمبر ، أصدر رئيس وزراء اسرائيل ، أشكول ، بياناً يبدى فيه أسفه لقرارات مؤتمر الخرطوم التي أثبتت أنه وان كان عبد الناصر قد خسر الحرب فان سرعان ما كسب السلام . ان الموقف العنيد الذي يمثل في المبادئ الثلاثة ، أي « لا اعتراف » ، ولا مفاوضات ، ولا صلح ، قد أقنع الاسرائيليين بأن عليهم أن يتخذوا تدابير أكثر شدة لاجبار العرب على احترام وقف اطلاق النار ، وهذا يعنى التخلي من جانب

اسرائيل عن سياسة السكوت وعدم التحرك التي حاولت أن تنتهجها وتتبع سياسة الأخذ بالتار والانتقام . وظهر موقف أشد صرامة عندما صرح إياها بيان ، وزير خارجية اسرائيل ، في الرابع عشر من سبتمبر بأن خريطة الشرق الأوسط لما قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ قد مزقت بلا رجعة ، وان البديل الوحيد لخطوط وقف اطلاق النار الحالية هو حدود جديدة يتم التفاوض حولها بحرية ، تضمن السلام والأمن في المنطقة . ولكن العرب لا يزالون ممتنعين عن الاستجابة لذلك . وفي العاشر من الشهر أعلنت الحكومة الاسرائيلية أنه ما لم تنشأ محادثات مباشرة للسلام خلال اجتماع الأمم المتحدة (المقرر بدؤه في الثاني والعشرين) فان اسرائيل ستبقى في المواقع التي احتلتها منذ وقف اطلاق النار بانتهاء حرب يونيو .

وعلى أية حال ، فان عبد الناصر لم ينته بعد من إعادة التنظيم الداخلي ، وتبين له أن حلقة من الساخطين الخطرين بدأت تحسوم وتلتف من حول المشير عامر ، حيث قام بعض الضباط المفصولين بزيارته في داره التي تقع باحدى ضواحي القاهرة ، أما الضباط في القوات المسلحة فكانوا بوجه عام يشعرون بالألم من جراء هزيمتهم ، وسرعان ما انهارت هيبتهم وكان الكثيرون منهم يخجلون من ارتداء زيهم العسكري علانية في العاصمة .. كان معظم الضباط يكونون الاحترام العميق للمشير عامر الذي كان على سبيل المثال ، قد قاد حملة رمضان الرائعة في اليمن في مستهل عام ٦٣ والتي أدت الى وضع ما يزيد على نصف هذه البلاد تحت سيطرة الجمهوريين . وفي الرابع من سبتمبر أعلن فجأة في صحيفة الاهرام أنه قد تم اعتقال المشير عامر ونحو الخمسين من الضباط والمدنيين ، ومن بينهم شمس بدران وزير الدفاع السابق ، وذلك لتأمرهم للسيطرة على القوات المسلحة والاهرام صحيفة قاهرية ، يرأس تحريرها محمد حسنين هيكل ، وهو صديق لعبد الناصر وموضع ثقته ، وكان يسود الاعتقاد أن وجهات النظر والآراء التي تنشرها الصحيفة تعكس وجهات نظر وآراء الرئيس ، الأمر الذي جعل الاهرام تبدو وكأنها صحيفة شبه رسمية .

وفي الخامس من الشهر فصل الكولونيل « صلاح نصر » ، مدير المخابرات ، وتولى وزير الدفاع ، أمين هويدي ، المسؤولية اثناء التحقيق مع الادارة وبدأت تفاصيل أخرى تتوالى تدريجياً في الاعداد الملاحقة من الاهرام .. ففي الثالث عشر من الشهر اذاعت أنه قد تم أيضاً اعتقال نصر وعباس رضوان الذي كان وزيراً للداخلية عند نشوب حرب يونيو .. وقيل بأنهما مع المشير عامر وشمس الدين بدران كانا يحاولان تشكيل « مجلس شورى » بهدف تعيين بدران رئيساً للوزراء وإعادة عامر الى منصبه الأول ، فاذا ما رفض عبد الناصر هذه المطالب كان على المشير عامر أن يزحف بلواء مدرع الى القاهرة .. ولكن تم اعتقاله في اليوم السابق على تنفيذ هذا المخطط الذي كان مقرراً تنفيذه كما قالت الاهرام - في السادس والعشرين من أغسطس .

وفي الخامس عشر ، أعلنت إذاعة القاهرة أن المشير عامر قد انتحر في اليوم السابق ، وأوضحت أنه عندما قام الفريق محمد فوزي وعبد المنعم رياض بزيارة المشير عامر في منزله في الثالث عشر من الشهر ، استأذنهما ودخلا إلى الحمام ، وتناول سما لم ينج منه . وسرعان ما قامت الشكوك أنه قد أجبر على قتل نفسه ، ولسكن الحكومة والأهرام وصفتا بالتفصيل تسلسل الحادث وطريقته . وفي التاسع عشر ، ذكرت الأهرام أن مائه وتسعة وأربعين شخصا قد اعتقلوا بتهمة اشتراكهم في مؤامرة عامر للسيطرة على القوات المسلحة .

والى جانب ذلك ، أخذ عبد الناصر يتصرف مع المسؤولين عن الهزيمة المصرية في الميدان وأعلن في الخامس والعشرين من سبتمبر أنه مستم محاكمتهم بعد التحقيق معهم أمام لجنة خاصة ، وكان أربعة منهم قد منلوا أمام محكمة عسكرية في الثلاثين من أكتوبر . وكان جميعهم من كبار ضباط سلاح الطيران ، وهم محمد محمود صدقي ، القائد السابق للسلاح جمال عفيفي ، رئيس هيئة أركان حرب السابق ، عبد الحميد الدغيدى ، القائد السابق للمنطقة الشرقية ، واسماعيل لبيب ، المدير السابق للدفاع الجوي . ولم تعلن جوانب الاتهام حيث أن المعلومات التي تتضمنها - كما قيل وقتئذ - قد تقييد العدو . وتمت الموافقة على طلب جعل المحاكمات سرية .

وأصبحت قنصة السويس هي الحاجز الواضح بين القوات البرية المتقاتلة وذلك باستثناء مثلث من المستنقعات والبحيرات الملحة حول بور فؤاد عند الطرف الشمالى على الضفة الشرقية ، والتي كانت في قبضة المصريين ، ولو أن التحرك كان مبيدا إلى أقصى حد بسبب طبيعة الأرض . كان الاسرائيليون موجودين بالضفة الشرقية ، والمصريون على الضفة الغربية بطولها . ولم يمض غير قليل حتى بدأ الاحتكاك المسلح . ووقع أول صدام في اليوم الاول من يولييه ، غير أن التفاصيل لم تكن دقيقة حيث تضاربت الروايات من كلا الجانبين ، فقد ادعى الاسرائيليون أن قرابة المائة والعشرين من المصريين قد عبروا بالزوارق قناة السويس بالقرب من رأس العش بين القنطرة وبورفؤاد وأطلقوا النار على المواقع الاسرائيلية بطول شاطئ القنصة فأصابوا عدة جنود بجراح . وقال المصريون : أن الاسرائيليين قد حاولوا الزحف شطر بور فؤاد ، أى إلى المثلث الذى يربط به المصريون ، ولكن المصريين صدوهم ودمروا لهم ست دبابات وفى الثالث من يولييه سلم الاسرائيليون بوقوع أول عمل تخريبى فى سيناء حيث خرج فيه قطار عن خطه الحديدى . وفى الخامس منه قتل ضابطان اسراييليان نتيجة قصف بمدافع الهاون من الضفة الأخرى للقناة ، وفى الثامن من يولييه ، عندما قصف المصريون المواقع الاسرائيلية بالقرب من القنطرة اعترف الاسرائيليون بمقتل خمسة وجرح واحد وثلاثين ، وكان على سلاح الطيران الاسرائيلى أن يتدخل ضد المدافع المصرية .

أما البحرية الاسرائيلية التي لم تنجح لها فرص كثيرة لاثبات مجدها فى حرب يولييه ، فقد أثبتت وجودها فى الثانى عشر من يولييه ، فقد حدث أن هاجم اثنان من زوارق الطوربيد المصرية زورق طورييد اسراييليين بالقرب من خليج روماني عند الشاطئ الشمالى لسيناء ، وعندئذ تحركت المدمرة الاسرائيلية ايلات التي كانت على مقربة من المكسان ، وأغرقت الزورقين المصريين . ولم تصب السفينة الاسرائيلية بأضرار ، ولسكن الاسرائيليون اعترفوا بأن ثمانية من البحارة قد أصيبوا بجراح . والتزم المصريون الصمت حول هذا الحادث .

لقد تولد الاحتكاك نتيجة قيام كلا الطرفين باحضار أسلحته الى حافة القناة ليقتصف الطرف الآخر الذى كان على مرمى قريب منه . ووقع أعنف قتال منذ حرب يولييه فى الرابع عشر من يولييه عندما فتحت المدافع الهاون نيرانها عبر الممر المائى فى عدة مواقع وخاصة بالقرب من القنطرة والفردان والاسماعيلية وميناء السويس . واتهم كل منهما الآخر بأنه هو الذى بدأ الضرب ، وأخذت الادعاءات تتضارب . وقال المصريون انه بالرغم من أن الاسرائيليين قتلوا اثنين من المدنيين وجرحوا آخرين بالاسماعيلية ، فإن المصريون دمروا لهم ست عشرة دبابة وخمس عشرة عربة مصفحة . وقال الاسرائيليون ان المصريين قتلوا خمسة من جنودهم وأصابوا عشرين آخرين بجراح ، وأن الطائرات الاسرائيلية اسكتت المدافع المصرية عند بور ابراهيم جنوبى ميناء السويس ، وفند الاسرائيليون ما ادعاه المصريون من أنهم أسقطوا خمس طائرات اسرائيلية . وإلى جانب ذلك احتدمت حرب البيانات والبلاغات .

ونظرا للشكاوى التي قدمتها كل من مصر واسرائيل الى الاسم المتحدة عن الاحداث بطول قناة السويس ، أصدر مجلس الأمن تعليماته الى انجنرال أود بول ، رئيس لجنة مراقبة الهدنة ، كي يتخذ الترتيبات اللازمة مع كلا البلدين لتمكين مراقبى الأمم المتحدة من أن يربطوا فى نقاط بطول القناة . وفى العاشر من يولييه ، وافقت مصر ، وكذلك فعلت اسرائيل فى اليوم التالى . وتمت الموافقة على أن يبدأ تنفيذ وقف إطلاق النار فى الساعة ٢١٠٠ بالتوقيت المحلى من الخامس عشر من يولييه ، أى فى اليوم التالى لليوم الذى شهد القصف العنيف . كما اتفق أيضا على أن يحتل مراقبوا الأمم المتحدة مواقعهم فى اليوم التالى ، ولكن كان هناك تأخير لفترة قصيرة والواقع أن إطلاق النار كان توقف بالفعل ، وكان هناك هدوء مؤقت نسبيا لبعض الوقت . وكان سبب التأخير هو مشكلة الاتصالات بين مراقبى الأمم المتحدة على كلتا الضفتين ، حيث كان الاسرائيليون يريدون أن يتم ذلك عن طريق اللاسلكى العادى للميدان ، ولكن مصر اعترضت على الاتصال المباشر وطالبت بالعودة الى الطرق المعتادة - الأمم المتحدة - أى أن يتم التبليغ عن طريق نيويورك وتم الاتفاق على أن يقوم مراقبوا الأمم المتحدة بالتبليغات الى مقر قيادة الجنرال أود بول فى القدس .

وفي السابع عشر من يوليو بدأ أربعة مراقبين مهمتهم على كلبا الضفادع ،
 ثلاثة في مواقع على صدع المسلة والرابع على الخط الامامي للقنطرة في
 الاسماعيلية بنسبة لجانب المصري ، واقتصره بالنسبة للجانب الاسرائيلي
 .. واخذ هذا العدد يتزايد ببساطة في الاسابيع اللاحقة . وظلت مشككة
 الخلاصة بالقناة بدون حل ، ونحو ان مصر قد وافقت في الثالث من أغسطس
 على ان يمنع الطرفان من استخدام القنطرة ، وهو اقتراح كانت اسرائيل قد
 وافقت عليه من قبل وذلك باستخدام الزوارب التي تحصل المئون للسفن
 الاجنبية للعبارة في البحيرات المرة الكبرى .. وراحت اسرائيل ان يكون
 وسط القناة هو خط وقف اطلاق النار ، ولكن مصر تمسكت بملكيته
 للقنطرة بالكامل .

وبالرغم من وجود مراقبين الأمم المتحدة ، تعدد اطلاق النار عبر القناة
 خلال شهر سبتمبر ، وكان يتوقف عادة عندما كان مراقبوا الأمم المتحدة
 ينجحون في وقف اطلاق النار فعليا .. وعلى سبيل المثال ، أعلنت اذاعة
 القاهرة في العشرين من سبتمبر ان أحد المدنيين المصريين قتل وأصيب
 ثمانية بجراح عندما قصفت الاسرائيليون ميناء السويس وبورتوفيق ،
 بذلك أصبح عدد القتلى أربعة وأربعين والمصابين مائة وسبعين في منطقة
 القناة من حرب يونيو . وأنكر الاسرائيليون انهم قصفوا هذه المواقع وقالوا
 ان مدافعهم أطلقت نيرانها فقط على الزوارق المصرية ناهية الجنود عندما
 حاولت استخدام القناة . ووافق الاسرائيليون على قيام المصريين باختصار
 اجزاء الجنوبي من القناة للتأكد من اذا كان من الممكن ابحار الخمس عشرة
 سفينة الاجنبية ، ولكن عندما بدأ المصريون يتحركون شمالي الاسماعيلية
 مع الاسرائيليون برانهم وتسيروا في اصابة اثني عشر شخصا . وفي
 اليوم التالي حدث اطلاق النيران من المدفعية عبر الممر المائي عند القنطرة
 وسبب الاسرائيليون بقتل أربعة جنود واصابة ستة آخرين بجراح ، ولكنهم
 ادعوا انهم احدثوا بالمصريين اصابات . وفي السابع والعشرين تجدد القصف
 بنشاط جنوبي بالقنطرة حتى مدينة السويس ، ولم يستطع مراقبو الأمم
 المتحدة من فرض وقف اطلاق النار الا بعد عدة ساعات .. وببادل الطرفان
 الاتهام ببدء الاحداث ، وادعى كل منهما بأنه أوقع بالآخر الخسائر .

وكررت الادعاءات التي لم يكن هناك دائما دليل على صحتها ، وذلك
 كلما ازدادت حرب الدفاع . وعلى سبيل المثال ، ادعى الاسرائيليون في
 الرابع من سبتمبر انهم اغرقوا أحد زوارق الطوربيد المصرية بعد تبسادل
 اطلاق النار بالقرب من بورت توفيق ، ولكن لم يكن هناك ما يؤيد ذلك ..
 كذلك لم يكن هناك ما يؤيد ادعاءات المصريين بأنهم دمروا عدة دبابات
 اسرائيلية وعربة مصفحة في اليوم التالي .. ومن وقت لآخر كان الطيران
 المصري يقوم بطائرات متواضعة قصيرة .. وفي السادس والعشرين من
 أغسطس ادعى الاسرائيليون ان مدفيعتهم المضادة للطائرات سقطت احدى
 الطائرات بالقرب من بير جفجافة على أربعين ميلا تقريبا شرقي القناة ، بينما

قامت المفاتلات الاسرائيلية في الحادي عشر من أكتوبر باسقاط طيارة
 مصرية « ميج - ٢١ » على مسافة عشرة أميال تقريبا شرقي البحيرات المرة
 الكبرى وباستمرار هذه الاحداث عين عبد الناصر في أول أكتوبر على صبرى
 وهو أحد الدواب الأربعة لرئيس الوزراء ، وزيراً مقيماً بمنطقة قناة السويس
 وكانت مهمته هي أن يتولى الخط الامامي ، وخولت له سلطة الاشراف على
 الاعمال وعلى الموارد بالمنطقة .

وطوال معظم نهار الحادي والعشرين من أكتوبر ظلت المدمرة الاسرائيلية
 ايلات تقوم بمناورات في منطقة خليج روماني وكانها تتحدى في ازدياد
 استعدادات الدفاع في بورت سعيد ، ولكن الرادار المصري كان يتتبعها طوال
 هذا الوقت ، وفي المساء هاجمتها سفيتنا صواريخ من طراز « كوماز »
 واغرقناها بصواريخ « ستايكس » .. وبلغ عدد المفقودين سبعة وأربعين من
 طاقمها البالغ عدده مائتين واثنين ، وبلغ عدد الجرحى واحدا وتسعين ..
 واخذت طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية تحاول انقاذ البحارة وانتشالهم من
 الماء مستعينة في ذلك بأضواء المشاعل .. وتضاربت التقارير حول غرق
 المدمرة .. فقد أعلن القبطان أيرول ، من البحرية الاسرائيلية ، امام مؤتمر
 صحفي أن أربعة صواريخ أطلقت على ايلات في الساعة ١٧٣٠ عندما كانت
 على بعد ثلاثة عشر ميلا من الشواطئ المصرية ، أصاب اثنان منها السفينة
 مما جعلها تميل على جانبها ، ولكن عندما رؤى بعد ساعتين أن السفينة لم
 تغرق بل انها مالت فقط أطلق عليها صاروخان آخران من طراز ستايكس
 أصاب احدهما السفينة واغرقها ، بينما انفجر الآخر بين الذين كانوا على قيد
 الحياة وسط الماء .. أما الرواية المصرية كما صرح بها اللواء مصطفى كمال ،
 من هيئة أركان حرب القيادة العامة ، فتقول ان ايلات كانت على مسافة
 عشرة أميال فقط من بورت سعيد (والمياه الإقليمية المصرية تمتد الى اثني
 عشر ميلا) وأنها غرقت في نفس المكان الذي وجهت اليها فيه أول ضربة
 بالصواريخ وهي داخل المياه المصرية .. ورفض أن يذكر المدى الذي أطلقت
 عليه الصواريخ ، ولكنه صرح بأنه لا يوجد أجانب في القوات المسلحة المصرية
 ويعنى بذلك أنه لم يكن هناك سوفيت على السفينة المصرية . وكانت ايلات
 هي المدمرة البريطانية « زيلوس » حمولة ١٧١٠ من الاطنان واستخدمت خلال
 الحرب العالمية الثانية قبل أن تباع للاسرائيليين في عام ١٩٥٦ . أما سفن
 الصواريخ حمولة مائة طن ، والسوفيتية الصنع (طراز طومار) فتبلغ سرعتها
 نحو أربعين عقدة ، وتحمل زوجا من قاذفات الصواريخ ، ويبلغ مدى
 « ستايكس » نحو العشرين ميلا .

وجاء انتقام الاسرائيليين في الرابع والعشرين .. فبدءوا بقليل من
 القصف على مدينة السويس والميناء ، ثم تحول القصف الى ستار من الهاون
 الثقيل لم يخطئ أهدافه ، ووجه القصف أولا الى معامل تكرير البترول التي
 تبعد نحو الميلى من الشاطئ ثم الى العمل الثاني ويبعد عن الاول نحو
 الميل الى الداخل ، وبعد ذلك الى مصنع للسجاد بالقرب منه ، وتجاهل

الاسرائيليون نداء الأمم المتحدة للتوقف واستمر القصف حوالي ثلاث ساعات وعندما انتهى الضرب كان معملا التكرير قد دمرا ، وظلت صهاريج البترول مشتعلة ، وشوهد الدخان على مسافة خمسة وعشرين ميلا ، وأصيب مصنع السجاد بأضرار جسيمة كما تعطلت مرافق الميناء . وكان معملا التكرير ينتجان حوالي خمسة ملايين طن من استهلاك مصر من البترول المكرر (ويقدر بستة ملايين ونصف المليون) ، أما الكمية الباقية ، أي اى المليون ونصف المليون فيتم تكريرها بالاسكندرية . ومن الأدلة على قسوة هذه الضربة الاقتصادية أن بدأ توزيع الكبروسين بالبطاقات منذ السابع من نوفمبر ، والمعروف أن الكبروسين بالنسبة للسود الأعظم من الاهالى خارج المدن يعتبر ضروريا للطهى .

كذلك قام الطيران الاسرائيلى بمواجهة سفن الصواريخ المصرية (كوماز واوذا) فى مينائى الاسكندرية وبور سعيد كانت بعض السفن البحرية السوفيتية تقوم بزيارة ودية الميناءين قبل ذلك بأيام قليلة . كانت النتيجة أن سارعت السفن السوفيتية بالعودة اليها ، ومنذ ذلك الوقت لم يخل الميناءان وغرهما من الموانئ المصرية من وجود السفن السوفيتية فكان فى ذلك رادعا للاسرائيليين الذين كانوا يخشون من أن يتورطوا علانية مع الاتحاد السوفيتى .

وفى اليوم التالى ، أى فى الخامس والعشرين ، صرح يوثانت بأن فى نيته تعزيز هيئة مراقبة المدينة بزيادة عدد مراقبى الأمم المتحدة من ثلاثة وأربعين الى تسعين ، ومضاعفة عدد نقاط المراقبة من تسع الى ثمانى عشرة على كل جانبى القناة ، مع توفير أربع زوارق داورية ليستخدمها أفراد الأمم المتحدة على الممر المائى ، وكذلك أربع طائرات هليكوبتر . ولكن كان رد الفعل بطيئا ازاء هذه المقترحات .

وما حل آخر أكتوبر حتى تلاشى سريعا شعور اللامبالاة وفقدان الحس للذين كان المصريون يشعرون بهما بعد حرب يونيو ، وأخذوا يفتقون من سدمة هزيمتهم ، ويردون بتعننت على الحوادث الاسرائيلية ويبدون نشاطهم العسكرى من تلقاء ذاتهم . وازداد التوتر ، وكثرت الاضرار ، وتزايد القصف وتزايدت معه الخسائر .

أضف الى ذلك أن مصر أخذت الآن تواجه مشكلة اللاجئين ، فقد قيل انه تم بالفعل اجلاء ثلاث مائة وخمسين ألفا من الاهالى من المدن والقصى الواقعة على مقربة من الضفة الغربية للقناة . وأصبحت الاسماعيلية التى كان يسكنها حول المائة ألف ، خالية من المدنيين ، كما قيل بأن النية اتجهت الى اجلاء نصف اهالى بور سعيد على الاقل ، ويبلغ عددهم خمسمائة ألف نسمة وذلك بسبب القصف الاخير . وهكذا أضافت اسرائيل الى مشكلة اللاجئين الفلسطينيين مشكلة أخرى قد تقل عنها ذيوعا ولكنها لا تقل عنها واقعا . . . وهى مشكلة اللاجئين المصرية .

٢ - الاستعداد العسكرى

« ليست هناك من وجود الفضل من قناة السويس »
رئيس الوزراء اشكول

الآن وقد تصدى الرئيس عبد الناصر والمصريون لآثار كارثة الهزيمة ، وتم اهم تعزيز موقفهم بالمزيد من الاسلحة السوفيتية والمساندة السوفيتية كذلك ، بدوا يطورون رد فعلهم العدوانى . وفى الثانى والعشرين من نوفمبر ١٩٦٧ . وافقت الأمم المتحدة بالاجماع على مشروع قرار بريطانى « باقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط » ويطلب فى جوهره بانسحاب القوات الاسرائيلية من مناطق احتلتها منذ حرب يونيو ، ويطلب العرب بالاعتراف بوجود اسرائيل وبتسوية عادلة لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، واقامة مناطق منزوعة السلاح . . وكثيرا ما يشار الى هذا القرار بعبارة « قرار نوفمبر » أو « بالقرار رقم ٢٤٢ » وهو رقمه المسلسل . . وسرعان ما أصبح نقطة نقاش مثيرة للجدل والخلاف . وهكذا ظل حتى يومنا هذا .

لقد طالب « قرار نوفمبر » بتعيين ممثل خاص للأمم المتحدة ليذهب الى الشرق الاوسط وللاتصال برؤساء الدول وغيرهم للحث على الاتفاق ومساعدة الجهود للتوصل الى تسوية سليمة ومقبولة . وبادر يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة ، بتعيين جونار يارنج ، سفير السويد لدى موسكو وقتئذ ، ولكن التسوية المقبولة كانت مبعثا للحيرة ، وأمضى يارنج الأسابيع والشهور ، دون أية ثمرة ، متنقلا من بلد لآخر ومن عاصمة لآخرى .

وكان رد الفعل المباشر من جانب عبد الناصر هو أول خطاب له نزعته الحربية منذ حرب يونيو ، وهو الذى ألقاه أمام مجلس الأمة فى اليوم التالى ، أى فى الثالث والعشرين . وأكد عبد الناصر مبادئ الخرطوم الثلاثة ، وهى عدم الاعتراف وعدم التفاوض وعدم الصلح مع اسرائيل وأضاف مبدأ رابعا هو « عدم التدخل فى المشكلة الفلسطينية التى هى القضية الشرعية للشعب الفلسطينى » . . وقال أن المصريين لن يسمحوا بمرور السفن الاسرائيلية عبر قناة السويس . . واستطرد يقول فى زهو وتقاهر : « اننا بحاجة الى وقت لاستكمال استعدادنا العسكرى » . . فى وسعنا الان أن ندافع عن انفسنا . . واذا حان الوقت للقيام بمعمل عسكرى فلن نكون فى موقف الدفاع . . علينا نحن نختار الوقت والمكان . . وادعى ان الجيش المصرى أقوى مما كان عليه قبل يونيو ١٩٦٧ ، وأن الوقت أصبح فى صالح مصر وتلا تقريراً عن العملية الحربية الاخيرة التى أغرقت فيها المدمرة ايلات مشيراً الى أنها تدمير بما سيحدث من أمور .

وكان رد الفعل الاسرائيلي ازاء قرار نوفمبر وخطاب عبد الناصر يتسم بالغزع ، فقد بدأت تتلاشى ثمار النصر العسكري ، ولكن الموقف الاسرائيلي كان ايضا عنيدا متصليا .. وطلب الاسرائيليون بمفاوضات مباشرة مع العرب .. وكان رئيس الوزراء اشكول قد صرح امام الكنيست في الثاني عشر من يونيو وفي الثلاثين من اكتوبر ١٩٦٧ . انه لن تكون هناك عودة الى الاحوال التي كانت قائمة قبل الخامس من يونيو ١٩٦٧ ، وانه لن تتم التسوية السلمية الا بالمفاوضات المباشرة مع الدول العربية المعنية وانها يجب ان تتضمن بعض الموضوعات مثل حرية مرور السفن الاسرائيلية عبر مضائق تيران وقناة السويس . وتمسك الاسرائيليون بان الحدود الآمنة لا يمكن ان تتحقق الا في طار تسوية سلمية .. لقد كانت اسرائيل ومصر على حافة الاصطدام ، وكانت كلتاهما تعتمد على قواتها المسلحة التي كانت تجهزها .

وبانتهاء عام ١٩٦٧ استطاعت مصر اعادة بناء تشكيلاتها العسكرية الممزقة وامادت تزويدها على نطاق واسع بالأسلحة والمعدات السوفيتية الحديثة .. ووقفاً لأصح تقدير ، استعوضت مصر ستين في المئة من خسائرها في حرب يونيو ، والتي قدرت (في فبراير ١٩٦٨) اربعمائة وخمسين دبابة متوسطة ، ومائتين وخمسين مدفعا ثقيلًا ، وثلاثمائة مدفع ميدان وهاون .. وبحساب تقريبي ، أصبح لدى مصر ما يقرب من خمسمائة وخمسين دبابة معظمها من طراز « ت ٥٥ » ، وثلاثمائة مدفع ثقيل ، واربعمائة مدفع ميدان ، ومائتي هاون من مختلف الانواع وحوالي الثمانمائة عربة مصفحة من بينها عربات مصفحة لنقل القوات .. وكان هذا كافيا لأن يوفر للمصريين المقدرة والثقة في الحفاظ على خط قناة السويس وأن يقاوموا أية محاولة اسرائيلية للعبور ، ولكن لم يكن كافيا لأن يسمح للمصريين بأن يشقوا طريقهم ثانيا الى سيناء .

واعيد تشكيل عنصر المشاة في ست فرق ، احتلت ثلاث منها مواقع متقدمة على طول القناة ، وكذلك معظم المدفعية ، وتم كذلك اعادة تكوين البطاريات فور وصول المدافع السوفيتية ، أما الفرق المدرعة الثلاث والتي تضم كل منها وقتئذ لوائين مدرعين فقط في هذه المرحلة ، فكانت ترابط وراء الضفة الغربية للقناة من خلف الفرق المشاة المدرعة .. واتجه الميل الى ادماج فرق المظلات والصاعقة معا ليطلق عليها بعد ذلك « القوات الخاصة » وكانت خمس عشرة وحدة كومانندو صغيرة عند بدء حرب يونيو .

يبلغ تعداد المصريين زهاء الثلاثين مليوناً ، ويزيد هذا العدد بمعدل ثلاثة أرباع المليون سنوياً ، ومدة التجنيد الإلزامي ثلاث سنوات .. لذلك لم تكن لدى عبد الناصر مشكلة فيما يتعلق باليد العاملة وعندما بدأت حرب يونيو بلغ عدد القوات المسلحة المصرية مائة وتسعين ألفاً ، ولكن هذا الرقم يتضمن نسبة - قد تصل الى الثلث - من الاحتياطي وكان تعداد

الجيش مائة وستين ألفاً ، من بينهم عشرون ألفاً كانوا لا يزالون باليمن أو مائدين من اليمن ، وأرسل تسعون ألفاً عبر القناة الى سيناء ، ولم يبق بمصر سوى خمسين ألف جندي تقريباً .

وبعد حرب يونيو مباشرة كانت مصر بلا دفاع . وكان من وراء القوات المسلحة ستون ألفاً من الحرس الوطني لمهام الامن الداخلي ، ولذلك فان اجمالي عدد من كانوا يعملون طوال الوقت في أداء الواجبات العسكرية لم يكونوا يزيدون عن المائتين وخمسين ألفاً ، وهذا عدد بسيط بالنسبة لدولة تعدادها ثلاثون مليون نسمة .

لم تكن الخسائر في حرب يونيو حسيمة ، ووفقاً لتصريحات عبد الناصر كانت خسائر مصر عشرة آلاف جندي وألف وخمسمائة ضابط .. وبلغ عدد الأسرى خمسة آلاف جندي وخمسمائة ضابط .. وتميل أرقام الخسائر الى الاختلاف والتعدد ، ويبدو انها ظلت غامضة ومبهمة عن عمد .. كانت المعلومات هم العامل المجهول في هذه اللحظة واحتجزت القوات العائدة في معسكرات بالصحراء الى أن تم « تكييفها » قبل عودتهم الى وحداتهم أو إلحاقهم بوحدات جديدة .. وبعد حرب يونيو تم استدعاء الكثيرين الاحتياطيين ، كما تم أيضاً تجنيد الكثيرين حتى بلغ اجمالي عدد القوات بالجيش مائة وتسعين ألفاً بل قد يزيد .

وحاول الجيش المصري تركيز التفكير على اعادة تنظيم نفسه ، ولكن حالت دون ذلك ، الى حد ما ، عمليات التطهير ، حيث تم فصل أو اعتقال ما يزيد على الثمانمائة ضابط ، معظمهم من الضباط العظام ، الى جانب الألفي ضابط الذين فقدتهم مصر في حرب يونيو .

كما حدث تباطؤ في الافراج عن الأسرى وتبادلهم .. وأخذت تساعد الجيش المصري بعثة عسكرية سوفيتية موسعة بلغ تعدادها مع مستهل عام ١٩٦٨ الجديد ما يزيد على الألفي شخص .. وانتشر المستشارون السوفييت داخل الجيش حتى مستوى الوحدات .. ووجد المدربون السوفييتيون صعوبة في التعامل مع المصريين الذين لم يكن لديهم من الصبر ما يمكنهم معه تقدير الأساليب السوفيتية التي كانت بطيئة ومنهجية وتتطلب الكثير من الجهد .. كان دور السوفييت في بداية الامر استشارياً فقط .. وعندما لاحظ عبد الناصر الاسترخاء والتقاعد بين صفوف الضباط طلب الى السوفييت أن يقوموا بدور أكبر في اعادة التنظيم والتدريب ، ثم أمر جميع الضباط المصريين باطاعة المستشارين السوفييت ولو كانوا دونهم في الرتبة .. وقد شكك بعض هؤلاء الضباط ، ولكنهم رضخوا تحت الحاح عبد الناصر .. وقد أثار ذلك احتكاكاً بين المصريين والروس .. فقد تمسك الضباط السوفييت بتدريب أقصى وأطول وأكثر تنوعاً وبالتطوير المطرد من مجرد التدريب الفردي لأطقم الأسلحة الى جعله متلاحماً في وحدات متماسكة التي تسود كل منهما روح التضامن والجماعة

.. ومن وقت لآخر كان بعض كبار الضباط السوفيت يزورون القسوات المسلحة المصرية ، كما كان بعض كبار الضباط المصريين يوفدون الى الاتحاد السوفيتي لتقديم التقارير او للالتحاق بدراسات تدريبية .. وعلى سبيل المثال ، حضر الى مصر في مارس ١٩٦٨ المارشال جريتشكو ، رئيس هيئة اركان حرب الجيش السوفيتي ، في زيارة لتقصي الحقائق استغرقت خمسة ايام .

لقد كان كل من الفريق فوزي ، القائد العام ، والفريق رياض رئيس اركان الحرب ، يتسم بالكفاءة والواقعية .. وعندما قاما بعملية اعادة توزيع مناصب القيادات والمراكز كانا موفقين في الاختيار . انه وان لم يكن الضابط المصري ، وخاصة ضابط الفرقة ، بنفس الكفاءة وتكريس الذات كنظيره الاسرائيلي ، الا انه لم يكن سيئا كما حاولت ان تصوره الدعاية الغربية والاسرائيلية المادية . وقبل حرب يونيه كان الضباط يتمتعون بمكانة كبيرة ، ومن ثم كثر عدد من ارادوا الالتحاق بالجيش ، ولم يكن يحظى بذلك الا من هم افضلهم . وبعد الحرب جردوا من كثير من المزايا ، وكان عليهم ان يقضوا وقتهم مع فرقهم ويعملون بكل جهد ، فلم تعد هناك عطلات نهاية الاسبوع الطويلة في القاهرة . وكانت تلك من المعدات التي كادت ان تصبح تقليدا .. لقد أحسوا بشعور الالم القاسي والندم ، وسرعان ما تلاشى ليحل محله العزم على اثبات جدارتهم . كما استجاب الضباط المصريون للحاج السوفيتي في العمل والتدريب القاسي ، كذلك استجاب الجنود لضباطهم ، واكتشف كثيرون من الضباط المصريين لأول مرة كيف يمكن ان يصبح الفلاح المصري جنديا صالحا متى أحسن توجيهه وتشجيعه . وبناء على الحاج السوفيتي أقصى عن الجيش بعض الضباط الذين يتحدرون من أسر ثرية او من كانت لهم خلفية من الرخاء واليسر ، واستبدل بهم ضباط اصغر سنا وأكثر تعاطفا مع المثل والاساليب السوفيتية . وبناء على الحاج السوفيتي أيضا أعيد الى الجيش عدد من كبار الضباط الذين كان قد فصلهم عبد الناصر ، ولكنهم أبدوا تفوقا في الفصول الدراسية بالاتحاد السوفيتي ، او ممن لاحظت الهيئة العسكرية السوفيتية ما هم عليه من كفاءة .. وقد انطبق هذا على كبار الضباط حيث كان الجيش المصري يفتقر الى الأكفاء ذوي الخبرة في القادة وضباط اركان حرب .

لقد كان الجندي المصري صلب العود لا يعرف الاستسلام .. ومع توافر اليد العاملة كان من الممكن اختيار احسن العناصر . وفي الحقيقة فان الكثيرين من الجنود المصريين حاربوا في حرب يونيه وكانوا في قتالهم ممتازين الى اقصى الحدود كما تشهد بذلك خسائرهم الجسيمة ، وذلك الى ان صدرت اليهم الاوامر بالانسحاب . وكانت هناك فكرة خاطئة شائعة ان المستوى الجسماني فيهم كان هابطا ، والمعروف ان الجيش المصري كان يركز على اللياقة البدنية وذلك بالنسبة للجنود ولم يكن هذا متبعيا دائما بالنسبة للضباط ..

وبينما كان الضباط يتمتعون بالنفوذ والاحترام فان هذا لم يكن من نصيب الجنود ، وكان الفلاحون الذين هم عادة مبعدون عن الحرب ، مقتنعين بان لا علاقة لهم بالجيش ، وما لم يتصادف التحاق اولادهم به فانهم يحاولون تجاهله .

وبعد مؤتمر الخرطوم ، طرح الجيش المصري جانبا ما كان له من قبل من قابلية مزدوجة للزحف الى اسرائيل وان يقوم في نفس الوقت بدور ارسال الحملات ، واضطر لان يختار دورا جديدا ، هو الدفاع عن مصر . وكان عبد الناصر من انصار القدرة على ارسال الحملات ، وهذا ما مارسه فعلا في اليمن تعزيزا لسياسته ، وكان يلقي دائما المعارضة في ذلك من جانب المشير عامر الذي كان ينصح باستمرار بان يكون للجيش المصري هدف واحد وهو الزحف شرقا لتدمير اسرائيل .. وتغير الموقف الان بصورة عنيفة ، وبالرغم من ان الملقق والولاء الكلامي الكاذب كانا يركزان على تنمية القدرة على الزحف في سيناء ومهاجمة اسرائيل ، الأمر الذي كانت البعثة العسكرية السوفيتية تشجعه بكل قوة فقد تحولت كل الجهود الى الدفاع ، واخذ المصريون يشبهون انفسهم في الايام التالية لحرب يونية بالبريطانيين بعد دنكرك ، ويضربون الامثلة والمقارنات لتدعيم معنوياتهم وثباتهم وجلدتهم .

كان من هدف السياسة السوفيتية بوجود اسطول سوفيتي في البحر المتوسط لتعارض به الاسطول الامريكي ، ان اتاح لمصر ان تكون لها بحرية اكثر اتساعا مما يسمح به خطها الساحلي ومواردها . وعلى سبيل المثال ، بنى السوفيت ترسانة بحرية فسيحة بالاسكندرية وبديهي أنها ستستخدم في اصلاح سفن الاسطول السوفيتي ، كما أقاموا مرافق بحرية في الموانئ المصرية الأخرى ، وطبيعي ان البحرية المصرية ستستفيد منها أيضا . وارتفعت أسهم البحرية المصرية تصادفيا على نحو لم يكن متوقعا وذلك عندما أغرقت « ايلات » .. وارتفعت معنوياتها بذلك . والبحرية المصرية ، شأن البحرية الاسرائيلية ، لم يكن لها حظ كبير لتحقيق المجد أثناء حرب يونية ، والواقع أنه كان عليها أن تنسحب على عجل من بور سعيد الى الاسكندرية حتى تغلب من الطيران الاسرائيلي . ويبلغ تعداد البحرية المصرية اثني عشر رجلا تقريبا ، وتتألف أساسا من ست مدمرات ، واحد وعشرين غواصة ، وستة وأربعين من زوارق الطوربيد ، واثنين وثلاثين سفينة دوريات وحراسة ، واحد وعشرين سفينة انزال وثمانين كاسحات الغام . وكانت أحدث وأقوى وحداتها البحرية ثمان عشرة صواريخ سوفيتية عشرة منها من طراز « أوزا » وثمان من طراز « كوماز » وكلها تحمل صواريخ « ستايكس » سطح / سطح ، وهو السلاح القياسي على سفن الراوريات السريعة . وكان لطراز « أوزا » حمولة مائة وستين طنا زوجان من قاذفات الصواريخ ، أما طراز « كوماز » فكان له زوج واحد فقط ، وتبلغ سرعة كليهما أربعين عقدة .

أن الاقتصاد القومي المصري الذي لم يكن أبدا متينا قد أصيب بكمية قاسية بعد حرب يونيه . فقد كانت قناة السويس مغلقة مما خسرت معه البلاد قرابة الأربعة والسبعين مليون جنيه سنويا . وكانت آبار البترول الصغيرة على الشاطئ الغربي جنوبي سيناء في أيدي الاسرائيليين ، كما نضب العين السباحي ، كما أن محصول القطن الذي يعتبر دعامة أساسية في الاقتصاد لم يكن بالحصول الناجح في عام ١٩٦٧ ، حيث أصابت الدودة جانباً منه ، كما أن معظمه على أي حال كان مرهونا للاتحاد السوفيتي مقابل ما قدمه لمصر من عتاد وفي ميزانية يوليه زبدت الضرائب ، وازدادت الادخارات العمالية الاجبارية بنسبة خمسين في المائة ، وفرضت رسوم اضافية على السلع الكمالية المستوردة . . . ويشجعون المصريين الآن ، على سبيل المثال ، على تناول « المكرونة » بدلا من الارز الذي كان من المنتظر أن يزيد من النقد والارصدة لقد كانت تصرفات الاتحاد السوفيتي متناقضة ظاهريا : فقد عالج الهزيمة بقبض من الأسلحة الحديثة التي أخذت تتدفق على مصر ، وفي نفس الوقت بدأ اغلاق قناة السويس ، ولو لفترة معينة ، الأمر الذي يعنى أن مساعدته العسكرية لفيتنام يجب أن يتم شحنها الى هناك عن طريق رأس الرجاء الصالح الى هايفونج ، وهو رحلة بحرية طوالها أربعة عشر ألف ميل بدلا من سبعة آلاف ، حيث أن الحكومة الصينية لم تكن لتسمح بإرسال العتاد السوفيتي عبر أراضيها . وظل الاتحاد السوفيتي لعدة شهور يظهر القليل من الاهتمام بتسوية الشرق الأوسط ، وبالرغم من أنه لم يكن بحاجة الى البترول في الشرق الأوسط الا أنه كان مهتما بحرمان الدول الغربية منه . وازداد الوجود البحري السوفيتي في البحر المتوسط بدرجة أنه كان فيه للسوفيت في يناير ١٩٦٨ قرابة الخمسين سفينة سوفيتية تغطي على قطع الأسطول السادس الأمريكي .

كانت اسرائيل دولة أصغر بكثير من مصر سواء في الحجم أم في تعداد السكان ، إذ تتكون من ٧٩٩٢ ميلا مربعا قبل حرب يونيه ، وكان تعدادها يقدر نحو ٢.٣ مليون يهودي (بالإضافة الى حوالي الثلاثمائة ألف عربي يقيمون بـ اسرائيل) . وعلى النقيض من الشعب المصري ، تم اعداد وتكييف الشعب الاسرائيلي للحرب ، وظل على ذلك لعدة سنوات . . . وكان من الممكن تعبئة قرابة المائتين وأربعة وستين ألفا في القوات المسلحة خلال اثنين وسبعين ساعة ، وكانت نسبة النساء من بينهم ثلاثين في المائة لقد ولدت اسرائيل وسقط العناء والمتاعب ، وظهرت الى عالم الوجود كدولة في عام ١٩٤٨ . . . وهزمت جنود العرب مرة ثانية في عام ١٩٥٦ . كذلك هزمت اسرائيل الجنود المصريين في سيناء . ولما كانت اسرائيل أصغر وأضيق من أن تستطيع أي دفاع في العمق ، كانت سياستها الدفاعية تقوم على الهجوم ونقل الحرب الى الدولة العادية ، وهذا ما نجحت فيه كثيرا . وكانت قابلية التحرك والسرعة والضربة المسلحة هي العوامل الأساسية في الاستراتيجية الحربية الاسرائيلية

التي كانت قد خططتها وأشرفت على توجيهها هيئة أركان الحرب الاسرائيلية الناشئة ولكنها ايضا على كفاءة ودراية وسلامة تفكير . لقد اضافت حرب يونيه الى اسرائيل ستة وعشرين ألف ميل مربع من الاراضي ، كما اضافت اليها مليون عربي تحت ادارتها . أصبح لاسرائيل الآن مجال أوسع لتقوم فيه بمناورتها ، وكانت سيناء ذات قيمة خاصة بالنسبة لها . . . كذلك كانت خطوط وقف النار اقصر عدة أميال عن حدود ما قبل حرب يونيه ، واضيق وأكثر امكانية في الدفاع . . . والمثال على ذلك قناة السويس .

واحتفظت اسرائيل بنظام الأولوية كنشكيل ميداني أساسي ، وكان هناك واحد وثلاثون لواء في حالة تعبته كاملة ، من بينها اثنان وعشرون لواء مشاة (منها اثنان لهما مقدرة فرق المظلات) وثمانية ألوية مدرعة ، ولواء مظلات . . . وكانت مهمات الجيش الاسرائيلي متنوعة ، والكثير منها قديم حيث انه قد تم جمعها حيثما أمكن ، لأهواء واتجاهات الموقف السياسي العالمي الراهن وقبل حرب يونيه كانت اسرائيل تمتلك حوالي الثمانمائة دبابة ومائتين وخمسين مدفع ذاتي الحركة وثلاثمائة عربة من الطراز الأمريكي « م - ٣ » .

أما العتاد الذي خسره في حرب يونيه فكان قليلا جدا ، وتم لها تعويض معظمه بما استولت عليه من عتاد مصري أو بذلك الذي تركه المصريون وراءهم .

ويرجع كثير من الفضل في نجاح اسرائيل في حرب يونيه الى الجنرال رابين ، رئيس هيئة أركان الحرب ، والى أسلافه والى هيئة أركان الحرب الذين جعلوا من قوات الدفاع الاسرائيلية تلك الأداة الرائعة التي أثبتت كفاءتها . . . وكانت لهيئة أركان الحرب سيطرتها على القوات الجوية وكذلك على كل من البحرية والجيش . . . أما وزير الدفاع ، موسى ديان ، والذي كان من قبل رئيسا لهيئة أركان حرب ، والذي يعتبر شخصية لامعة ، فإنه لم يظهر من جديد على المسرح الحربي الا عشية قيام الحرب . . . ولكن قيادته ونزغته للمعركة عرسستا في الاسرائيليين الجراءة والثقة سواء منهم العسكريين أم المدنيين ، وذلك في الوقت المناسب . وأما رئيس الوزراء ، ليفي اشكول ، فقد حجبه الظلال ، وكان موضوع اللوم والاستخفاف ، لأنه وإن كانت تعوزه القدرة على البت في الأمور عندما كانت الطوارئ تتطلب مثل هذا البت ، بل كان يشجع اجماع الرأي قبل أي شيء ، فقد كان داهية كرجل دولة وكسياسي عمل الكثير من أجل اسرائيل وخاصة عندما كان وزيرا للمالية .

وفي الثالث من ديسمبر تخلى الجنرال رابين عن منصبه كرئيس لهيئة أركان حرب بعد أن أدى رسالته فيها لفترة طويلة ، وعين سفيرا لاسرائيل في أمريكا . وحل محله الجنرال حاييم بارليف ، نائب رئيس هيئة أركان حرب ولما كان سنه وقتئذ ثلاثة وأربعين عاما ، فقد اعتبر تعيينه استمرارا لتسولي الشباب مثل هذا المنصب . والجنرال بارليف مولود في النمسا ، وتلقى

تعليمه في يوجوسلافيا ، وجاء في فلسطين في عام ١٩٣٩ ، وختم في (الهاجانا) قبل أن ينضم الى قوات الدفاع الاسرائيلي بعد أن تكونت لأول مرة في حرب ١٩٤٨ . وكان يتولى قيادة لواء مدرع في حرب ١٩٥٦ ، كما كان ايضا مديرا للعمليات ، وهذا يعنى اشتراكه لعدة اعوام في فريق التخطيط وبذلك كان هناك استمرار لسياسة الاستراتيجية الاسرائيلية والتخطيط . . . وفي اول يولييه ١٩٦٨ عين ايجال الون نائبا لرئيس الوزراء ، وكان من قبل قائدا للواء بالمناخ المعروف في عام ١٩٤٨ ، وكان لهذا التعيين مغزاه لدى كل من الروس والعرب ، حيث كانوا يشعرون بأنه على المرعى الطويل يعتبر الون أشد خطورة عليهم من موسى ديان رغم أن الون يمتاز عن زميله بالهدوء والحرص على مشاعر الغير .

وفي فبراير ١٩٦٨ أعلنت في مصر احكام المحكمة العسكرية التي كانت تحاكم ضباط الطيران الأربعة ، وفيها صدر الحكم على محمد محمود صدقي القائد السابق ، بالسجن خمس عشرة سنة ، وعلى زميله اسماعيل لبيب بالسجن عشر سنوات ، بينما حكمت ببراءة جمال عفيفي ، الرئيس السابق لهيئة اركان الحرس الطيران ، وعبد الحميد دغيدى قائد المنطقة الشرقية السابق .

وفي اذهان الشعب لم يعد عبد الناصر مرتبطا مباشرة بالهزيمة العسكرية واصبح الشعور السائد الان في مصر أن القوات المسلحة قد أغرقت البلاد . وبعد ايام قليلة ، أي في الحادي والعشرين ، تظاهر عمال المصانع بحلوان (على بعد ١٥ ميلا جنوبى القاهرة) . . . وحدث بعد ذلك في عطلة الأسبوع في يومى ٢٤ ، ٢٥ فبراير أن وقعت اضطرابات في القاهرة ، ومعظمها من جانب الطلبة ، احتجاجا على ما ظهر من تساهل من جانب المحكمة العسكرية وانتهز بعض الطلبة هذه الفرصة ليطلبوا بالعودة الى الحكم البرلماني ، وحرية الكلمة ، وبالمزيد من المشروعات الخاصة . وكان لايزال هناك كثيرون في مصر يريدون إعادة توجيه السياسة المصرية بعيدا عن الوحدة العربية الى وحدة لوادي النيل . . . وقد أصيب ستون من رجال الشرطة وعشرون من الطلبة ، واعتقل - الكثيرون من الطلبة ، وأغلقت بعض الجامعات . . . ولم يرد الا النذر اليسير من أنباء هذه الاضطرابات في الصحافة المصرية الخاضعة للرقابة . . .

أثارت هذه المظاهرات قلق الحكومة . وبعد اجتماع لمجلس الوزراء في السادس والعشرين من فبراير ، قرر الفريق فوزى ، الذى تولى وزارة الدفاع خلفا لأمين هويدى ، عدم التصديق على الأحكام ، بل أمر بإعادة المحاكمة ، وبديهي أن هذا اقرار قد جاء نتيجة لضغط الراى العام .

وفي الثالث من مارس ، خطب عبد الناصر في اجتماع للعمال بحلوان وقال أن المظاهرات الاخيرة إنما ترجع الى الكثير من سوء الفهم . وقال أيضا أن هناك حزبا مناهضا للثورة ومنظما يترقب الفرصة للوصول الى السلطة . . .

ولما كان مصنع خلسوان يعد نموذجا للمجموعات الصناعية لذلك كانت المظاهرات أو القلاقل فيه مدعاة لمضاعفة قلق الحكومة . . .

وفي العشرين من مارس أعاد عبد الناصر تشكيل الحكومة ، مستبعدا منها عدة ضباط من بينهم زكريا محيى الدين الذى كانت له آراؤه اليمينية المتطرفة ، وعلى صبرى المعروف بأرائه اليسارية المتطرفة . . . وادخل في الوزارة أربعة عشرة من المدنيين من بينهم مهندسون ومثقفون ورجال بنوك ومهنيون وهكذا أصبح للوزارة الجديد طابع نغلب فيه « التكنولوجيا » على « العسكرية » . . .

وفي السادس والعشرين من اغسطس فقط أعلنت مرة أخرى بعض احكام المحكمة العسكرية ، ونضمت السجن المؤبد لخمسة أشخاص والسجن لأشخاص عديدين ، وتبرئة خمسة عشر شخصا . أما من كبار ضباط الطيران الأربعة ، فقد زيدت مدة السجن - بالنسبة الى صدقي ولبيب ، وأعيدت تبرئة كل من عفيفي ودغيدى . . . وفي هذا الوقت كانت قد انقشع الاحتجاج عن الموقف ، ولم يقابل اعلان الاحكام باحتجاج عام او بأى رد فعل آخر .

وجه عبد الناصر اهتمامه الى الاتحاد الاشتراكي العربى ، وهو الحزب السياسى الوحيد المسموح به في مصر . . . وفي الثلاثين من مارس ١٩٦٨ أعلن أنه يتعين إعادة تشكيله بحيث تكون جذوره قائمة على أساس اقتراع شعبى ، وأن يجرى استفتاء حول مقترحاته في مايو . وعهد الى على صبرى بإعادة التنظيم ، وكان الهدف منه رسميا حشد جميع القوى العسكرية والاقتصادية والايديولوجية ضد العدو ، ولتعبئة جموع الشعب وامكانياته وطاقاته . . . وفي الثانى من مايو كانت نتيجة الاستفتاء ٩٩.٩ فى المائة من الأصوات المؤيدة . ولكن كان القول الذى يتردد هو أنه لن تجرى انتخابات الا بعد هزيمة الاسرائيليين .

ظلت مصر دولة ذات حزب واحد ، وأخذ عبد الناصر يحشد العرب ضد اسرائيل ، وفي الثلاثين من ابريل أعيد اللواء طلعب حسن رئيسا لهيئة اركان حرب القيادة العليا العربية الموحدة ، وهي هيئة عليا تهدف الى تعبئة وتوجيه الجهود الحربية لمائة وعشرة مليون عربى ضد اسرائيل . . . وقد ظل هذا المنصب شاغرا منذ حرب يونيو .

وبالرغم من وصول بعض شحنات من صواريخ « سام ٢٨ » الى مصر ، فإن تدفق الاسلحة السوفيتية قد تباطأ الى حد كاد يكون توقف ، مما دعا عبد الناصر للقيام بزيارة للاتحاد السوفيتى في يولييه حيث أجرى محادثات مع الزعماء - السوفييت ، وطلب مزيدا من الاسلحة الثقيلة بالقدر الذى ينفل له التفوق على الاسرائيليين ، ولكن الروس رفضوا بحجة أنه لم يكن قد استوعب بعد ما سبق ارساله اليه من أسلحة . . . وبعد عودته بوقت قليل الى مصر طار ثانية الى الاتحاد السوفيتى الى جورجيا - للعلاج الطبى حيث

مكث هناك اسبوعين . لقد ساند الزعماء السوفييت بالكلام ، وأن كانوا ترددوا في ارسال الأسلحة اليه . ولكن ما لبثوا أن رقت قلوبهم ولكن الى حد ما . . وفي أكتوبر قيل أن بعض صواريخ سام قد أرسلت الى مصر مع بعض المشرفين الفنيين ، وبعض المدافع المضادة للطائرات عيار ٥٧ مم يتم توجيهها بالرادار ، وبعض مدافع للطائرات وبعض الصواريخ أرض أرض .

وخلال النصف الأول من العام ١٩٦٨ كانت جبهة قناة السويس بكامل طولها هادئة رغم ما يكتنفها من جو التوتر ، فلم يكن هناك سوى القليل من العمليات الى جانب القصف المتقطع . ولكن القصف الثقيل في يوليه وسبتمبر وأكتوبر أدى الى أعمال النار . ففي الثامن من يوليه وقعت أول معركة بالمدفعية بمنطقة مدينة السويس ، وأدعى المصريون أن ثلاثة وأربعين من المدنيين لقوا مصرعهم وأن سبعين أصيبوا بجراح الى جانب تدمير مائة وخمسين منزلا . وأدعى الاسرائيليون أن المصريين هم الذين بدءوا بإطلاق النار وأنهم اضطروا للرد عليهم ، غير أن المصريين نفوا ذلك .

ووقع تبادل القصف الثقيل الثاني في الثامن من سبتمبر واستمر حوالي أربع ساعات وامتد بطول معظم الجزء الجنوبي من القناة ، وغالبا ما كانت القذائف تصيب أهدافها في مواقع كلا الجانبين ، ولأن القذف قد بدأ على أثر كمين نصبه « الكوماندو » المصريون لدورية اسرائيلية ، وبلغ عدد القذائف التي أطلقت (وفقا للتقديرات - الاسرائيلية) اثنتى عشرة ألف قذيفة على جبهة طولها عشرون ميلا على الجانبين . وفي هذه المرة أدعى المصريون أن خسائرهم كانت عشرة قتلى منهم خمسة جنود من المدنيين ، الى جانب ثلاثين من الجرحى ، بينما وقف أضرار جسيمة للمنازل والمنشآت بميناء السويس وبور توفيق . وقالوا أنهم الحقوا أضرار بالمواقع والمهمات الاسرائيلية ودمروا أربعة عشر دبابة وعربة مصفحة . واعترف الاسرائيليون بأن قتل من رجالهم عشرة وأصيب ثمانية عشر بجراح . وفي العاشر من الشهر قيل (وفقا لتقديرات اسرائيل أن المصريين أطلقوا عشرة آلاف قذيفة على المواقع الاسرائيلية بطول الضفة الشرقية . وشعر الاسرائيليون بالذعر (ازاء كمية الذخيرة التي أطلقت عليهم من حيث كونها بمثابة مقدمة للعبور بالقوة ، ومن ثم استدعت اسرائيل المزيد من الاحتياطي ودفعت بلواء آخر الى منطقة متلا .

وخلال الصيف حاول المصريون بعض العمليات القليلة لعبور القناة ، وتم معظمها ليلا وبمجموعات صغيرة ، وكان هدفها الأساسي بث الألفاسم والعودة فورا الى مواقعها على الجانب الآخر من الممر المائي على طريقة الفدائيين الذين كانوا يقيمون بتكتيك مماثل في اسرائيل عن طريق الاردن . وبعد ذلك حاول المصريون نصب كمائن صغيرة ادعوا أنهم حققوا فيها بعض النجاح ولكن كان من الصعب تقدير مدى هذا النجاح وظل الاسرائيليون يلتزمون الصمت لعدة أسابيع حول هذه الناحية رغبة منهم في عدم إثارة القلق بين قوتهم الامامية . وعلى أية حال ، اعترفوا في السادس والعشرين من أغسطس

بحدث كمين وقع في الجانب الذي يحتلونه من الضفة الأخرى بأعماه على مفرجة ثلاثة أميال جنوبى البحيرات المرة الجرى ، حيث نصب المصريون كميناً لاحدى سيارات الجيب أسفر عن مقتل جنديين و « اختطاف جندي آخر » .

وفي ساعة متأخرة من بعد ظهر السادس والعشرين من أكتوبر بدأ تبادل القصف بالمدفعية من جديد عبر القناة ، وكان أعنف ما شهدته المنطقة ، وامتد القصف كاندلاع النيران بين القنطرة وميناء السويس واستخدمت أيضا في هذه المناسبة صواريخ « كايوشا » . وأخذ الاسرائيليون على غرة ، وقتل بعض الجنود بينما كانوا يعبون كرة القدم وراء مواقعهم . وكان الاسرائيليون هم الذين بدءوا وقف إطلاق النار بعد أن خسروا ثلاثة عشرة قتيلاً وأربعة وثلاثون جريحاً . وتلك هي أفدح خسارة لحقت بهم منذ اعراق المدمرة ايلات وقال المصريون أنهم فقدوا اثنتى عشر قتيلاً ، وأن الكثير من المنازل قد دمر وأصيب بالاضرار ، ولكنهم ادعوا أن خسائر اسرائيل تضمنت عشر دبابات ، وأربعة عشر عربة ، وعشر مواقع للصواريخ وثمانية وعشرين موقعا للمدافع الرشاشة ، وستة عشر مركزا للمراقبة ، وثلاثة مواقع قيادة ، وستة مستودعات للوقود والذخيرة ، وثلاثة مدافع ١٠٦ مم . واشتعلت النيران في ثلاث مستودعات لتخزين البترول في السويس حيث سبق أن اشتعلت النيران في أكتوبر ١٩٦٧ في احدى معملى التكرير وقام الروس بإعادة بنائه . وحتى هذه اللحظة لم يحاول الاسرائيليون إطلاق قذائف عليه خشية أن يلحقوا بالسوفييت أية خسائر . وجاء بعد ذلك في تقرير للأمم المتحدة (بتاريخ ٢٨ أكتوبر) أن المصريين هم الذين بدأوا الهجوم وأنهم رفضوا ثلاث مرات الاستجابة لطلب الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار .

وتحت ستار إطلاق النار الذي استمر عدة ساعات عبرت مجموعة صغيرة من المصريين القناة بالقرب من الاسماعيلية وتغلغلوا على طول الطريق الى متلاحيث قاموا قرب منتصف الليل بتنصيب كمين لعربيتى جيب اسرائيليتين وأصابوا أحد الجنود بجراح قبل انسحابهم ليعبروا القناة عائدين الى مواقعهم قبل الفجر . وشعر المصريون بالزهو وهم يشيرون الى هذا الحادث ويسمونه « عملية ممر متلا » ، وشعرو بأنهم قادرون على تكثيف القصف بالمدفعية وبأنهم - وهذا هو الأهم - قادرون أيضا على أن يعودوا الى عبور القناة . وهذا عمل هجومى استشعروا به صلاحيتهم ، كما أنه رفع من معنويتهم . .

وهنا كانت الغلبة للمصريين الذين أخذوا الاسرائيليين على غرة وأصابوهم بهزة وقدرت هيئة أركان الحرب الاسرائيلية أن المصريين استخدموا في هذه العملية ستمائة مدفع وبعض الصواريخ . ولم يستخدم الاسرائيليون سوى لوائين من المشاة تعدادها حوالى العشرة آلاف موزعين على جبهة طولها مائة وعشرة من الأميال . تتخللها مواقع دفاعية بطول الضفة ، وكانت الدوريات هي التى تتولى الخفارة ، بين راجل وراكب ، مع الاعتماد على مجموعات - صغيرة متنقلة من اللوائين المدرعين المرابطين على بعد يتراوح بين

العشرين والثلاثين ميلا على حافة التلال المنخفضة ، وذلك لصد أية عمليات انزال للعدو . وعندما تطلب الموقف تدخل المدفعية المضادة دفعت اسرائيل الى القناة بمدافعها التي كانت معظمها « هويتزر » ذاتي الحركة . عيار ١٥٥ سم مثبتة على شاسيهاث شيرمان « م - ٤ » الأمريكية ودبابات « ا - م - اكس » المزودة بمدافع هويتزر عيار ١٠٥ . وكانت كلها تغير مواقعها باستمرار بعد اطلاق النار ، حتى اذا انتهت من عملها اعيدت الى مسافة عدة اميال حيث تظل مغطاة في انتظار القيام بمهمة أخرى .

وكان الرد الاسرائيلي في الثلاثين من اكتوبر ليلا بغارة عميقة داخل مصر بقوات تنقلها طائرات الهليكوبتر تستهدف تعطيل المنشآت في نجع حمادى وبالقرب منها ، (ويبلغ تعداد سكانها حول العشرين الفا) وتقع على نهر النيل على مسافة ١٤٠ ميلا من البحر الأحمر ، حيث نسفوا محطة المحولات التي تتحكم في كابلات الضغط العالي بين القاهرة واسوان . وكان من الاهداف الاخرى قناطر نجع حمادى وقناطر قنا (ويبلغ تعدادها حول الاربعين الفا) واهوسة الرى المجاورة ، وتم تدمير معظمها تدميرا جزئيا . وتقع مدينة قنا على مفترق الطرق الممتدة من منطقة البحر الأحمر والممتدة من الشمال الى الجنوب بوادى النيل . . . وأعلنت اسرائيل أن جميع قواتها عادت سالمة ، ونشرت صورا للأضرار التي أحدثتها ، وأكد أن الهدف من الغارة كان « اظهار قدرة القوات الاسرائيلية على الرد على العدوان المصرى وردعه » . واعتشرف الاسرائيليون بعد ذلك أنه قد استخدمت في هذه العملية السفن وطائرات الهليكوبتر وسيارات الجيب .

وكان من المعروف أن لدى اسرائيل على الأقل ثلاث طائرات - هيليكوبتر فرنسية « سوبر فريلون » فى مقدرتها حمل ما يقرب من الثلاثين جنديا مدججين بكامل سلاحهم وتصل الى مدى ٣٠٠ ميل تقريبا ، وعدد قليل من طائرات سيكورسكى « يو - ٥ - ٣٤ » التي يمكنها أن تحمل ثمانية عشر جنديا بكامل مهماتهم الى مدى ١٤٠ ميلا . وقد استخدمت فى الغارة طائرات « سوبر فريلون » وكانت كل واحدة تحمل مجموعة من الكوماندوز الاسرائيليين ممن تم اختيارهم ليتعاملوا كل مع واحد من الاهداف . . .

وصدمت هيئة اركان حرب المصرية من جراء هذه الغارة التي تغلغت الى العمق ، وأبت التسليم بأن القوات الاسرائيلية نزلت داخل البلاد ، وأصرت على أن الأضرار وقعت نتيجة لقصف جوى ونيران الصواريخ ومن يواعث القلق أيضا أن الاهداف كانت على خط المواصلات من الشمال الى الجنوب بين القاهرة واسوان ، والمسافة بينهما تقرب من الخمسمائة والستين ميلا على طول وادى النيل . وكثيرا ما يتحدث المصريون عن السد العالي بقولهم « أنه مستقبلنا » . وهو السد الذى تعتمد عليه مصر كثيرا والذى قد تم انجازه ستة وتسعين فى المائة منه . وكان من المتوقع بانجازه زيادة الرقعة الخصبة فى اعالي وادى النيل بما يقرب من مليون ونصف المليون هكتار مع

مضايقة المحصول فى أربعة ملايين أخرى . وفى الثالث من نوفمبر أعلن أنه سيتم تكوين جيش دفاع شعبى على غرار الحرس الوطنى الذى كان قد أنشئ فى بريطانيا خلال الحرب ، وذلك لحماية المنشآت والمرافق . . .

وبعد غارة نجع حمادى ، خفت وطأة المصريين على جبهة قناة السويس ، ومرت خمسة أشهر قبل وقوع قصف جديد بالمدفعية بالغ العنف . . .

وبالرغم من كفاءة المخابرات الاسرائيلية فقد صدمت أيضا كل من هيئة اركان حرب الاسرائيلية والحكومة عندما أصبح واضحا لها أن - المصريين قد تلقوا وحشدوا على طول القناة مزيدا من المدافع ومعظمها من عيار ١٥٥ بل وأكثر بكثير مما كانوا يتوقعون ، ومن ثم أخذ الاسرائيليون يعملون فى حمة ونشاط « لتقوية » دفاعهم الامامية فى القناة . فقد اظهرت غارة نجع حمادى المدى الذى يمكن للاسرائيليين أن يصلوا اليه . وفى الوقت نفسه جعلت هيئة اركان حرب المصرية أقل اقداما . ولو أنها على العكس ، سلكت موقفا أكثر جرأة وبسالة وواصلت قصفها للاسرائيليين الذين لم تكن لديهم الوفاة الكافية على الضفة الشرقية وأمطرتهم وابلا بالقصف المستمر بالمدافع لكان من المحتمل جدا أن تجبر الاسرائيليين على الانسحاب بعيدا عن مرمى المدفعية المصرية . ولو كان حدث ذلك لأصبح هناك حزام عرضه حوالى العشرين ميلا على طول الضفة الشرقية من القناة . ولكن من المجازفة أن يتبقى به القوات الاسرائيلية لفرة طويلة وبأى عدد كان . وبذلك يكون من من السهل جدا على الكوماندوز المصريين القيام بعمليات الانزال أو الهجوم . لقد أخفق المصريون فى استغلال مثل هذه الميزة التكتيكية ، وبالتالي أضاعوا احدى فرصهم الكبرى فى هذه الحرب عبر قناة السويس عندما كانت فى مراحلها الاولى .

كان الاتحاد السوفيتى قد عوض وقتئذ ما يقرب من الثمانين فى المائة من العتاد الذى خسرت مصر فى حرب يونيو . وبتوزيع الأسلحة الجديدة وبإعادة تشكيل الوحدات وتدريبها بدأت تسرى فى الجيش روح جديدة من الثقة التي أخذت تخول الى روح عدوانية .

وبينما كان من المسلم به ضمنا أن المصريين قصد لا يكونوا مستعدين لمواجهة الاسرائيليين فوق ميدان المعركة قبل عام ١٩٧٠ ، اذا بالجيش الذى كان قد منى بهزيمة ساحقة قبل ذلك بستة عشر شهرا فقط قد أصبح الآن يتحدى الجيش الاسرائيلي طلبة بطلقة ، وأصبحت له القلب وأخذ يستشعر الزهو والفخار من جديد . . .

وكل هذا القتال عبر قناة السويس يتعين علينا أن ننظر اليه من منطلق أكثر اتساعا فى الشرق الأوسط . لقد أخذ الفدائيون يصعدون من جديد حيث بدأ نشاطهم فى حرب العصابات ومن ورائهم المساندة والمؤازرة السورية . لقد فشلت أول محاولة لهم للتسلل الى الضفة الشرقية التي

أصبحت الآن تحت الاحتلال الاسرائيلي والتي كان الاسرائيليون قد استأصروا فيها الفدائيين الفلسطينيين منذ أواخر عام ١٩٦٧ . وكان في ذلك ما اضطّر معه الفدائيون الى القيام باغارات فدائية والتسلل داخل اسرائيل عن طريق الاردن مما اثار عمليات الانتقام من جانب اسرائيل وقام الاسرائيليون بغارة انتقامية كبيرة على « الكرامة » ، وهي قرية اردنية بالقرب من خط وقف إطلاق النار الاسرائيلي ، وكان قد استقر بها في مارس ١٩٦٨ قرابة الثلاثة آلاف من الفدائيين معظمهم تحت التدريب ، غير أن هذه الغارة الانتقامية لم تحقق سوى نجاحا جزئيا ، فهي إذ أجبرت الفدائيين على الانسحاب الى بضعة أميال بعيدا عن متناول الاسرائيليين ليتجنبوا انتقامهم ، كانت في الوقت نفسه بمثابة نصر للفدائيين عن طريق الدعاية لهم .

وخلال بقية عام ١٩٦٨ اجتاحت العالم العربي موجة من الحماس للنشاط الفدائي وبانتهاء هذا العام كانت « فتح » وهي أكبر منظمة فدائية تضم ما يربو على العشرين ألف فدائي ، بينما تدفقت عليها الأموال والأسلحة من كافة المصادر ، لقد كانت فترة سجلت توسعا سريعا للمنظمات الفدائية التي تضاعفت عددها فأصبح حول العشرين منظمة ، كل مستقلة عن أخرى ، وكانت لمعظمها أهداف وايديولوجيات متباينة ، ولكنها كرسست نفسها جميعا لهدف واحد هو إسقاط اسرائيل .

كانت الحدود الاسرائيلية مع لبنان هادئة ، كذلك كانت حدودها مع سوريا التي رفضت أن تسمح لنفسها بأن تكون قاعدة انطلاق للعمليات الفدائية ضد اسرائيل حتى تتفادى انتقامها ، ولكن حدود اسرائيل مع الاردن كانت تتسم بالتوتر حيث استغل الفدائيون ما كان عليه الموقف في الاردن من ضعف ، عسكريا وسياسيا ، وسرعان ما اصطدم الفدائيون في الاردن بجنود الملك حسين في شوارع عمان ، حيث كان الفدائيون يسرون بملازمهم الرسمية وحاملين أسلحتهم ، لقد اعتقد الفدائيون أنهم محررون من أية قيود وطنية ، وطالبوا بحرية الحركة وبالمساعدات ، وبعد الاصطدامات التي وقعت بينهم وبين قوات الأمن الاردنية وقف الرأي العام العربي الى جانب الفدائيين ، مؤيدا لأفكارهم ، مما حدا بالملك حسين لأن يعقد معهم « اتفاق نوفمبر » ، والواقع أنه كان اتفاق يتمثل في مبدأ « أن تعيش وتترك غيرك يعيش كما أنه لم يكن ليمنحهم أي شيء الا ما وجد نفسه مجبرا على منحه ، وذلك بدلا من استخدام القوة لاختصاصهم » . وفي مصر سعى الرئيس عبد الناصر الى جمع الزعامات الفدائية المختلفة والسيطرة عليها ، والى أن يجعل من القاهرة مركزا للقيادات العامة لمناورات الفدائيين ، ولكنه ما كان ليسمح لهم بأن يقوموا بعملياتهم من الارض المصرية أو أن يمنحهم ذلك النوع من الحرية التي كانوا يحاولون الحصول عليها عنوة في البلاد العربية الأخرى .

٣ - البحث عن الأسلحة

« الحرب هي الفرصة الوحيدة الباقية » .

محمد حسنين هيكل - رئيس تحرير الاهرام

بعد الغارة على نجع حمادى في اكتوبر ١٩٦٨ ، خمد الاحتكاك بطول خط قناة السويس لعدة أسابيع ، مما اتاح لكل من مصر واسرائيل مواصلة الاستعدادات الحربية ومحاولة الحصول على مزيد من الأسلحة .

ولكن كانت لدى كل من البلدين مشاكله السياسية التي كان عليه ان يعمل للتغلب عليها ، ففي مصر تفجرت في الحادى والعشرين من نوفمبر أعمال الشغب من جانب الطلاب فى المنصورة بالدلتا . . . وقد بدأها طلبة المدارس العليا وسرعان ما انضم اليهم طلبة الجامعة وكان على الشرطة أن تندخل بالقوة ، وانتهى اليوم بمقتل أربعة أشخاص واصابة ما يزيد على الأربعين . . . وطالب المنظمون باصلاح التعليم ، والغاء « البوليس السرى » والرقابة ، وبمزيد من الديمقراطية البرلمانية . . . وامتد رد الفعل سريعا الى جامعة الاسكندرية حيث تم استدعاء الشرطة للتعامل مع الطلبة الذين « اعتصموا » بالجامعة ومع غيرهم من المنظمين . . . وفى الرابع والعشرين أغلقت كل الجامعات فى مصر وكذلك المعاهد الدراسية العليا وعددها أربعة عشر ، وذلك الى حين صدور تعليمات أخرى ، وفى الخامس والعشرين انتقلت الاضطرابات من جامعة الاسكندرية الى الشوارع ، حيث انضم العمال الى الطلبة ، وقبل أن يبدأ الموقف كان عدد الضحايا قد بلغ ستة عشر قتيلا وما يزيد على المائة جريح .

وفى اليوم التالى ، أى فى السادس والعشرين ، أخذت الطائرات الحربية وطائرات الهيليكوبتر تحلق على ارتفاع منخفض فوق القاهرة فى استعراض للقوة لارهاب من تحدته نفسه بالشغب ، كما فرضت الرقابة على الأنباء الصحفية المرسلة الى الخارج . . . وصرح محمود رياض ، وزير الخارجية ، فى حديث صحفى بأن اضطرابات المنصورة والاسكندرية إنما هى جزء من وباء عالمى لم يؤثر فى بقية أنحاء مصر ، بينما قام هيكل رئيس تحرير الاهرام فحذر المصريين فى صحيفته من الاستخفاف أكثر من اللازم بهذه الاضطرابات . واجتمعت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربى لبحث ما تنطوى عليه .

وفى الثانى من ديسمبر القى الرئيس عبد الناصر خطابا امام مؤتمر الاتحاد الاشتراكي العربى فى اجتماعه الذى عقده خصيصا لذلك ، وفيه أعرب عن دهشته لتصرفات الطلبة وألقى باللائمة على الانتهازيين والعناصر

غير الوطنية ، وعلى ، العميل الاسرائيلي ، الذي تسلسل الى صفوف الطلبة . .
وبعد يومين صرح امام نفس المؤتمر أن التسوية السياسية تعني أن اسرائيل
لن تبقى على شبر واحد من الارض في أي قطر عربي . وفي الثامن من
الشهر أعلن أن مصر قد تكون مستعدة للموافقة على وجود قوات أخرى من
الأمم المتحدة في إطار تسوية عامة في الشرق الاوسط .

لم يكن المصريون قلقين كثيرا ازاء موقف روسيا ، ولكنهم كانوا في
حيرة أمام موقف أمريكا فيما يتعلق بالشرق الاوسط . وأن الذي أمكن
استخلاصه على ضوء مقالات الصحفي هيكل ، والتي كانت تعتبر بوجه عام
أنها تعكس أفكار عبد الناصر الخاصة ، هو أن النفوذ السياسي الأمريكي في
الشرق الاوسط قد أخذ يتضاءل ، وأن الوجود السوفيتي المتزايد قد أخذ
يهدق بحلف الاطلنطي في وقت أدرك فيه الغرب مدى ضعفه بعد غزو
السوفيت لشييكوسلوفاكيا في الصيف . . وكتب هيكل ، وهو يستخلص
استحالة تسوية سياسية مع اسرائيل ، وضرورة أن تكون الاولوية المطلقة
لإعادة بناء القوات المسلحة المصرية ، فقال : في مارس ١٩٦٨ ، كانت
المواحة العسكرية مع اسرائيل لتحرير الارض واحدا من العديد من الحلول
البديلة . . وفي سبتمبر ١٩٦٨ كانت هي الامكانية الوحيدة الباقية . .

وكان عبد الناصر وقتئذ مؤمنا بأن ضغطا مشتركا من جانب كل من
السوفيت والعرب قد اقنع أمريكا بإعادة النظر في برنامج مساعدتها لاسرائيل
وهو رأى شجعه رفض الرئيس جونسون امداد اسرائيل بطائرات الفانتوم .

وفي أكتوبر ، جرت في الاتحاد الاشتراكي العربي الانتخابات على
مستوى لجنة عليا ، وذلك كمرحلة تالية فيما قام به عبد الناصر من إعادة
النظيم السياسي للاتحاد ، وتم انتخاب أنور السادات سكرتيرا سياسيا
فقط ، بينما انتخب على صبرى مجرد سكرتير لاحدى اللجان التنظيمية
الفرعية . . ورغم أن السادات ، وبالتأكيد أيضا صبرى ، من الأوفياء لعبد
الناصر ، فإن ذلك لم يكن تماما ما كان يريده ، ولذلك عمل على تأجيل
الانتخابات التنفيذية الأخرى ، الأمر الذي أبقى على السلطة في يد على
صبرى . . غير أن صبرى تعرض بعد ذلك بقليل لأزمة قلبية مما اضطره
لأن يتوارى لفترة عن المسرح السياسي .

وفي الثامن من يناير ١٩٦٩ توجه المصريون الى صناديق الانتخابات
لمجلس أمة جديد وتلك هي المرحلة الختامية فيما وعد به عبد الناصر من
اصلاح سياسي . . وفي العشرين من الشهر ، ألقى خطابا أمام الأعضاء
الجدد قال فيه أن الحل السياسي للنزاع العربي الاسرائيلي مستحيل ما لم
يدرك العدو أن في إمكان العرب إجباره على الانسحاب بالقتال وكان عبد
الناصر يعتقد بأن أي زعيم عربي قد يحاول في هذه المرحلة عقد صلح مع
اسرائيل سيلقى لا محالة نفس المصير الذي لاقاه عبد الله ملك الاردن ، الذي
قتل في عام ١٩٥١ عندما نسب اليه أنه حاول التوصل الى اتفاق مع

اسرائيل . . أن عبد الناصر يتمسكه بهذا الموقف الصلب استطاع أن يقنع
الشعب المصري بأنه ليست لدى الاسرائيليين النية في الجلاء عن الاراضي
المحتلة . وتناول عبد الناصر في خطابه أمام مجلس الأمة الجديد ، الجبهة
الداخلية ، فقال أن التقدم مستمر في الزراعة والصناعة ، وأكد ما سيحققه
السد العالي من فوائد ، وأشار الى ضرورة تنمية الصناعة البترولية في مصر
وكانت إحدى الشركات الأمريكية قد استأجرت حقل بترول أمام شاطئ
خليج السويس يقدر احتياطيه بـ ١٥٠٠ بريميل ، بينما كانت إحدى الشركات
الأخرى تقوم فعلا بضخ ما يقرب من أربعين ألف بريميل يوميا من الآبار قرب
العلمين . . وقيل أن إنتاج البترول في مصر سيصل في عام ١٩٧٠ الى
حوالي الأربعمائة وخمسين ألف بريميل في اليوم .

وفي الثامن من أكتوبر ، قدم الاسرائيليون الى هيئة الأمم المتحدة
مشروعهم للسلام ، ولكنه قوبل بالففور من جانب العرب لا بسبب المضمون
بقدر ما هو بسبب ما فيه من حذف أو اغفال ، وذلك الى جانب أن
الاسرائيليين لم يحددوا نواياهم المستقبلية . . وفي اليوم التالي رفضه وزير
الخارجية رياض رستميا ، وطالب من جديد بانسحاب الاسرائيليين أولا من
الاراضي المحتلة . ولكن في الرابع عشر من نوفمبر علق موسى ديان بقوله :
ان الاسرائيليين مستعدون لأن يدفعوا ثمننا غاليا للسلام الذي قد يتضمن
عودة الاراضي المحتلة . . وهنا ظن العرب أنهم لو ثبتوا على موقفهم فإن من
المحتمل أن يتراجع الاسرائيليون وكان من نتيجة الشكاوى من كلا الجانبين
تعددت المناقشات في الأمم المتحدة طوال عام ١٩٦٨ ، ولكن لم يتم حل أي
شيء ، وأخذ جوناو يارنج يتنقل بين عاصمة وأخرى ولكن دون جدوى .

وفي نفس الوقت ، أخذ نشاط الفدائيين يهز الشرق الاوسط .

وفي السادس والعشرين من ديسمبر ١٩٦٨ هاجم اثنان من الفدائيين
الفلسطينيين إحدى طائرات (المال) في مطار أثينا ، فقتل أحد ركبائها
وأصيبت مضيضة جوية . . وادعى الفدائيون أن الطائرة كانت تقل طيارين
اسرائيليين عائدين الى بلادهم بعد أن تلقوا تدريباً على قيادة طائرات الفانتوم
في أمريكا . . وفي الثامن والعشرين من ديسمبر قام « الكوماندوز »
الاسرائيليون بحملهم طائرات الهيليكوبتر بالانغارة على مطار بيروت حيث
دمروا في خمس وأربعين دقيقة اثني عشرة طائرة عربية كانت رابضة
بالمطار وألحقوا أضرارا تقدر بأربعين مليون جنيه . . وعللوا ذلك بأن
الفدائيين الفلسطينيين كانوا يتخذون من لبنان مقرا لقيادتهم العامة ، كما
أنهم يتلقون تدريبهم هناك . .

كان عبد الناصر يعطي دائما للفدائيين « تأييدا شفويا » رغم أنه كان
يقيد في حزم أي نشاط لهم في مصر ، وظلت القاهرة مكانا لاجتماع منظمة
التحرير الفلسطينية التي كانت تزعم جيش التحرير الفلسطيني الذي كان
أربعة آلاف من رجاله موجودين بمصر في قناة السويس ، وفي الرابع من فبراير

١٩٦٩ أصبح ياسر عرفات ، تلك الشخصية الفدائية البارزة رئيساً لمنظمة التحرير الفلسطينية مع احتفاظه رئيساً « لفتح » . وبعد ذلك كثرت اتصالاته بعبد الناصر حيث كان كل منهما يحاول التأثير في الآخر .

وسرعان ما أخذ عرفات يجاوز الحدود . حيث أعلن في العاشر من فبراير نقل لواء جيش تحرير فلسطين من مصر الى الاردن . ويغلب الظن أن هذا المشروع قد تم بالاتفاق مع عبد الناصر ، ولكن دون استشارة حسين ملك الاردن ، وبدأ الرأي العام العربي يبدى ارتياحه . ومن المؤكد أن الملك حسين لم يكن يريد مزيداً من الفدائيين في بلاده في ذلك الوقت ، حيث كان لديه بالفعل أكثر مما كان في وسعه التعامل معهم . وبعد أيام قليلة عدل عن الفكرة مع نفى النبا الأصلي ، وبقي لواء جيش تحرير فلسطين في مصر .

كانت الحكومة في اسرائيل انتلافية منذ قيام دولتها ولما كان التمثيل فيها نسبياً تعددت فيها الأحزاب السياسية ولكل منها عدد مختلف من ممثليه في الكنيست . وكانت هناك محاولات كثيرة في الماضي من أجل الاندماج لاتاحة الفرصة لحزب واحد للحصول على الأغلبية مؤثرة . وفي العشرين من يناير ١٩٦٩ عقد ميثاق تحالف بين حزب العمل الاسرائيلي والحزب اليساري « مابام » .

وكان من شأن هذا الاندماج الجديد أن أصبح لحزب العمل الاسرائيلي اثنان وستون مقعداً من مقاعد الكنيست وعددها مائة وعشرون .

وكان حزب العمل قد ظهر الى عالم الوجود في العام السابق (٢١ يناير ١٩٦٨) كنتيجة لاندماج أحزاب « مابام » و « أهدوت أفودا » و « رافى » . وفي العشرين من فبراير أحيط اقتراح بعدم الثقة « برئيس الوزراء أشكول في الكنيست ، وذلك على أثر النزاع حول حديث صحفي كان قد أدلى به لأحد الصحفيين قال فيه أنه لا مصلحة لاسرائيل في أية منطقة مأهولة من مناطق الضفة الغربية ، وأنه لا يهتما سوى وجود عسكري صغير بطول نهر الاردن والقدس وشم الشيخ . وكان في اسرائيل اتجاه قوى جداً يؤيد الاحتفاظ بجزء كبير من الاراضي المحتلة واستيطانها .

وفي السادس والعشرين من فبراير توفي رئيس الوزراء أشكول متأثراً بأزمة قلبية ، ورأس الحكومة ، نائب رئيس الوزراء ، بصفة مؤقتة الى أن انتخبت اللجنة المركزية لحزب العمل الاسرائيلي السيدة جولدا مائير لتخلفه في رئاسة الحكومة . وهي من مؤسسى حزب ما باى وتبلغ من العمر احدى وسبعين سنة ولدت في روسيا ، وانتقلت وهي فتاة صغيرة الى أمريكا حيث أصبحت مدرسة قبل أن تهاجر الى فلسطين عام ١٩٢١ وخلال فترة الانتداب كان لها نشاطها السياسي في الوكالة اليهودية . وعندما نشبت الحرب العربية الاسرائيلية الاولى عام ١٩٤٨ تنكرت في زى

امرأة عربية ودخلت ارض الاعداء لتجرى معاركات مع عبد الله ملك شرق الاردن .

وكانت أول سفير لاسرائيل لدى الاتحاد السوفيتي بعد هذه الحرب ، وهناك بعض الشكوك فيما إذا كان موسى ديان - من حزب رافى قد ينضم الى حكومتها إذا طلب منه ذلك ، أم أنه سيعارضها بل قد يعمل أيضاً على إقناع حزبه بالخروج من التحالف السياسي . ولكنه قبل أن يبقى بالوزارة كوزير للدفاع ، وهذا يعنى الاستمرار في سياسة الدفاع . وفي التاسع عشر من مارس أكدت رئيسة الوزراء مائير عدم استعداد اسرائيل لقبول أية قوات للأمم المتحدة فوق ارض اسرائيل .

وكان من أهم بواصت القلق لدى اسرائيل هو أن تعرف على وجه الدقة ما الذى يريده الروس في الشرق الاوسط وعن مدى استعدادهم للمضى فى تحقيق ما يريدون . وإلى جانب ذلك لم تكن الزعامة الاسرائيلية لتثق في عبد الناصر ، ومن ثم كان على اسرائيل أن تظل في حالة استعداد عسكري الى اقصى الحدود ، وكان هذا عبئاً ثقيلاً على البلاد يستوعب حوالى العشرين فى المائة من اجمالى انتاجها الوطنى ونحو الخمسة والعشرين من انتاجها الصناعى . كذلك كانت الضرائب على الافراد ثقيلة ، الى جانب ما كانت تأخذه من ميزانية الماهيات والأجور من أجل الدفاع . ومع ذلك لم يكن هناك سوى القليل من التذمر حيث كان معظم الاهالى يقدرون مدى الحاجة الى ذلك .

كانت اسرائيل مقيدة بالقيود السياسية الدولية وبالقيود المالية ومن ثم كانت لديها صعوبة مستمرة فى الحصول على كمية وأنواع الاسلحة التى كانت ترى أنها بحاجة اليها للدفاع عن نفسها على النحو الملائم . لقد ظلت لعدة سنوات تكافح من أجل إقامة صناعة محلية للأسلحة ، ولكن حال دون ذلك افتقارها الى المعدات والمساعدة والتشجيع من جانب الدول الكبرى التى كانت ترتاب فى أنها قد تغلب فكرة هذه الدول عن التوازن العسكرى السليم فى الشرق الاوسط . ولكن بالرغم من ذلك نجحت اسرائيل فى انتاج كثير من أنواع الاسلحة من بينها الاسلحة الصغيرة والهاون والذخيرة وقطع الغيار والمهمات الشخصية ، وفى تجميع سيارات النقل والجيب . وظل المدفع الرشاش « أوزى » مستخدماً فى قوات الدفاع الاسرائيلية لعدة سنوات ، وهو سلاح تم تصميمه وانتاجه بمعرفة الاسرائيليين ، واشترت بعض الجيوش الاخرى كميات صغيرة منه ، وكان من شأن الحظر الذى فرضته فرنسا على الاسلحة فى حرب يونيه أن خشيت اسرائيل من أن يوصد فى وجهها مصدرها الوحيد لتزويدها بالاسلحة الحديثة ، لذلك جددوا محاولاتهم لتطوير صناعة أسلحتهم المحلية .

ويشير أول تقرير عن التقدم فى هذا المضمار فى يناير ١٩٦٩ الى أن ما يزيد على العشرين مصنعاً تضم زهاء الخمسة آلاف شخص كانت تنتج

والعشرين من مارس ، عندما نادى الرئيس السوري حافظ الأسد بوحدة فيدرالية بين سوريا ومصر والعراق لم يرد أى ذكر أو تفكير فى أى اتصال أو تحالف مع حلف وارسو .. وهكذا لم تحقق الفكرة السوفيتية .

وفى السادس عشر من نوفمبر ١٩٦٨ انشأت الحكومة المصرية مجلس دفاع وطنى برئاسة عبد الناصر ، لاعداد البلاد للحرب . وفى اليوم التالى للغارات الاسرائيلية الثقيلة على مخيمات الفدائيين فى سوريا فى الرابع والعشرين من فبراير ١٩٦٩ ، أعلنت حالة الطوارئ فى مصر وكان ذلك يعنى إعلان أقصى حالات الاستعداد بين جيش الدفاع الشعبى والشرطة وعناصر الدفاع المدنى بما فى ذلك فرق المطافىء والمستشفيات وبعض الخدمات البلدية وأخذ يبدو للاسرائيليين أن سحب الحرب أخذت تتجمع ، وشعروا بأن المصريين قد يكونون مستعدين لشن هجوم أكبر ضدهم فى خريف ١٩٦٩ .. لذلك أعاد الاسرائيليون النظر فى استراتيجيتهم وتكتيكهم ووجدوا على سبيل المثال فى حرب يونيو كيف كان باهظا ظاهريا مهاجمة المواقع الدفاعية الثابتة على النمط السوفيتى ، وتحول الاهتمام الى اغارات الكوماندوز بدلا من الهجمات التى تعززها الاسلحة الثقيلة .. وبهذه العقيلة انشئ فى القوات الدفاعية الاسرائيلية منصب جديد ، هو مدير قوات المظلات والمشاة ، واختير لتوليته البريجادير رافول الذى كان قد أصيب بجراح أثناء قيادته لوحدة من المظليين فى الجزء الشمالى من سيناء خلال حرب يونيو .

وكانت مهمته تدريب المشاة وخاصة المظليين على تكتيكات اغارات الكوماندوز . وفى أواخر عام ١٩٦٨ كان لايزال شعور السخط يسود مصر وكذلك الشعور بخيبة الامل بين قطاعات من الاهالى . ولما كان عبد الناصر قد اتخذ مقعده فى السلطة السياسية كسكرتير عام للاتحاد الاشتراكي العربى فلا بد أنه شعر كيف أنه أخذ يتأرجح من جانب الى جانب ، يشده الشمال الذى كان يشعر بأن الاشتراكية لم تطبق على النحو الكافى ، كما يشده اليمين الذى كان يرى أن الاشتراكية قد تجاوزت حدودها .

ولكن كان النقيضان يفضلان أن يريا عبد الناصر فى السلطة وهذا أهون الشر - عن أن يتولاها أى فرد من المعارضين .

وأصبحت مصر كدولة وقد بدت متبلدة الحس أكثر منها مرهقة انهكتها الحرب وبدت القاهرة كثيبة حيث أصبحت الكماليات فيها محظورة لتوفير النقد الاجنبى وحيث مكث الاهالى لعدة شهور وهم ممنوعون من اللحم لثلاثة أيام فى الاسبوع .. وكانت الطبقة الوسطى والمتعلمة تميل من قبل الى توجيه اللوم الى عبد الناصر على التورط فى حرب اليمن ، وما وقعت حرب يونيو الا واتفقوا على أن اسرائيل هى العدو الحقيقى وأن عبد الناصر قد يكون مصيبا فى موقفه .. لقد كان عشرة آلاف مهنى بهاجرون سنويا ، ولكن الحكومة لم تكن قلقة جدا اذ كانت هجرتهم تعنى توفير العمل للطلبة

من المعدات ما تقدر قيمته بأثنين وأربعين مليون جنيه سنويا ، وتتضمن الذخيرة للدفاع والمدافع الطائرات ومهمات الكترونية ومهمات للمواصلات ومجموعة كبيرة من قطع الغيار للأسلحة والعربات ، كما أخذوا فى تطوير دبابة سريعة ذات تصميم متقدم ويبلغ مداها ثلاثمائة ميل وتعرف باسم « شوت كول » مأخوذة عن الطراز الأمريكى « م - ٤٨ » ومزودة بمحرك ديزل ومدفع ١٠٥ مم . وكانوا ينتجون أيضا صاروخا موجه بالتليفزيون جو / أرض ، ومدفع ٩٠ مم مضاد للدبابات يثبت على عربة نصف نقل (وهو الطراز الأمريكى القديم « م - ٣ ») وبندقية جديدة .. وكانت البحرية الاسرائيلية تستخدم الصاروخ « جبريل » سطح سطح . وأحرزت اسرائيل تقدما أيضا فى ميدان الأجهزة الحاسبة التى يوجد منها بالبلاد حوالى المائة نوع ومنذ ذلك الوقت لم يعرف سوى القليل من التفاصيل ولكن اذا أخذنا فى الاعتبار ما تلقت اسرائيل مؤخرا من مساعدات فنية أمريكية فإنه من المعتقد أن القاعدة الصناعية للأسلحة الاسرائيلية لابد أن تكون قد اتسعت بصورة كبيرة .

والآن وقد عاد الاتحاد السوفيتى الى مصر فإنه كان شديد الاهتمام بإيجاد الوسائل التى يتحكم بها فى الكميات الضخمة من الاسلحة التى كان يبعث بها الى مصر ، وبالأخص إلى أن المدافع كانت مصوبة الى هدفها الصحيح أى ضد الامبريالية الغربية . وفى أوائل أكتوبر من عام ١٩٦٨ قام المارشال ياكوبوفسكى رئيس أركان حرب السوفيتى بزيارة لمصر والتفتيش على المواقع فى منطقة قناة السويس وبعث بتقريره الى اجتماع لوزراء الدفاع لدول حلف وارسو الذى عقد فى موسكو فى التاسع والعشرين من أكتوبر . وعاد المارشال ياكوبوفسكى الى مصر فى الثانى من نوفمبر ، وكان مجيئه هذه المرة لمراقبة التمرينات العسكرية .

وفى الخامس من الشهر اقترح الاتحاد السوفيتى صورة من الاتحاد العربى المشترك بين مصر وسوريا والعراق ، وهى البلاد التى كان الاتحاد السوفيتى يمدّها بالاسلحة وبين منظمة حلف وارسو ، غير أن العرب تلقوا هذا الاقتراح وهم متشككون فيه .

وفى الحادى والعشرين وصل وزير الخارجية السوفيتى الى القاهرة فى زيارة تستغرق ثلاثة أيام يجرى خلالها محادثات مع الرئيس عبد الناصر ووزير الخارجية رياض .

وكان الرئيس الأمريكى جونسون يميل الى أن يترك كلا الجانبين يسويان خلافتهما فيما بينهما ، وسحب نفسه قسرا الامكان من مشاكل الشرق الاوسط الأمر الذى أتاح للاتحاد السوفيتى أن يبدو وكأنه أصبح مطلق الميدين فى الدول العربية . ولما تولت حكومة نيكسون السلطة فى يناير ١٩٦٩ سلكت موقفا مغايرا ، وحثت على اجراء حلقة من المحادثات التى شجعت على احياء اهتمام الدول الأربع الكبرى . وفى السادس

قياس تسليحهم قياسا حديثا .. والواقع أنهم وفقا لهذه السياسة أرسلوا إلى الأردن ما كان متبقيا لديهم من دبابات مستوريات بريطانية .

كان هناك عجز شديد في قطع الغيار لكل شيء بينما كانت امدادات الذخيرة باستثناء ذخيرة المدفعية المرابطة بالقرب من القنصاة محدودة هي الأخرى وكان المصريون على سبيل المثال بحاجة خاصة إلى سيارات الجيب، وكانوا يحاولون شراءها عن طريق الغير في البلاد العربية من المصادر التجارية وكان الأمر يبدو كما لو كان الروس يريدون عامدين كبح جماح القوات المسلحة المصرية التي كان من المؤكد أنها في حالة لا تسمح لها بالقتال لأكثر من يومين أو ثلاثة إلا في حالة الدفاع ، الأمر الذي لابد أنه كان يدعو إلى شعور عبد الناصر بالارتياح ويتيح له في أمان أن يواصل الضرب على نغمة الاهداف السياسية .

أخذ صفار المجندين المصريين يألون التدريب السوفيتي الخشن ، واخذت تزداد ثقتهم وترتفع معنوياتهم ، وكذلك كان الحال بالنسبة إلى الكثيرين من صفار الضباط الذين كانوا تواقين إلى اثبات جدارتهم . وكان عدد من الوحدات صالحا تقريبا للمعركة ، أو كان يشعر بذلك ، ولكن كان الرجحان للنصائح والآراء الواقعية من جانب الفريق رياض وهيئة أركان حرب تؤازرها البعثة العسكرية السوفيتية وبالتالي لم يجد عبد الناصر معارضة لسياسته السرية .. وكان الجيش عامة ، و صفار الضباط خاصة ، يشعرون بالفيرة من السمعة التي اكتسبها الفدائيون وودوا لو أنهم استطاعوا أن يغطوا عليها وأن يبرزوهم . وكم كان يود كثير من الضباط لو أنهم احتلوا ذلك المثلث الصغير من الأرض على الضفة الشرقية من القناة وفي طرفها الشمالي والتي لم يكن للمصريين فيها سوى وجود رمزي في تلك القبة الصغيرة من المستنقعات ، وتمنوا لو أنهم احتلوه بتكرار داوريات الكوماندوز ولكن ذلك قد يتطلب سائرا من قوات دفاعية أمامية تجتاز المستنقعات إلى سفوح تلال سيناء والتي ستكون مفتوحة على مصراعها للهجمات الاسرائيلية المدرعة .. ولكن هيئة أركان حرب قد لا تفكر في أن توصي عبد الناصر بمثل هذه العملية ، فهي تتردد أساسا لأن الاتحاد السوفيتي لم يتعهد بأي عمل عسكري لمؤازرة المصريين في حالة وقوع حرب .. وبوجه عام ظلت البعثة العسكرية السوفيتية والمستشارون السوفيت بمعزل عن المصريين ولا يحسنون الظن بهم .

كان في ظهور اللواء الجزائري الذي أرسل إلى القطاع الأوسط للقناة عند فايد ما شدد من عزيمة المصريين الذين كانوا يأملون أن تحذو الدول العربية الأخرى حذو الجزائر فتبعت هي الأخرى بفصائل من جيوشها ، ولكنها كانت أبطأ من أن تفعل ذلك والقوة العربية الأخرى الوحيدة كانت قوة ليبية .. وبكامل طول القناة من الجانب المصري . أخذ يسود جو الواقع القاسي للحرب ، فالقرى والمدن التي تم إجلاء الأهالي عنها بدت خالية

بعد تخرجهم .. وفيما يتعلق بالفلاحين الذين يشكلون أغلبية الشعب ، ظل الخطر الاسرائيلي وكأنه بعيد عنهم وغير واقع ، كما أن الحرب لم تكن لتعنى سوى القليل بالنسبة لذلك الرجل الذي كان عليه أن يعمل طويلا وبغفر النفس المستقة كما كان من قبل .

لقد كان الرئيس عبد الناصر ، والذي يعرفه رجل الشارع عادة بكلمة « ريس » في مازق يجعله يتحدث دائما عن الحرب ، ويحاول اظهار أنه على وشك القيام بعمل ضد اسرائيل ، حتى يحصل بذلك على ثقة شعبه ويحفظ بها ، وكذلك ثقة القوات المسلحة والاتحاد الاشتراكي وبقية الدول العربية الأخرى والفدائيين وكثيرا ما كان يصرح علانية أن التاريخ لن يأخذ عليه أنه الزعيم العربي الذي عقد صلحا مع اسرائيل .. لقد تولى المسؤولية الشخصية والقيادة منذ حرب يونيو وكان يشك فيما إذا كان سيحتمل هزيمة أخرى سياسية كما أنه لم يكن في عجلة لبدء القتال وأن كان لم يكن ليجرؤ على التصريح بذلك . وقد وصف استراتيجيته ضد اسرائيل بأنها ذات مراحل ثلاث : الصمود ويعنى بها عدم التسليم بالهزيمة ، والردع ويعنى بها النار والانتقام ، والتحرير ويعنى بها النصر مع تحرير الاراضى المحتلة .

وبحلول عام ١٩٦٦ كان قد تم إعادة تنظيم الهيكل القيادي الكامل للقوات المسلحة على النظام السوفيتي ، وأصبح العنصر القتالي للجيش مجمعا في ثلاثة « جيوش » اثنان منهما - وكل واحد منهما يضم خمسين ألف رجل - وهما الجيش السادس والسابع ، يتكون كل منهما أساسا من فرقتي مشاة وفرقة مدرعة وإرباطان في مواقع بمنطقة القناة ، أحدهما على المرتفعات بين القاهرة والدلتا ويغطي المنطقة المتجهة شمالا من الاسماعيلية بوحدات مشاة أمامية ومن ورائها وحدات مدرعة على مسيرة بضعة أميال . أما الجيش الآخر فقد كان في وضع مماثل إلى جنوبي الاسماعيلية حتى منطقة ميناء السويس ، وكان مقر القيادة العامة للتنسيق في الاسماعيلية .

وسرعان ما تم استيعاب المهمات السوفيتية ، ولكن كان التعليم هذه المرة باللغة الانجليزية ، وهي اللغة التي يفهمها كل الضباط المصريين .. وسرعان ما اعترف صفار الضباط في تدمير بأن المدربين السوفيت معلومون ممتازون رغم أنهم يرهقون بتعليمهم .

ولما كان مزيد من المصريين قد تعلموا كيف يستخدمون الاسلحة السوفيتية الجديدة ، فقد هبط عدد العسكريين السوفيت في مصر إلى أقل من الالفين وكادت امدادات الاسلحة السوفيتية الحديثة تصل إلى درجة الصفي . وكان الروس لا يزالون على استعداد لإرسال نماذج أقدم مثل الدبابة « ت - ٣٤ » وغيرها من المهمات التي عفا عليها الزمن حتى في الجيش السوفيتي الذي أعيد تجهيزه بالحديث من السلاح ، ولكن المصريين لم يعودوا يرغبون في هذا السلاح القديم ، فقد كانوا يريدون فقط أن يكون

مهجورة وقد تهدم الكثير من المباني واصيب بأضرار بالغة ، وفي الرابع من فبراير عام ١٩٦٩ قيل ان مصر مستعدة لان تسمح بعملية مسح البحر الجنوبي من القناة للظفر في امكان اخراج السفن المحجوزة في البحيرات المرة الكبرى ، على ان يتم ذلك على نفقة اصحاب هذه السفن . وقال الاسرائيليون انه لن يكون لديهم مانع بشرط ان توافق اولاً على التفاصيل ولكن لم يحدث شيء من ذلك .

وبقيت آثار السخط تخيم على القوات المسلحة سواء لدى كبار الضباط الذين كانوا يشعرون بالألم من معاملتهم بعد حرب يونيو أم صغار الضباط الذين كانوا يشعرون بالقلق والضييق ازاء تردد الحكومة في ان تدفع بهم الى المعركة وكان بعض صغار الضباط ، وهم ينهاسون فيما بينهم لا يسلمهم الا ان يتذكروا ان عبد الناصر نفسه قد وصل الى السلطة عن طريق الجيش وسخط الجيش .

وعلى أية حال كان السبب الرئيسي للاستياء هو الاحتكاك بين الضباط المصريين والمستشارين السوفيت الذي وصل الى الدرجة التي جعلت عبد الناصر يقوم بزيارة لمنطقة القناة في السابع والعشرين من فبراير ليقتف بنفسه على الموقف الحقيقي وعلى الشعور الحقيقي هناك وقد قوبل هناك وفي عدة أماكن بدرجة غير مألوفة من البرود بينما أبدى صغار الضباط بشكل واضح مدى ما يشعرون به من ضيق ونفاد صبر وكانوا أحياناً يسألون صراحة متى سيقومون بمحاربة الاسرائيليين .

٤ - حرب الاستنزاف

(لسوف ترد اسرائيل على كل ضربة تطلقها بسبعة أمثالها)

« جولدا مائير رئيسة الوزراء »

ولكى يستنى للرئيس عبد الناصر ان يرفع الروح المعنوية عند عودته في شهر فبراير من زيارته للخطوط الامامية لغواته ، فقد اعطى تصريحاً بإطلاق سدود من نيران المدفعية توجه عبر القناة الى الاسرائيليين في الجهة المقابلة ، وذلك من أجل تهدئة حالة التذمر السائدة بين صغار الضباط تجاه حالة الركود المستمرة من جهة ، ولكي يظهر أمام المصريين والعرب والعالم بوجه عام على انه يقود الحرب ضد اسرائيل . وكانت كتابات مدفعية قد زادت لتبلغ ١٤ كتيبة الى جانب اثنتين أخريين كانتا تحت التشكيل كما كان ثلثا هذه الكتابات على طول قناة السويس مزودة بما هو بين ٦٠٠ الى ٧٠٠ من مدافع الميدان والمورتار .

ولقد كان عبد الناصر يعلم بأنه يتفوق على اسرائيل في المدفعية التي لم يكن سوى خط رقيق من مواقع الملاحظة يمكن ان يطلق عليها بالكاد على انها خطوط دفاعية ، أحدها كان في الضفة الشرقية يعمل على ادارتها لواءان من ألوية المدفعية يدعمها من الخلف لواء من المدرعات بالإضافة الى ما يقرب من ٤٥٠ من المدفعية الميكانيكية .

ولقد كانت منطقة القناة حادثة نسبياً منذ السدود من نيران المدفعية التي تمت في ٢٦ أكتوبر ، ومنذ ذلك التاريخ قامت اسرائيل « بدعم » خطوطها الدفاعية الدقيقة لكي تصبح ما عرف فيما بعد بخط بارليف نسبة الى الجنرال بارليف رئيس أركان حرب القوات المسلحة الاسرائيلية . ولقد تكون هذا الخط من مجموعة من الخنادق ذات الطوابق المتعددة جرى تنظية سقوفها « بمواد خاصة » عبارة عن تركيبة من قضبان أخذت من سكك حديد سيناء ، وكتل من الخشب وأسمنت ورمال ، تستطيع ان تتحمل الضرب المباشر من المدفعية عيار ١٢٠ مم ، وهي أكبر المدافع التي كانت تمتلكها مصر .

وهذا الادعاء بالنسبة لخط بارليف قد جرى اثبات صحته على نطاق واسع كما انه كان السبب في أن خسائر اسرائيل في الأفراد كانت ضئيلة خلال كافة السدود الكثيفة من النيران التي تمت عام ١٩٦٩ .

وكان من السهل أن يشم المرو رائحة الحرب على كلا الجانبين ففي ٤ مارس ٦٩ أطلق موسى ديان تحذيرات حول خطورة زرع الألغام وعمليات القناصة من جانب المصريين على طول القناة ولم ينقض بعد ذلك سوى يومين حتى كان المصريون قد أطلقوا في السادس من مارس سدا كثيفا من نيران مدفعيتهم عبر الممر المائي موجها نحو خط بارليف الذي لم يكن قد استكمل بناؤه الا منذ اسبوعين بين القنطرة والسويس ، هذه النيران التي دامت خمس ساعات قبل أن يصل مراقبو الأمم المتحدة ويعملوا على وقف اطلاق النيران وكانت هذه المرة بداية اطلاق غللات من سدود النيران كانت تستمر لفترا على طول ما تبقى من هذا العام . ولقد قرر مراقبو الأمم المتحدة بعد ذلك (في ٨ مارس) بأن المصريين هم الطرف البادئ باطلاق النيران . وبعد يوم من الهدوء النسبي نشب سد آخر من سدود النيران عبر القناة في اليوم الثامن من مارس اشتركت فيه مئات المدافع والمورتار ، ومرة أخرى تأكدت الأمم المتحدة أن هذه النيران بدأت من جانب المصريين . ورد الاسرائيليون بالمثل ، وفي هذه المرة أطلقوا نيرانهم على معمل لتكرير البترول في السويس مشعلين النار في مستودعات البترول ، وكان من السهل رؤية حلقات الدخان الأسود على مسافة أميال .

وفي الساعات الاولى من يوم التاسع من مارس بدأت معركة مدفعية أخرى حيث تمكنت إحدى القذائف من قتل الجنرال رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة المصرية والذي كان في زيارة في مركز متقدم من مراكز الملاحظة بالقرب من الاسماعيلية وفي اليوم التالي تم اقامة جنازة له على مستوى الدولة في القاهرة وخلفه في منصبه الفريق أول أحمد اسماعيل على . وفي تبادل اطلاق النار الذي تم في هذه المرة بالذات أعلن المصريون أنهم قد تمكنوا من تدمير خمسة بطاريات مدفعية ومورتار وانهم أسكنوا ٢٦ ، كما أسقطوا ثلاث طائرات اسرائيلية ، غير أنهم اعترفوا بدمار معمل تكرير البترول وبفقد أربعة جنود لقو حتفهم بالإضافة الى ٣٩ جريح الى جانب مصرع ٧٢ فردا من المدنيين . وفي الحقيقة ، فان خسارة كبيرة قد لحقت بأربعة عشر مستودعا من مستودعات البترول . أما الاسرائيليون فقد اعترفوا بمقتل خمسة منهم ، واصابة ٢٦ ، وتدمير مركبتين وسقوط طائرة من طراز « بايبر كلوب » أسقطها أحد صواريخ سام - ٢ وقد صمد خط بارليف صمودا كبيرا أمام ثقل هذه السدود من النيران .

وفي اليوم التاسع من مارس صدر قرار « باظلام » شامل على مستوى الدولة في مصر ، وكان هذا أول القرارات من هذا القبيل منذ حرب يونيو ، غير أن تنفيذ هذا القرار كان بطيئا كما أنه لم يطبق الا جزئيا . بادئا باطفاء أنوار النيون الضخمة في المدينة الى نوافذ المنازل ، ثم بعد ذلك كشافات السيارات . غير أنه من الناحية الفنية ، فان مثل هذا الاظلام قد عفا عليه الزمن في عصر وجود أجهزة الكشف الالكتروني من أمثال الطائرات الاسرائيلية المحمولة والتي كان في إمكانها جلب الحرب الى رجل

الشارع . هذا الى جانب انه قد جرى حماية كبارى النيل ، ومداخل المباني الحكومية ، ومكاتب البريد ومحطات السكك الحديدية باكياس من الرمل كما تم بناء جدران مضادة للانفجارات في كثير من الاماكن وبدأ واضحا أن القاهرة تعد اعدادا جديا للحرب ، وفي حين أنه لم يكن هناك حماس حربي ظاهر كتلك الحانة التي كانت سائدة قبل حرب يونيو مباشرة ، فان معظم المصريين بدأ عليهم أنهم أعدوا أنفسهم « لجولة رابعة » .

وفي العاشر من مارس كانت المدفعية المصرية صامتة في معظمها وكان ذلك هو يوم جنازة الفريق رياض ، غير أنه في اليوم التالي انطلقت هذه المدافع مرة أخرى في نفس الوقت الذي كان الاسرائيليون يكملون اخلاء من تبقى من السكان في مدينة القنطرة العربية ليعودوا بهم الى العريش . وتم تدمير سفينة اجنبية في ميناء السويس في هذا القصف . وفي اليوم الثاني عشر من مارس واخالت عشر منه وخلال معارك مدفعية أخرى تم اشعال النار في مستودعات أخرى في معمل تكرير السويس . وخلال ما تبقى من مارس تم تبادل اطلاق النار عبر القناة بصفة يومية .

وفي الحقيقة فان هذه الحالة استمرت خلال شهر ابريل أيضا ، وكانت هذه السدود الكبرى من النيران قد حدثت في يومى الثامن عشر والرابع والعشرين من مارس ، وفي الرابع والثامن والحادي عشر والثالث عشر والرابع عشر ، ومن السادس عشر الى العشرين من شهر ابريل . وفي معظم الحالات حاول مراقبو الأمم المتحدة بذل كل جهودهم لوقف اطلاق النيران في خلال ساعات قلائل ، وكان كل من الجانبين بصفة دائمة يتهم الطرف الآخر ببدء اطلاق النار ، غير أن رجال الأمم المتحدة قرروا أخيرا أن مصر كانت هي البادئة عادة باطلاق النار . وفي شهر مارس حذر الاسرائيليون من أنه اذا استمر المصريون في القصف فان الاسرائيليين ليست لديهم النية في البقاء في خنادقهم الى مالا نهاية ، وأنه على الرغم من أن كثيرا من الاهداف الانتقامية ليست في نطاق مدفعيتهم ، فانها مع ذلك تدخل في نطاق سلاحهم الجوي . وفي الثامن من ابريل بدأ المصريون في اخلاء بور سعيد وهي المكان الاخير ذو الحجم الواضح على الجانب المصري الذي بقي فيه عدد من السكان المدنيين .

وهكذا بدأ الآن الرئيس عبد الناصر حرب الاستنزاف والذي قصد بها سحق الاسرائيليين ببطء وتفتيتهم قطعا . فقد شرح للمؤتمر الثاني للاتحاد الاشتراكي العربي في السابع والعشرين من مارس بأن القوات المصرية تعد العدة « للانطلاق في معركة التحرير » ضد الاسرائيليين . وقد كان يشعر بوضوح أنه قد نجح في مرحلة الردع أو مرحلة الانتقام ، كما أنه حذر اسرائيل من أنه سوف يأتي الوقت الذي تستطيع فيه مصر ضرب المراكز المدنية الاسرائيلية ردا على الهجمات الاسرائيلية على المدن الواقعة على طول القناة وفضلا عن ذلك فقد كرر القول للاتحاد الاشتراكي العربي بأن السلام

لا يمكن أن يفرضه أحد على المنطقة من خارجها ، وأن العرب سوف لا يتخلون عن مبادئ مؤتمر الخرطوم ، تلك المبادئ التي جرى تنفيذ أحكامها منذ سنتين . ولقد كرر كثيرا ما قاله في خطاب آخر ألقاه في أول أبريل . واقد كان بعض المطلعين يعتقدون أن مرحلة حرب الاستنزاف التي يقودها قد بدأت بالفعل في هذا التاريخ ، حيث أنه أعلن أن اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم في التاسع من يونيو يعتبر غير ساري المفعول .

وفي التاسع من شهر أبريل أعلن أوثانت أن مبعوثه الخاص في الشرق الأوسط جونار يارنج قد استأنف مهام منصبه كسفير للسويد لدى الاتحاد السوفيتي ، غير أنه سوف يكون جاهزا فور طلبه في الوقت الذي تستدعي فيه التطورات الحاجة إلى خدماته مرة أخرى . وفي نفس الوقت بدأت سلسلة من محادثات (الأربعة الكبار) وفي العاشر من أبريل قام الملك حسين ملك الأردن بزيارة لأمريكا ، وحين إقامته هناك قام بإلقاء خطاب إلى نادي الصحافة في واشنطن طارحا خطة سلام مكونة من ست نقاط ربطها باسم الرئيس عبد الناصر . وكانت المقترحات الأساسية فيها أن يعترف العرب بإسرائيل مع السماح بمرور سفنها في قناة السويس ومضائق تيران مقابل انسحابها من الأراضي المحتلة . غير أن هذه المقترحات لم تقابل بالاستحسان من جانب الإسرائيليين ، الذين كانوا لا يزالون يصرون على مفاوضات مباشرة كما أنه كانت هناك شكوك فيما يتعلق بدقة ومدى قيام الملك حسين يأخذ رأي عبد الناصر في هذا الخصوص . وفي الثاني والعشرين من أبريل قال أوثانت أن هناك حالة حرب حقيقية على امتداد قناة السويس ، وأن جهود الأمم المتحدة غير مؤثرة كلية تقريبا ، وأن هناك انتهاكات كبرى لوقف إطلاق النار تمت خلال كل من الاثنى عشر يوما الماضية على التوالي ، وأن هذه الانتهاكات كانت تمت أحيانا على طول هذا الممر المائي بأكمله ، وأن الأسلحة التي يجري استخدامها كانت تتضمن المدفعية الثقيلة ومدفعية المورتار الثقيلة ، إلى جانب الدبابات والصواريخ ، وأن ٥٨٦ واقعة قد تم تسجيلها خلال شهر أبريل على امتداد القناة وكان قد توافر لدى مصر في ذلك التاريخ ١٨ وحدة قوية ومدربة تدريبيا جيدا من وحدات الكوماندوز إلى جانب لواءين من المظليين وكلهم من المتطوعين المختارين الذين كانوا على شغل لاثبات قدراتهم .

ولكى يرفع عبد الناصر روحهم المعنوية هم وصغار الضباط الذين كانوا يتحرقون شوقا إلى العمل ، فقد رخص إلى جانب القصف المدفعي في شهر أبريل تصعيد غارات الكوماندوز عبر قناة السويس .

وفي اليوم التاسع عشر عبر الكوماندوز المصريون الممر المائي تحت سد كثيف من النيران لمهاجمة المواقع الإسرائيلية في الشاطئ الشرقي لبحيرة التمساح وأعلنوا عن خسارة في الجانب الإسرائيلي قدرها ثلاثون إصابة غير أن الإسرائيليين قالوا أن الجانب المغير تكون من خمسة نشر مصرياً فقط

تم صده بعد معركة قصيرة بالبنادق ، وأنه لم تحدث أية إصابات في جانبهم سوى جرح إسرائيلي واحد . وأثناء الليلة التالية في اليوم العشرين كانت هناك غارة أخرى لرجال الكوماندوز المصريين عبر القناة في مكان يبعد ٢٠ ميلا شمال القنطرة ، حيث أدمى الطرفان ادعاءات متضاربة . وفي اليوم الثاني والعشرين من أبريل وأثناء غارة مصرية تم قتل ثلاثة من الجنود الإسرائيليين وأسر جندي آخر أثناء ساعات الظلام . وبعد هذه الاغارات من جانب رجال الكوماندوز المصريين والتي كانت تحدث عمليا كل ليلة ، وفي بعض الأحيان كانت تحدث أكثر من غارة في الليلة الواحدة ، كانت هناك مشاعر الابتهاج حين أفرج صمام الأمن هذا شيئا من التوتر العسكري ، غير أنه كان يلوح في الأفق بعض مشاعر الخوف إذا ما صعدت إسرائيل هجماتها الانتقامية في بور سعيد مثلا . وقام هيكل رئيس تحرير الأهرام في السادس والعشرين من أبريل بالتحذير من أنه سوف يكون على المصريين أن يعدوا أنفسهم لخسائر كبيرة من رد الفعل الإسرائيلي .

غير أن كثيرين من الضباط المصريين كانوا لازالوا يعتقدون أنه لم يتم انجاز الشيء الكثير ، وأنه على الرغم مما يحيط بسدود نيران المدفعية من هالة فإنها لم تكن تؤدي إلى نتائج إيجابية وأن غارات الكوماندوز هي الأخرى على الرغم من استغلالها بشكل درامي في النواحي الدعائية فإنها لم تكن شيئا مذكورا .

وكان هناك شعورا قويا بأن هجوما يجب تصعيده ليخترق خط بارليف ويدفع الإسرائيليين إلى الخلف لمدة أميال ويوقع بهم أضرار تصل إلى ٢٠٠٠ إصابة ليكون وقع حدوثها عظيما بالنسبة لبلد أصغر حجما من مصر وأن أية إصابات تحدث لمصر يجب أن تساوى النتيجة النهائية لهذه العملية . وعملت البعثة العسكرية السوفيتية أقصى ما في وسعها لمنع وتعطيل مثل هذه الفكرة التي تنطوي على المغامرة ، في حين ترددت القيادة العامة حيث كانت تعتقد أن التفوق الجوي الإسرائيلي سوف يبدو أي هجوم من هذا القبيل ، لا سيما وأن السلاح الجوي المصري الجديد لم يكن قد استكمل استعداداته بعد لكي يشعر بقوته الكافية ، ويأخذ الفرصة المعقولة لأحراز النجاح .

ومن ثم فإن أي فشل بهذا القدر سوف يكون نكسة خطيرة وعلى الرغم من قيام هؤلاء الضباط الكثرين واستمرار ضغطهم نحو « مواجهة صيفية » وإن كان أحدهم قد صرح أخيرا بقوله لي :

« إن قناة السويس ربما صارت المحيط الأطلسي - إنها صارت حاجزا له هذا القدر من الضخامة » .

ومن الناحية الفعلية ، فإن الضباط المصريين يعتقدون « الآن » على وجه اليقين أنه إذا كان المستر عامر قد سمح له أن ينفذ خطته بأن يشن

هجومًا وقائياً على إسرائيل في الأيام الأولى من شهر يونيو ١٩٦٧ لكان الجيش المصري في سيناء قد حقق الانتصار :

وفي مساء يوم ٢٩ أبريل دبر الإسرائيليون اختراقهم الثاني في العمق باغاراتهم في وادي النيل الأعلى، مدعين أن ذلك كان انتقاماً من الاستفزازات التي لا تنقطع من جانب المصريين على طول قناة السويس وذلك ليلقنهم أن أعمال اعدوان لا يمكن أن تستمر دون « رد مناسب » . وبذا فقد تم حمل رجال الكوماندوز الاسرائيليين الى مصر بواسطة طائرات هيليوكوبتر الى اهدافهم المحددة في كوبرى ادر وسد ادفو الذى يبعد نحو ٦٠ ميلاً شمالى مدينة أسوان وكذلك المحول الموجود في نجع حمادى (الذى جرى مهاجمته في أكتوبر الماضى) . وتم الاعلان عن تدبير هذه المنشآت ، وأن الجميع عادوا الى قواعدهم سالمين . وعلى كل فإن المصريين قالوا بأنه لم يكن هناك انزال جوى قد تم على الارض المصرية من جانب طائرات الهيليوكوبتر في تلك الليلة، وأن طائرة اسرائيلية واحدة قد اقتربت من الاهداف المذكورة غير أن هذه الطائرة قد تمت مطاردتها بواسطة النيران المضادة للطائرات ، وتم اجبارها على تفريغ حمولتها من القنابل دون احداث اضرار جسيمة . وتم اصطحاب رجال الصحافة الاجانب الى نجع حمادى في اليوم التالى حيث لم يكن هناك أى حطام يمكن رؤيته . وكان ذلك واحداً من الأمثلة القليلة التي تم فيها النظر الى الادعاءات الاسرائيلية على أنها مبالغ فيها :

ولقد تفاخر الرئيس عبد الناصر وهو يوجه خطاباً الى العمال في حلوان في أول مايو بأن هذه الغارة الاسرائيلية قد حققت فشلاً تاماً .

واستمر نفس النمط ، سدود من لهب المدفعية بالنهار عبر القناة يحل محله أثناء الليل غارات لرجال الكوماندوز المصريين ، وظل ذلك طوال شهر مايو وحدث بوجه الخصوص قصف شديد على طول الممر المائى بأكمله في يومي ١١ ، ١٢ من هذا الشهر . وفي مستهل الشهر وللمرة الأولى وجه الاسرائيليون نيران مدافعهم الى بور سعيد التي كانت حينذاك قد أخليت تماماً من المدنيين . وتم احداث اصابات عسكرية ، غير أن ادعاءات المصريين المضادة كانت تقول بأنهم حين ردوا النار بالمثل قتلت مدفعيتهم سبعة من الجنود الاسرائيليين ، واثنين من سائقي الجرافات المدنيين .

وقام الاسرائيليين كذلك ببعض الغارات القليلة من جانب رجالهم من الكوماندوز ولكنها لم تكن بالكثرة التي قام بها المصريون الذين أعلنوا في الرابع عشر من الشهر أنهم أحبطوا محاولة اسرائيلية لعبور القناة بقوارب من المطاط . وقال موسى دبان أنه يشك بأن تبقى إسرائيل في موقف الدفاع إذا استمرت حرب الاستنزاف ، وعلق في اليوم الثاني عشر من الشهر بأن : « أى جيش في العالم يمكن اجباره على القيام بالهجوم حتى ولو لم يكن يريد ذلك » . ثم بعد ذلك ، في اليوم الثامن والعشرين من الشهر حذر الطلبة الاسرائيليين من أن نظام التجنيد الحالي والذي تبلغ مدته ٣٠ شهراً من

الخدمة ربما يجرى النظر في زيادة مدته ومن جهة أخرى تم لمراقبة الاسم المتحدة تسجيل ما يقل قليلاً عن ٤٠٠ راقعة على طول القناة خلال شهر مايو . وعلى سبيل المثال ، فقد جرح أربعة جنود اسرائيليين في السادس والعشرين من الشهر حين اصطدمت سيارتهم بلغم شمالى القنطرة مباشرة .

وبدأت البعثة العسكرية السوفيتية تبدي عدم استحسانها للقصف المصري عبر القناة بهذه الدرجة واحثوا الرئيس عبد الناصر على أن يأمر قواته المسلحة باحترام وقف اطلاق النار ، غير أنه على الرغم من الكلمات الشجاعة ، ومحاولة استمرار الاستقلال العسكري فقد كان هناك شعور بالتردد وعدم اليقين في الأوساط المصرية . ولقد علم السوفيت أنه على الرغم من التحسن الكبير الذي حدث في الجيش المصري في مجال التدريب والروح المعنوية ، وقدرته على استيعاب الأجهزة السوفيتية ، فإنه لم تكن لديه القدرة على مباشرة هجوم عبر قناة السويس أمام المواجهة الاسرائيلية ، وأنه لم تكن لديه القدرة كذلك على منافسة الاسرائيليين في مجال الحرب المتحركة وعلى الرغم من أن الاتحاد السوفيتي قد بدأ عليه أنه على استعداد لارسال امدادات لا تنتهي من ذخائر المدفعية والمورتار ، وأربما كان ذلك لادراكهم سر سماح الرئيس عبد الناصر باطلاق سدود من النيران ، وعمليات الكوماندوز ، إلا أنه كان متباطئاً في ارسال بعض البنود الأخرى ، مثل سيارات الجيب وسيارات الشحن من ذات الأربع عجلات ، والمركبات البرمائية وكلها من البنود الأساسية للهجوم .

أما بالنسبة للضباط المصريين فكانت شكواهم الدائمة من أن الروس كانوا يعلمونهم الاساليب الدفاعية فقط ولا يعلمونهم شيئاً يتعلق بالحرب المتحركة أو الهجوم المكون من أطقم متكاملة .

لقد كان عبد الناصر على علم بأن جيشه لا يتسنى له التحرك شرقاً ، وعلى ذلك فقد بقى ظاهرياً في مرحلة الردع أو الانتقام ، كجزء من استراتيجيته ضد إسرائيل . واستيحاء من فكرة السوفيت الدفاعية عن طريق الاستنزاف ، فقد أعلن أنه كان يحارب حرب « بوصة ببوصة » ولقد ردد صدى هذا الرأي هيكل رئيس التحرير الذي كتب في جريدة الاهرام أنه إذا أراد الاسرائيليون أن يستولوا على القاهرة فسوف يجرى امتصاصهم ببساطة ، ذلك أنهم قد انتشروا أكثر من اللازم ، وأنه إذا قدر أن هناك « جولة رابعة » من القتال فلسوف تكون حرباً ذات سنوات وليست حرباً بستة أيام . وقد شعرت القيادة العامة المصرية قبل نهاية مايو ١٩٦٩ بأن أى هجوم يتضمن ضربة وقائية من جانب إسرائيل سوف لا يكتب له النجاح ، وأنه حتى لو حاول الاسرائيليون عبور القناة بالقوة فإن انصحراء في الجانب الغربى سوف تبتلعهم عن طريق المقاومة طويلة النفس من جانب القوات المسلحة والشعب . وكانت البعثة العسكرية السوفيتية مرتاحة لقبول هذا الرأي .

وبدا الامر وكان عبد الناصر قد أصبح معتدلا أو أنه يرغب أن يكون كذلك ، غير أنه كان أسيرا لدعايته الشخصية . وبدأ أيضا أنه كان يبحث عن وسيلة تجنبه « جولة رابعة » وأن يجد مخرجاً من موقف « شبه الحرب » الذي وجد نفسه فيه .

وكان هناك اعتقاد بأنه قد بدأ في تغيير اتجاهه نحو حل وسط في هذا الصدد وحين أجريت معه مقابلة (١) كان جوابه على سؤال عما إذا كان على استعداد لقبول وجود إسرائيل إذا حدث انسحاب من الأراضي المحتلة وتسوية سلمية دائمة - كان جوابه : « اننى أقبل بحقيقة وجود إسرائيل وكذلك شعبى إذا ما كان هناك حل انساني اسمها إسرائيل أو أى اسم يريدون تسميتها به ، ولسوف اعترف بها » غير أن ذلك القول كان موجهاً للشعب الأمريكى وليس للمصريين . لقد شعر عبد الناصر بأن الروس يضغطون عليه لتقديم تنازلات واسعة من خلال جهودهم لانجاز تسوية للشرق الاوسط في محادثات الاربعة الكبار ، حتى يتسنى لموسكو وواشنطن أن يتوصلا الى اتفاق وتخف حدة الحرب الباردة . وكان المرء يستطيع أن يحس في مصر آثار التبرم من الحرب بادياً ، وكذلك الضيق من تحملهم في مصر « العبء الرئيسى » للحرب العربية ضد الاسرائيليين حيث كان غالبية المصريين تحت انطباع ما يقومون بفعله ، ولا بد أنه كانت هناك أفكار لم يجر التعبير عنها بأنهم يرحبون بسلام منفرد مع إسرائيل . إذ كانت الميزانية التى تبلغ ٢٠٠ مليون جنيه استرلينى قد ارتفعت بنسبة ١٥ ٪ عن العام السابق وكانت تولى لمتطلبات المعركة أولوية أولى رغم كونها عبئاً ثقيلاً .

أما عن محادثات الاربعة الكبار فقد كانت مستمرة ، وفى ١٠ يونيو ذهب جروميكو وزير الخارجية السوفيتى الى القاهرة ، ولكنه قوبل بفتور حيث أن المصريين قد شعروا بفتنة بأن الروس يتعدون عنهم عن طريق عدم تشجيعهم على مهاجمة إسرائيل من ناحية ، وبعدم امدادهم بمزيد من البنادق الأساسية للهجوم . وكان هذا الوضع سبباً فى قيام رئيس التحرير هيكى بالتركيز على أن هناك حرباً سيكلوجية قد جرى اعمالها فى محاولة بث الفرقة بين المصريين والروس ، ولم يعارض الاتحاد السوفيتى قيام المصريين والاسرائيليين بمحاولة تخطيط حدود جديدة لأنفسهم غير أن جروميكو قد غير سياسته الآن وطلب بحسم أن يتم انسحاب إسرائيل كامل من الأراضي المحتلة ، مع وجود مناطق منزوعة السلاح على محاذاة هذه الحدود الجديدة التى كان المصريون والاسرائيليون يقاومونها . وأقنع شعور المصريون الآن بارتياح أكثر قليلاً ، بينما بدأ الاكثاب على الاسرائيليين . وفى الثانى عشر من الشهر وفى يوم البحرية الاسرائيلية ، قال موسى ديان أنه لم يعد من المؤكد ما إذا كانت قناة السويس سوف تكون خط وقف إطلاق النار أو الجبهة التى سوف تبدأ منها الحرب القادمة .

ولقد كان الاسرائيليون يخشون انه اذا توصل الاربعة الكبار الى اتفاق أن يكون فى مقدورهم اجبار اسرائيل على الانسحاب من الاراضى المحتلة اذ أنهم قد فقدوا بالفعل ٧٠٠ قتيلاً منذ حرب يونيو وكان تعليق ديان أنه « لا تمر ليلة بالمطار دون حدوث معركة » .

ولقد شعروا أنهم اذا تركهم الاربعة الكبار فسوف يكون فى استطاعتهم اجبار العرب فى نهاية الامر على أن يتفقوا معهم ولكنهم ظلوا متعنتين فيما يتعلق بعدم اقرارهم بدقة حول أى قدر من الاراضى المحتلة ينوون الاحتفاظ بها . ولقد علقت جولدا مائير رئيسة الوزراء بأن الحدود الجديدة « لا ينبغي أن تقدم ميزة طبيعية لجيراننا » وغالبية الاسرائيليين كانوا يتوقعون أن لو كان قد أطيح بعبد الناصر نظراً لعدم ثقتهم الكاملة وكان هذا يعكس شكوك حكومتهم .

وكان مما يقاى القيادة العامة الاسرائيلية أن يكون عبد الناصر قد حرق تقارير مخابراته التى تضمنت بأن نحو ٦٠ ٪ من خط بارليف قد تم تدميره ، فى الوقت الذى لم تحدث فيه هذه السدود المصرية من النيران سوى تدمير نسبى ضئيل وكان ذلك سبباً فى أن يصرح موسى ديان (فى الثامن عشر من مايو) بأنه « لا يعتقد بأننا سوف نصل الى هذه النقطة (كان يقصد الحرب على الارض وعلى نطاق واسع) - ليس فى هذا الصيف » . وفى الخامس من يونيو دعا فوزى وزير الدفاع المصرى الى « الاعداد للمعركة الحاسمة » مضيفاً بأن التجربة قد برهنت على أن العدو ليس بالشىء الذى لا يقهر وعلى الرغم من مشاعر الاحباط ، فإن المصريين كانوا يفكرون بأنهم يقومون على الأقل باخبار الاسرائيليين على القيام بنوعية الحرب التى يرغبون فى القيام بها ، وعلى الرغم من أن المدافع الكبيرة والتشكيلات الكبرى تلعب الدور الأكبر وعلى الرغم من أنهم متخلفون نسبياً فى مجال التكنولوجيا فقد كان لديهم الامل أن يحققوا بهذا الاسلوب لأنفسهم موقع قوة وسيطرة بالقدر الذى يكفى لدفع الاسرائيليين نحو تسوية سلمية على ما تهوى نفوسهم . واستمر طلبهم على المزيد من الاسلحة ففي الخامس عشر من يونيو طارت جولدا مائير رئيسة الوزراء الى لندن لمحاولة اقناع الحكومة البريطانية بامدادهم بدبابات « شفعية الجديدة » . وفى نفس اليوم كان على صبرى قد سافر الى موسكو لمحاولة اقناع الروس بزيادة حجم الامدادات من الاسلحة ، ولم ينجح كلا الاثنين فى مساعيهم .

وورد فى تقرير يوثانت للامم المتحدة أنه قد تم الانخفاض فى درجة العنف على طول القناة فى الجزء الاخير من شهر مايو ، بانخفاض استخدام الاسلحة الثقيلة (غير أن هناك كان مقصوداً أساساً على القطاع الشمالى) ، وأن هذا التحسن قد استمر فى الاسبوع الاول من شهر يونيو ثم بدأ فى التدهور بعد ذلك بحدوث قصف بالنيران بصفة يومية تقريباً وأن الحوادث تبدأ أساساً من جانب المصريين . وظل نفس النمط من القتال مستمراً . وعلى

سبيل المثال ، ففي اليوم الثاني والعشرين من يونيو اعترف الاسرائيليون بأن أربعة من جنودهم قد أصيبوا من جانب الكوماندوز المصريين الذين عبروا القناة بالقرب من البحيرات المرة الكبرى .

وبعد يومين آخرين أعلن المصريون أن وحدة من وحدات الكوماندوز المصريين قد جرى انزاعها على الشاطئ الشرقي لليلة الثانية على التوالي ، وعبرت تحت غطاء القصف المدفعي على هيئة مدود من الخيران ، واشتبكت مع القوات الاسرائيلية . وهي في طريقها إلى مصر مثلا ، كما أعلنوا أيضا أن في نفس هذه الليلة في الرابع والعشرين من يونيو عبرت وحدة كوماندوز أخرى وهاجمت المواقع الاسرائيلية في منطقة الشط ، وقتلت القاطنين هناك ودمرت عربتين مدرعتين مضيفين أيضا أن هذه هي المرة الخامسة لفصارات الكوماندوز في مدى ثلاثة أيام ، وتم فيها قتل ٢٢ اسرائيليا وتدمير بعض المنشآت . غير أن الاسرائيليين لم يعترفوا الا باصابة جندي واحد . غير أن أحداثا أخرى جرت أثناء الشهر كانت تستدعي الانتباه بما في ذلك استيلاء الاسرائيليين في العشرين من الشهر على سفينة ذات محرك عليها طاقم مكون من ١٩ فردا في خليج السويس .

وفي اليوم السابع والعشرين من الشهر أعلن الاسرائيليون أيضا اعترافهم باصابة ثلاثة من جنودهم في مدى ٢٤ ساعة ومن ثم فقد أجبر موسى ديان على تعديل تنبؤاته السابقة ليقول « ان الحرب قد بدأت تدنو » .

على أن الاسرائيليين قد نفذوا عددا من غارات الكوماندوز في شهر يونيو لكنها لم تكن بالكثرة التي كانت عليها غارات المصريين إلى أن أبرز هذه الغارات كان في مساء يوم الواحد والعشرين من الشهر حينما أغار رجال الكوماندوز البحرين على محطة حرس السواحل في رأس الادبية في خليج السويس على بعد ستة أميال جنوبى مدينة السويس وأعلنوا أنهم قد قتلوا نحو ١٥ جنديا كانوا الذين كانوا يديرون تلك المحطة ، وأنهم دمروا تجهيزات للرادار والمنشآت الأخرى . هذا ولم يعترف المصريون الا بمقتل خمسة واصابة سبعة بجراح ، وأعلنوا في مقابل ذلك قد قتلوا أربعة اسرائيليين على الأقل كما أصابوا آخرين بجراح .

وأما الاختراق الاسرائيلي الثالث في العمق في وادى النيل الأعلى فكان في مساء يوم التاسع والعشرين حين أغارت مجموعة من الكوماندوز الاسرائيلية محمولة في هليوكبتر على مدينة سوهاج التي تبعد نحو ٩٠ ميلا من البحر الأحمر ، وقامت هذه المجموعة بتقطيع أسلاك الطاقة .

وقال الاسرائيليون أنهم لم يقابلوا أى عدو في طريقهم ، ولم يجر إطلاق رصاصة واحدة كما أنه لم تحدث أية اصابة واحدة لدى الاسرائيليين . غير أن السهولة التي تمت بها هذه العملية قد تسببت في بث المخاوف لدى المصريين تجاه عدم المناعة الواضح لوادى النيل الأعلى .

وفي أول يولية أطلقت مائير رئيسة الوزراء تهديدا له طابع مقدس في الكنيست حين قالت : « ان اسرائيل سوف ترد على كل ضربة تتلقاها بسبعة أمثالها في حين قال أحد المتحدثين المصريين : (نحن نعتبر أنفسنا في حالة حرب) ، واعترف بأن هناك أعدادا أخرى من الاحتياط يجرى تعبئتهم والمخ اونانت جانب آخر إلى أنه ربما كان عليه أن يسحب مراقبى الامم المتحدة البالغ عددهم ٩٢ مراقبا . وفي اليوم الثانى من شهر يوليو عبر رجال الكوماندوز الاسرائيليون قناة السويس في ثلاث مجموعات انزال ، وأعلنوا من أنهم قد قتلوا ١٣ جنديا مصريا . وفي نفس اليوم ، وكما لو كان القصد هو تصعيد حدة التوتر أعلن المصريون أنه تم اكتشاف شبكة جاسوسية في القاهرة يرأسها يوسف حمدان وهو المائى الجنسية من أصل مصرى ، وتم القبض عليه وعلى ثلاثة آخرين كان من بينهم من يستحوذ على خريطة مرسية تحوى بيانات بالدفاعات المصرية في القناة .

واستمرت الدعاوى والدعاوى المضادة خلال الشهر . وفي اليوم العاشر من الشهر قال المصريون أن إحدى غاراتهم قد تمكنت من اختراق المواقع الاسرائيلية المواجهة لبور توفيق ، مسببة ٤٠ اصابة مع عدم وجود أية خسائر في جانبهم . وفي هذا المجال اعترف الاسرائيليون بأن هذه الفارة كانت ناجحة نسبيا بالنسبة للمصريين ، وقالوا ان ستة من الجنود الاسرائيليين قد قتلوا وان جنديا آخر توفي متأثرا بجراحه . وفي اليوم الثامن عشر حدثت خمسة اصابات في الجانب الاسرائيلي حينما اصطدمت مركبة على الشاطئ الشرقي باحدى الألغام ، وفي نفس اليوم تم قتل ثلاثة من الجنود الاسرائيليين وجرح خمسة آخرون في تراشق مدفعى عبر القناة . وكان عدد القتلى من الاسرائيليين حتى ذلك الوقت قد بلغ نحو ٧٠ قتيلا في الشهر ، وكان اللواء من القوات الجزائرية المتمركز بالقرب من فايد نشطا في عمليات الكوماندوز ، مستخدما قوارب من المطاط للعبور من أجل زرع الألغام والكمائن الخداعية للمسيارات .

وفي مساء يوم التاسع عشر من يوليو هاجم فريق مكون من ٤٠ اسرائيليا من رجال الكوماندوز البحرين الجزيرة الخضراء وهي عبارة عن صخرة في الطريق الشمالى من خليج السويس لها اكتاف جبلية يبلغ ارتفاعها ٢٥ قدما ، مجهزة ببرج رادار واجهزة أخرى للرادار يديرها نحو ٧٠ من المصريين . وقد بقيت الجزيرة الخضراء لفترة طويلة مصدر ضيق للاسرائيليين حيث كانت تسيطر رادارها على المدخل الجنوبي لقناة السويس ، وعلى الجزء الشمالى من خليج السويس ولقد تسلى رجال الكوماندوز هذه الاكتاف العالية وقتلوا الحرس ، ودمروا الاجهزة ثم انسحبوا بعد أن ظلوا في الجزيرة لمدة ساعة وقام المصريون الموجودون في البر الرئيسى بقصف الجزيرة ظلما منهم أن الاسرائيليين لازالوا هناك مسببين بذلك مزيدا من الخسائر . وأعلن المصريون ان هذه المحاولة باءت بالفشل وأن الاسرائيليين قد خسروا ٣٠ قتيلا ، وأنه قد تم اسقاط احدى طائرات الميراج المقاتلة ، وذلك في مقابل ستة اصابات في الجانب المصرى . أما الاسرائيليون فقد قالوا أنهم قتلوا ٢٥ مصريا .

٥ - الصراع الجوي

« لسوف ينقضى جيل قبل أن تتساوى
المهارات المصرية مع تلك التي لدى الاسرائيليين »

« بريجادير موردخاي هود قائد اسلح
الجوى الاسرائيل » .

والآن دخلت القوات الجوية لكلا الجانبين باندفاعه اكبر في خضم
المعركة فبعد ظهر العشرين من يوليو ١٩٦٩ (١) ، وبعد انقضاء بضع ساعات
من غارة الاسرائيليين على الجزيرة الخضراء ، بدأت طائراتهم قصفا مكثفا
على المدفعية المصرية على طول قناة السويس . والمدفعية المصرية على خلاف
ما عليه الحال بالنسبة للمدفعية الاسرائيلية - تسير على هيئة مقطورة في حين
لا يتحرك ذاتيا منها الا نسبة ضئيلة . اذ كان التصور السوفيتي يميل الى
أن تكون ثابتة تتركز في مواقع محددة . ويجرى دعمها باكياس من الاسمنت
والرمل على هيئة جدران ضد الانفجارات وحماية ضد القصف الاسرائيل
وقنابل المورتار وعلى هذا النحو فقد كان الاسرائيليون سعداء عموما بالرد على
سدود النيران المصرية بالمثل . ولكن طالما أن المصريين قد دأبوا على زيادة اعداد
الاصابات بين الاسرائيليين فقد عمل هذا الاستفزاز على أن يغير الاسرائيليون
من تكتيكاتهم . ففي العشرين من شهر يوليو بدأت مرحلة من هذا النوع من
القتال حينما تحول الشغل الرئيسى للقوات الجوية الاسرائيلية نحو اسلحة
خط المواجهة المصرى .

وقبل انفسق مباشرة في نفس ذلك اليوم ألق سلاح الجو المصرى
لتحدى القوات الجوية الاسرائيلية بجديّة للمرة الاولى منذ حرب يونيو ، فقد
قامت ٤٠ طائرة (عشرة منها ميج ٢١ س ، وثلاثون اس - يو ٧ س) باختراق
ما يزيد عن ٦٠ ميلا داخل سيناء . وقامت الطائرات الاسرائيلية بالتصدي
لها ، وحدث قتال جوى بين الفريقين . وحين انتهى القتال أعلن المصريون
أنهم اسقطوا ١٩ طائرة اسرائيلية ، غير أنهم اعترفوا بفقد طائرتين من
طائراتهم هذا بينما اعترف الاسرائيليون بفقد طائرتين من طائراتهم غير أنهم
أعلنوا - أنهم اسقطوا خمس طائرات مصرية ، اثنين من طراز اس يو - ٧ س ،

(١) ذكر المصريون أن الاسرائيليون اختاروا نفس هذا اليوم الذى مبط فيه الأمريكيون على
القصر لكى ينهرون دعاية ممكنة فيما وراء البحار .

واثنين من طراز ميج ١٧ س ، وواحدة ميج ٢١ . وبالرغم مما بدا أن
الاسرائيليين قد كسبوا هذا الصراع الجوى ، فإن الحقيقة التي اذهلتهم هو
اختراق القوات الجوية المصرية للمجال الجوى الاسرائيل بهذه القوة .

وفي الثالث والعشرين من يوليو وصف الرئيس عبد الناصر في خطابه
الى الاتحاد الاشتراكي العربى فى الاحتفال السابع عشر للثورة المصرية وصف
هذه المعركة الجوية بأنها اكبر اشتباك حدث منذ حرب يونيو ، وعبر عن
اعتزازه الكبير ورضا الشعب للجهد الجبار والنتائج العظيمة التي تمت في
يوم المعارك الكبرى ، غير أنه حذر من أن ذلك يعتبر تصعيدا خطيرا في القتال ،
ودعا مرة أخرى الى مواصلة حرب الاستنزاف قائلا : لقد شرعنا الآن في
معركة طويلة لاستنزاف قوى العدو . . . لقد بدأنا الآن مرحلة حرب التحرير .
ان حرب الايام الستة لم تنته ، ولكن حرب السنتين او الثلاثة - او حتى
السنوات الست مستمرة . . . اننا لا نزال في حرب مع الاسرائيليين . .

ولقد نظر الى العمل الذى قام به السلاح الجوى المصرى فى العشرين
من يوليو نظرة الابتهاج من جانب المصريين كعلامة من علامات اتمام اعادة
بنائه ، كما اعتبر دليلا على مقدرة المصريين على تنفيذ عمليات قصف جوى
على الاهداف الاسرائيلية ، وذلك على الرغم من الخسائر التي تحققت ، الا
أن ذلك كان ضربا من المبالغة ، وأنه لا زال هناك الكثير مما ينبغي عمله .
لقد أخذت الضربة الوقائية الاسرائيلية القوات الجوية المصرية على غرة مما
جملها تعاني أشد المعاناة اذ فقدت نحو ٣٠٠ طائرة حربية من بين ٤٥٠
طائرة ، وتم أغلب هذا الفقد فى الساعات الاولى من الحرب . غير أن التوسع
السريع من جانب مصر كان يعوقه النقص المزمن للطيارين ، اذ فى حرب يونيو
قتل على الاقل ١٠٠ طيار كما جرح ٢٥٠ منهم ولم يتبق من الصالحين
للطيران سوى ١٠٠ طيار يكاد عددهم لا يكفي لقيادة انطائرات الحربية
المتبقية وفوق هذا فإن الاسرائيليين قد اظهروا تفوقهم فى مجال القتال
الجوى .

وكان الفريق محمد صدقي قائد السلاح الجوى المصرى قد أقبل
لفشله فى حرب يونيو . وفى ١١ يونيو ١٩٦٧ عين محله الفريق أول مذكور
أبو العز ، الذى قام معه عدد من كبار الضباط الذى جرى ترقيةهم حديثا
أو ممن عينوا فى مناصب جديدة بالشروع فى اعادة تنظيم واعادة بناء السلاح
الجوى بمساعدة الاتحاد السوفيتى ، وكانت محاكمة كبار ضباط السلاح
الجوى الاربعة ، وما تمخض عنها من موجة من الاعتراض على التساهل الذى
سادت تلك المحاكمات قد صارت من المواضيع المثارة فى ذلك الوقت . وفى
موجة الادانة ثم اقالة كثير من الضباط فى المراكز التنفيذية تدخلت البعثة
العسكرية السوفيتية ومنعت ابعاد المزيد من الضباط الاكفاء . وفى الحقيقة
فإن البعثة أصرت على أن بعض من نجحوا فى الدراسات السوفيتية للتدريب ،

أو من إيقاع كعادتهم أن يجري إعادتهم إلى منازلهم وهذه الطريقة تم بحسب
حسوت - القليل كالم في هيكل القيادة والتنفيذ في السلاح الجوي .

وكانت واحدة من الأخطاء الرئيسية تكمن في تركيز طائراتهم بطريقة
مكتسوفة في عدد قليل من المطارات تقع تحت طائلة إسرائيل ، ومن ثم كانت
الوحدة الأولى هي انتقال ما يمكن نقله من الطائرات وأية طائرة يمكن التوصل
أو تصليحها كان يجري إرسالها إلى مطارات لا تقع تحت طائلة إسرائيل
أما ما بقي من الطائرات الصالحة للتصليح ، وكذلك الحال بالنسبة للطائرات
التي كانت قد حوت بسرعة إلى الجبن في صناديق لم تقع في حرب يونيو
فقد تم إعادتها إلى مصر . ووصلت إلى مطار القاهرة الدولي المستودعات
السوفيتية من الصواريخ ومطبخها من طائرات ميغ ٢١ . وقد ذهب
التفكير الإسرائيلي إلى أنه حتى نهاية أغسطس كان ٦٠٪ من خسائر
مصر من الطائرات في حرب يونيو قد جرى استرجاعها منها ، والتي تبين
في عددها ٢٠٠ طائرة ولكنها بالتأكيد تشمل تلك الطائرات التي وردت في
صناديق والتي كانت قد وزعت مؤقتا إلى اليمن . وبمقدار هبطت أعداد
الطائرات حتى بلغت مرحلة التوقف تقريبا ، ولربما تصور الروس أنه لا مفر
لإرسال مزيد منها حتى يتم تدمير الطيارين المصريين على الطيران بها .
وكذلك إلى أن تتوفر الاعتماد - التقنية من الطيارين .

وكان المصريون قد فقتوا خمسة مطارات حين جرى دفعهم من سيناء
ولم يبق لديهم سوى ٢٠ مطارا في مصر يقع ثلثها تحت طائلة الإسرائيليين ،
وتم وضع الخطط لاقامة نحو ١٥ مطارا آخر تقع أساسا في منطقة الدلتا
ووادي النيل . وصارت الخطة الآن هي بناء حظائر من الاسمنت لكل طائرة
على حدة حيث تبني كل طائرة في حظيرتها إذا لم تكن في مهمة بالجو ، غير
أن هذا قد استغرق بطيئة الحال عدة شهور لاستكماله . وقد تم إنشاء
خمس ممرات طوارئ جديدة للطائرات ما بين القاهرة والإسكندرية وذلك
بوصف الاحتياطي المركزي لطريق المردوح للحمولات بالاستنفات .

وحتى يتسنى معالجة النقص الشديد من الطيارين المصريين فقد جرى
اعتماد دراسات مكثفة في كل من الاتحاد السوفيتي ومصر لتدريب المزيد
منهم . وخلال بضعة أسابيع كان قد أمكن عند دورات تدريبية لنحو
١٠٠٠ طيار ، غير أنه كان يلزم عدة شهور حتى يتسنى دخولهم في أية
مهمة فعلية . وبقيت قوة السلاح الجوي حتى ما يقرب من المستوى
٢٠٠٠ غير أن عند الطيارين ارتفع بشان وأن كان ذلك ببطء ، وقد
أصيب إلى السابق من حرب يونيو الطيارون الجرحى حينما تم شفائهم
والذين انضموا إلى الطيارين الجدد في أمام تدريباتهم . وكان في مصر
١٠٠ من طيارين ، من السوفيت لهذا الغرض ، بالإضافة إلى ١٠٠ آخرين
المجموعوا في السلاح الجوي في المجالات التنفيذية والإدارية ، وتدريب
العمليات . وفي داخل عملية التنظيم نفسها كان يوجد عدد فرد

على الأقل يعمل كمستشار لدى كل سرب جوي وفي أول يوليو
١٩٦٧ كانت الطائرات المصرية نشطة مرة أخرى في سماء اليمن لمساندة
الحرم المصري الأخير القصير الأمد ، والذي أعقبه خمود الحرب حتى حلول
سرب الخوطة سوم ، حين فك المصريون اشتباكاتهم ، وعادت كل الطائرات
والطيارين إلى وطنهم لينتقلوا بالسلاح الجوي الجديد الذي كان يجري
تجهيزه ببطء .

وقد حثت البعثة العسكرية السوفيتية الطيارين على اتباع سياسة
الحفاظ على النفس ، تلك السياسة التي كانت تتماشى مع مرحلة الصمود من
استراتيجية عبد الناصر المتضمنة أن يثبت المرء رأسه ولا يعترف بالهزيمة .
لقد كانت مرحلة من مراحل الإصرار على البقاء ، وعلى ذلك تقرر إبقاء
السلاح الجوي في الخلفية . بعيدا عن العدو بقدر الامكان بينما يجري
المعمل على الحفاظ والتكديس ، وإعادة بناء سلاح جوي جديد لديه القدرة
على هزيمة السلاح الجوي الإسرائيلي إذا حانت الموقعة .

وكان الطيارون من الندرة بحيث لا يتسنى التفريط فيهم . وتم
ابتزازهم بعيدا عن منطقة القتال ومنعهم من القيام باعتراض أية طائرة
إسرائيلية مما كان يمر أحيانا بالأجواء المصرية عقب حرب يونيو مباشرة
لاظهار حريتهم في التجول في سماء مصر . ومن ناحية أخرى فإن الطائرات
الإسرائيلية كانت تتقيد بالطيران فوق منطقة القنساء عموما ، وتبتعد عن
المنطقة والقاهرة ووادي النيل . وفي مستهل شهر ديسمبر ١٩٦٧ قدم إلى
القاهرة سرب من الطائرات السوفيتية مكونا من ١٠ طائرات قاذفة من طراز
تي يو - ١٦ للمساندة ، وبقيت لبضعة أيام بما المص إلى الإسرائيليين إلى
أن القوة الجوية السوفيتية موجودة في الأفق ، وأن لديها القدرة على التدخل
إذا اقتضى الأمر . وفي شهر أبريل من العام التالي زار القاهرة سرب سوفيتي
آخر لنفس الغرض ثم تبع ذلك زيارات مشابهة في تواريخ لاحقة .

وعلى الرغم من الهزيمة الساحقة ، فإن الروح المعنوية لدى الطيارين
المصريين ظلت ثابتة وشعر كثير منهم بأنهم لم تسنح أمامهم أية فرصة لاثبات
وجودهم . وقبل حرب يونيو كانت روحهم المعنوية وثقتهم في أنفسهم عالية
كما أن المعلمين السوفيت كانوا يمتدحون كفائتهم ، ولم يكن ثمة سبب
يبدوهم لقبول فكرة أنهم أدنى كفاءة عن غيرهم مما عمل على إبقاء روحهم
المعنوية في هذا الارتفاح . بيد أن قليلا من الطيارين المصريين المغامرين
قاموا بطلعات إلى منطقة القناة في أوقات كان يجري الظن أنها مخالفة للأوامر
إلا أنه ينبغي الثناء على شجاعتهم هذه في مواجهة التفوق المشهور للسلاح
الجوي الإسرائيلي . وفي الرابع من شهر يوليو ١٩٦٧ أعلن الإسرائيليون
أنهم قد أسقطوا طائرة كانت تحلق على ارتفاع منخفض بالقرب من
بور توفيق كما طاردوا أخرى بالثيران المضادة للطائرات . وفي اليوم الثامن
من الشهر ظهرت أربع طائرات مصرية من طراز ميغ على الشاطئ الشرقي

للقناة ، وأعلن الاسرائيليون أنهم قد أسقطوا واحدة منها حينما كانت في داخل المجال الجوي الاسرائيل بتسعة أميال ، وبعد ذلك يبدو أن الطيارين المصريين قد جرى التشديد عليهم بعدم مبارحة أماكنهم .

وعلى العكس من ذلك ، ففي ٢٥ أكتوبر ١٩٦٧ ، في اليوم الذي أعقب اشعال النار في معامل تكرير البترول في ميناء السويس للمرة الاولى من جانب الاسرائيليين مستخدمين في ذلك مدافع المورتار الثقيلة جرى اقالة قائد السلاح الجوي المصري لعدم انقضاء طائراته على مواقع ضرب النار الاسرائيلية . كل هذا جعل الطيارين المصريين المتلهفين بشعرون بشعور أفضل ، ولربما كان ذلك ذا فائدة لهم ، وذلك أنه لو كانت أقلقت الطائرات المصرية فلربما وقعت في كمين ، وانقضت عليها الطائرات الاسرائيلية التي تحلق الى أعلا وتنتظر هذه الفرصة مما يجعل النتيجة النهائية خسائر أكبر بالنسبة للمصريين . وجرى احلال الفريق أول مصطفى الحناوى محل قائد السلاح الجوي الذي أقيل . وكانت شهرة الحناوى أنه منظم جيد وادارى كفء .

وكان اصرار مستشارى الاتحاد السوفيتى هو السبب بدرجة كبيرة فى ابقاء الطيارين المصريين بعيدا عن العمليات اذ كانوا يعتقدون أنه يجب على المصريين أن يتلقوا مزيدا من الدراسة والتدريب والعمل الشاق ، وأنه لكي يصبحوا مستعدين لتحدى الاسرائيليين فى الجو بنجاح فان الأمر يستلزم سنتين أو ثلاث سنوات . وكان ذلك باعثا على التذمر بين الطيارين الذين لم يتوفر لديهم الصبر والذي بلغ ذروته فى أوائل ديسمبر ١٩٦٧ حينما تم اكتشاف ان الاسرائيليين يقومون ببناء ممر أرضى للهبوط فى سيناء بالقرب من البحيرات المرة الكبرى - اذ رغب الطيارون فى قصف هذا الممر الا أنهم لم يحصلوا على التصريح بذلك ، وعلى ذلك فقد قاموا باضرار صامت استمر أربعة أيام .

ونظرا للقلق الذى اصاب الرئيس عبد الناصر من جراء توقف الامدادات بالطائرات من جانب الاتحاد السوفيتى فقد طلب حين كان فى موسكو فى يوليو عام ١٩٦٨ - من بين بنود أخرى - مزيدا من الطائرات المقاتلة ووعدوه ببعض الطائرات من طراز اس يو - ٧ س .

وقد قدر الاسرائيليون أن نحو ٨٠٪ من خسائر مصر فى حرب يونيو ٦٧ قد تم تعويضها بالفعل ، وأن أى امدادات أخرى سوف ترفع قوة السلاح الجوي المصرى الى مستواه قبل حرب يونيو الذى كان ٤٥٠ طائرة مقاتلة .

وباشر السلاح الجوي المصرى طلعاته المعتادة ، من أجل الاغراض الاستكشافية بصفة أساسية والتي تسببت عنها اشتباكات عرضية بين الطائرات المعادية . وفى الواحد والثلاثين من شهر أكتوبر ١٩٦٨ على سبيل المثال وفى اليوم التالى للغارة الاسرائيلية على نجع حمادى اشتركت طائرتان

من طائرات الميج المصرية فى قتال جوى مع طائرتين اسرائيليتين من طراز ميج - فوق القناة ، وادعى كل من الطرفين بأنه قد أسقط واحدة من طائرات الطرف الآخر والذي قام كل بدوره بانكار حدوثه . وبعد هذا قامت طائرات الميج بطاعات تدريبية فوق القاهرة على فترات ولم تظهر أية طائرة اسرائيلية .

ولقد تسببت الغارة على نجع حمادى فى ايجاد قلق تجاه تأمين السد العالى والمدن وأعمال الري فى وادى النيل الاعلى حيث يسكن نحو ثلثي السكان ويرتبطون بمهنة الزراعة حول الشريط الضيق من الاراضى القابلة للرى على كلا جانبي النهر . وعلى ذلك فان التدبير الشديد للقنوات وللسدود المتحركة فى المياه يمكن أن يضع حياة الافراد والممتلكات فى موضع الخطر على نطاق واسع . وقد أمكن التحقق من وجود ثغرات فى الدفاعات الجوية المصرية التى كانت هى نفسها غير معصومة كما حدث حين أمكن الطائرة الاسرائيلية من الطيران تحت مستوى الاشعاعات الرادارية الدفاعية ان تصل الى ما حققته لنفسها من أهداف . وتم بناء دفاعات حول سد أسوان تضمنت صواريخ سام - ٢ س ، ومدفعية موجهة بالرادار من عيار ٥٧ مم - مضادة للطائرات بعضها كان يقوم الروس بتشغيلها . وكان أمل المصريين أن هذا سوف يردع الاسرائيليين عن الهجوم فى حالة أن يتسبب ذلك عن اصابات بين السوفيت ومن ثم ينغمسون فى حدث عالمى . وأخيرا تم اضافة صواريخ من طراز سام - ٣ س يديرها السوفيت الى الدفاعات التى كانت موجودة حول سد أسوان ، تلك الدفاعات التى كان مفهوما أنه فى مقدورها من الناحية النظرية أن تسقط الطائرات من أنواع الميراج والفانتوم التى يقودها طيارون اسرائيليون .

وكان الرئيس عبد الناصر قد شن حرب الاستنزاف فى أوائل ربيع عام ١٩٦٩ حين صرح بالبدا باطلاق السدود الكثيفة من نيران المدفعية وبغارات رجال الكوماندوز عبر القناة مما خفف من عدم الصبر الذى كان سائدا فى القوات الجوية نوعا ما . وعلى الرغم من أن الروس لم يعتقدوا بأن القوات الجوية قد أصبحت بعد جاهزة لملاقاة الاسرائيليين فان عددا من الطلعات كان يجرى السماح بها فى منطقة القنال ابتداء من شهر مايو مما أسفر عنه بعض الاشتباكات التى لم يكن فى المستطاع تجنبها . وفى اليوم الرابع والعشرين وعلى سبيل المثال نشبت معركة جوية قرب القنطرة وادعى كل من الفريقين ادعاءات متضاربة . فقال المصريون أن ثلاثة تشكيلات من الطائرات الاسرائيلية حاولت الدخول فى المجال الجوي المصرى الا انها ردت على أعقابها بعد أن تكبدت طائرة اسرائيلية تم تدميرها ، فى حين قال الاسرائيليون أن تشكيلين مصريين حاولا عبور القناة وأن طائرتهم تصدت للتشكيلين وأسقطت منها طائرتين أثناء القتال وأن أحد صواريخهم من طراز

هوك قد أصاب الثالثة . وان الصاروخ هوك أصاب الطائرة الميج - ٢١ التي كانت تطير على ارتفاع ٢٢٠٠٠ قدم ويكون هذا انصاروخ يدك قد أصاب طائرة من هذا النوع من الطائرات للمرة الأولى .

اما في شهر يونيو فقد كان هناك اشتباك آخر فوق خليج السويس ففي اليوم الثاني من هذا الشهر وفي معركة استمرت ٢٠ دقيقة قال الاسرائيليون ان طائراتهم تمكنت من اسقاط اربع طائرات ميج مصرية في حين ادعى المصريون بانهم اسقطوا طائرتين اسرائيليتين بينما عادت كافة طائراتهم الى قواعدهم سالمة . وفي اليوم السابع عشر من هذا الشهر ارسل الاسرائيليون بضع طائرات قليلة لتصرف فوق القاهرة بمثابة تحذير وتذكير للمصريين من مدى ما يمكن ان تصل ذراعمهم اليه ، وبالفعل فقد كان هذا التحذير هو الاول من نوعه منذ حرب يونيو مباشرة غير انهم رحلوا حين تلكا المصريون في اقلاع طائراتهم الميج .

وفي اواخر الشهر ، في يوم السادس والعشرين ادعى الاسرائيليون بانهم اسقطوا اربع طائرات ميج مصرية ، في حين قال المصريون انهم اسقطوا طائرتين اسرائيليتين ، ذلك القول الذي جرى انكاره . وفي اشتباك آخر في السابع من شهر يوليو قال الاسرائيليون انهم تمكنوا من اسقاط طائرتين ميج - ٢١ من جنوب شرم الشيخ ، وفي حين اعترف المصريون بالمعركة فقد انكروا حدوث أية خسائر .

وهذا يعود بنا الى المعركة الجوية في العشرين من يوليو ١٩٦٩ ، فعل الرغم من أن الرئيس عبد الناصر قدم لأمة صورة وردية لهذه العملية ففي اليوم الرابع والعشرين أقال كلا من الفريق مصطفى الحناوى قائد السلاح الجوي والفريق محمد على فهمى قائد السلاح للدفاع الجوي وأحل محلهما الفريق أول على بغدادى والفريق أول حسن كامل بالترتيب . وكانت التفسيرات لهذين التفسيرين الكبيرين فى المناصب هو أنه فى حين كان يجرى النظر الى الحناوى وفهمى بصفة منظمين أكفاء فانهما قد اكملتا المهمة المنوطة بهما وهى فى الأساس إعادة تشكيل السلاح الجوي والدفاع الجوي وأنه قد حان الوقت لاحتلال البديل الذى بزكى روح القتال فى هذين السلاحين ليكونا جاهزين للمعارك التى أصبحت وشيكة . وما ان حل منتصف عام ١٩٦٩ حتى كانت مصر قد امتلكت ٢٥٠ طائرة مقاتلة . وكلها من النمط السوفيتى الجارى ، معظمها حديث جدا مما جعلها فى مصاف ما لدى اسرائيل من حيث عدد الطائرات تقريبا . وعلى الرغم من أن التقديرات تتباين قليلا ، ويرجع ذلك أساسا الى البطء فى التسليم مع ثبات المعدل بالنسبة لتسليم نوعيات معينة من الطائرات لتكون فى متناول الطيارين المصريين المدربين بالفعل لكى يطيروا بها ، واذا قسمت الى نوعياتها فربما تكونت من ١٠٠ ميج - ٢١ س ، ١٢٠ ميج - ١٧ س ، ١٩ س ٨٥ من طراز اس يو - ٧ س ، ١٥ من طراز كى يو - ١٦ س ثم ٣٠ من طراز آى ال -

٨٢ س . وليس من الضرورى أن يكون المرء مغرقا فى استيعاب خواصها التكنولوجية ، الا أن ملخصا مختصرا حول أوصافها وقدراتها الخاصة يعبر أمر ذا فائدة . فسلسلة طائرات الميج (١) أصبحت تطويرا من طائرة الميج - ١٥ ، وهى طائرة ذات مقعد واحد نقانة مقبالة والتي كان اول ظهورها فى الجانب الشيوعى فى حرب كوريا عام ١٩٥٠ . وطائرة الميج - ١٧ كانت نسخة معدلة ومحسنة ، جرى تزويدها بمدفعين من عيار ٢٣ مم ، الا ان الطائرة ميج - ١٩ صارت أسرع حيث صار لها محركان وزودت بمدفعين من عيار ٢٧ مم وآخرين من عيار ٢٣ مم والاولى من نوعها الى أنها تطير بأعلى من سرعة الصوت فى الطيران المستوى . وكانت الميج - ٢١ هى أحدث ما لدى المصريين من مقاتلات اذ كانت تحمل بالاضافة الى المدفع صاروخين جو - جو زنة ١٥٠ رطل كما ان مداها لنحو ميلين وجهاز توجيه باشعة تحت الحمراء يشبه الى حد ما فى الاداء نظيره الأمريكى من طراز « سايد ويندر » . وكانت الميج - ٢١ تعتبر المقابل الفنى لما لدى الاسرائيليين من طراز « سوبر ميستين » . وعلى الرغم من أن طائرات الميج سريعة ولها قدرة عالية على المناورة فانها تعتبر ذات مدى قصير جدا فالميج - ٢١ لها مدى يبلغ ٢٠٠ ميل وباقى موديلاتها الأخرى أقل من ذلك ، وهذا يعنى أن هذا النوع من الطائرات ينبغى أن يوضع قريبا من أرض المعركة وأن مدة بقائها فى الجو محدودة أيضا . وقد طالب عبد الناصر بطائرات الميج ٢١ - جى المحسنة وكذلك بأخر موديل وهو ميج - ٢٣ لكنه لم يفلح فى تحقيق طامبه .

أما طائرات اس يو - ٧ من سلسلة سوخوى (٢) وهى الطائرة الأساسية فى تكتيكات الهجوم الجوى لدى السلاح الجوى السوفيتى ، فهى طائرة ذات مقعد واحد طويلة الجناح قاذفة مقاتلة مزودة بمدفعين من عيار ٣٠ مم وسرعتها تبلغ ١٨٥ ماخ ولها القدرة على حمل كل من القنابل والصواريخ ، غير أنه الآن وقد احتلت اسرائيل سيناء فقد صارت اسرائيل بعيدة عن المتناول أما الطائرات تى يو - ١٦ من سلسلة التوبوليف (٣) . فهى طائرات متوسطة المدى للاستكشاف والقذف وهذا النوع من الطائرات يستطيع حمل قنابل زنتها ٢٠٠٠٠ رطل وطاقتها يتكون من سبعة أفراد ، ومزودة بسبعة مدافع عيار ٢٣ مم والمدفعين الموجودين بالمؤخرة يمكن التحكم فيهما اداريا ولهذه الطائرة مدى يبلغ مايزيد عن ٢٠٠٠ ميل . ونظرا لأن هذا النوع من الطائرات كان يحمل صواريخ سوفيتية جو - جو فان

(١) والاسم مركب من الحروف الاولى اسماء من مصمميها الاول وهما : ميكويان

وجيروفيتش .

(٢) سوخوى ، توبوليف ، اليوشن ، انتونوف ، وميل كلها اسماء مصممي الطائرات

السوفيتية .

(٣) انظر العاشية رقم (٢) من ٧٥ .

الاسرائيليين كانوا يخشونها كثيرا على اساس انها يمكن ان تصل الى اى جزء من اجزاء بلادهم . اما طائرات تى يو - ١٦ من الثلاثين التى كانت تمتلكها مصر فى عام ١٩٦٧ فكانت الهدف الاول فى حرب يونيو ، حين تم ضربها جميعا على الارض فى مطارات بنى سويف والاقصر وتدميرها .

اما طائرات اى ال - ٢٨ من سلسلة الاليوشن (١) فهى طائرات خفيفة قاذفة ذات محركين ، لها القدرة على حمل قنابل الى ما يصل الى ١٠٠٠٠ رطل مع نصف قطر تأثيرى داورى يبلغ ٨٥٠ ميلا . وقد جمعت الطائرات داخل مجموعات اسراب تتضمن ستة طائرات مقاتلة - اعتراضية مع طائرة الميج - ٢١ من اربع مقاتلات من طراز الميج - ١٩ س ، واثنين من المقاتلات من طراز الميج ١٧ س ، وخمسة من طائرات المهاجمة الارضية مع طائرات اس يو - ٧ س ، وواحدة من القاذفات الثقيلة من نوع تى يو - ١٦ س ، واثنين من القاذفات الخفيفة من نوع اى ال - ٢٨ س .

ومن الطائرات الأخرى التى امتلكتها مصر وتستحق الذكر ولم تدخل ضمن عدد الـ ٣٥٠ طائرة انحرية التى لديها نحو أربعين طائرة اى ال - ١٤ س وهى طائرات نقل خفيفة تحتوى محركاتها على مكابس وتقوم بنقل ستة افراد او ١٣٠٠ رطلا من البضائع ، وكذلك نحو ٢٠ طائرة أنتيونوف - ١٢ س - من سلسلة طائرات الانتيونوف ، وهى طائرة نقل تستطيع نقل ٤٤٠٠٠ رطل او ١٠٠ من الجنود ولها مدى يبلغ ١٠٠٠ ميل كما يمكنها حمل المركبات ، اما بالنسبة لمجال التدريب فقد كانت هناك ١٥٠ طائرة قديمة مكونة اساسا من طائرات الميج ، وكانت هناك طائرات رسال ، ودقان من طائرات التدريب ومن الجدير بالاشارة اليه أنه من الصعب بوجه عام تقدير نصف قطر العمل او الاثر الذى تحدثه طائرة من الطائرات وعلى الاخص القاذفات وطائرات الهيليكوبتر ذلك أن الامر يتوقف بدرجة كبيرة على حمولتها الفعلية ، وعلى تلك العوامل المتعلقة بما اذا كان هناك مستودع اضافى للوقود فوق الطائرة او مثبتا تحت الاجنحة . غير أن المدى الذى يذكر عادة هو بالنسبة للحمولة الفعلية دون احتساب لمستودعات الوقود الاضافية محسوبة الى الهدف الواقع فى الطرف النهائى من القاعدة .

وكان لدى مصر أيضا نحو ٧٠ طائرة هليكوبتر من مختلف الانواع من سلسلة ميكايلى الى ميل (١) وكانت الطائرة ام اى - ١ من اولى الطائرات التى وضعت تحت الاستخدام ، كما أن الطائرة ام اى - ٤ تستطيع رفع حمل صافى (دون استخدام مستودعات اضافية للوقود) يبلغ ٢٨٠٠ رطل او ١١

(١) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٧٥ .

جنديا ولها نطاق يبلغ ١٥٠ . فى حين أن الطائرة ام اى - ٦ وهى أكبر هيليكوبتر فى العالم فتستطيع نقل حمل صافى قدره ٤٠٠٠٠ رطل كما تمكن من حمل ٧٠ جنديا ، ولها طاقم مكون من خمسة افراد ولها نطاق يبلغ ٢٠٠ ميل ، غير أن الطائرة ام اى - ٨ وهى هيليكوبتر ناقلة لها القدرة على حمل ٢٨ جنديا كما أن لها حمولة صافية تبلغ ٦٦٠٠ رطل ونطاقا يبلغ ٢٤٠ ميلا .

ولقد بنى الدفاع الجوى المصرى حول مدفعية مضادة للطائرات وبطاريات من الصواريخ سام جرى التنسيق بينها عن طريق الرادار .

اما بالنسبة للأسراب الستة من الطائرات ميج - ٢١ الاعتراضية المقاتلة منظرا لأنه من غير الممكن أن يكون المصريون اقوياء فى كل مكان فقد عملوا على تركيز مصادرها حول القاهرة والاسكندرية والدلتا وسد اسوان . على أن يجرى التعامل مع الهجوم الجوى ذى الارتفاع المنخفض بالمدفعية المضادة للطائرات التى كانت تشمل الانواع السوفيتية الحديثة من حيار ٢٧ مم ، ٥٧ مم ، ١٠٠ مم وأكثرها يدار بالرادار وبعضها له ماسورتان وبعضها له القدرة على اطلاق النار الى معدل يبلغ ١٨٠ جولة فى الدقيقة الواحدة على مدى يبلغ ١٠٠٠٠ قدم .

وكانت صواريخ سام - ٢ (١) العمود الفقري للدفاع انجوى للاتحاد السوفيتى العادى . وصممت هذه الصواريخ لمطاردة وقتال الطائرات التى تطير بعلو متوسط او عال . وهى صواريخ من مرحلتين تحمل رؤسا عالية التفجير يبلغ زنتها ٢٨٨ رطلا ، ولها مدى يبلغ نحو ٢٨ ميلا وحدها على نحو ٦٠٠٠٠ قدم . وكان الهدف يجرى حصره عن طريق الرادار ثم لدى هذا الصاروخ جهاز توجيه اوتوماتيكي محكوم بالراديو . ولم يكن هذا الصاروخ ذا كفاءة عالية جدا ضد الطائرات السريعة او التى تطير على ارتفاع منخفض ذلك أن سرعته فى مغادرة قاعدة ارتكازه وسرعة عجلته بعد انطلاقه لم تكن بالدرجة التى تمكنه من ذلك . ولم يبرهن سام - ٢ على فعاليته ضد الطائرات الاسرائيلية فى حرب يونيو كما أن نتائج تشغيله فى حرب فيتنام كانت مخيبة للآمال . ومنذ حرب يونيو لم يتم توريد الكثير منها لمصر ، وعندما حل منتصف ١٩٦٩ كانت قد حصلت على ٢٠٠ منها أو أكثر قليلا . وكانت هذه الصواريخ تحت رئاسة منفصلة ، تحت الادارة السوفيتية بوجه صارم . اذ أن المستشار السوفيتى فى البطارية كان يتحكم فى الصمام الكهربائى

(١) سام تعنى او هى مكونة من الحروف الانجليزية الدالة على صواريخ من السطح الى الهواء . والاسم او العلاقة السوفيتية للصواريخ هى فى ٧٥٠ فى كى . اما هذا الاسم بالنسبة للنظام كله فهو فى ٧٨ اس . ام . اما الاسم الكودى بالنسبة للناو (حلف شمال الاطلس) فهو « جايد لاين » .

للاطلاق ، وذلك على الرغم من أن الطاقم يقوم بتشغيله وصيانتة أفراد مصريون . . . وكانت صواريخ سام قد تشكلت في ٢٥ بطارية كل منها عبارة عن سر قواعد اطلاق وتم انتشارها حول القاهرة ، والاسكندرية وبعض المطارات الكبرى المعينة مثل غرب القاهرة ، وانشاص ، والسد العالي ، ومنطقة القتال ومن جهة أخرى فإن سام - ٢ يتمتع بالحركة فوق قواعد اطلاقه الا أنه لا يتسنى اطلاقه وهو في حالة حركة وكانت أفضل طريقة لتشغيله هو من قاعدة دائرية خرسانية والتي كانت بدورها معروفة بوضوح للطائرات الاسرائيلية . وقبل حرب يونيو مباشرة كان لدى مصر نحو ١٥٠ من صواريخ سام - ٢ منتشرة على نحو ثمانية عشر موقعا . وكان هناك موقع منها في سيناء وتم للاسرائيليين الاستيلاء عليه سليما لم يمس ، وطبقا لذلك صغار الاسرائيليون معتادين عليه .

لقد تمكنت القوات الجوية الاسرائيلية التي بلغت مرحلة عالية من التدريب ، والتي ينظر اليها الاسرائيليون على اعتبار انها مفتاح انتصاراتهم في حرب يونيو ، تمكنت من هزيمة السلاح الجوي المصري في خلال ساعات ، ودمرت سلاح الجو الاردني في ساعة ، وأصابته تلك الاسلحة الجوية الخاصة بسوريا والعراق بالضرر ذلك أنها ابتعدت عن المعركة . وفي بداية الحرب كان لدى الاسرائيليين نحو ٤٥٠ طائرة من كافة الأنواع ، منها ٣٥٠ كانت طائرات حربية ، وفي خلال الحرب فقدت اسرائيل ٤٠ طائرة . ومنذ ظهور هذه الدولة الى الوجود فإنها قد مرت بتجارب شديدة الصعوبة في محاولة الحصول على الطائرات وفي بناء سلاحها الجوي ، ولم تلق اسرائيل بغيرتها الا حين وجدت في فرنسا حليفا عام ١٩٥٨ (والتي كانت منغمسة بعمق في الاضطرابات التي عمت الجزائر) وربما كان ذلك أيضا نظرا لأن مصر كانت تساعد مثيرى هذه الاضطرابات . وعلى ذلك أمكن لاسرائيل أن تحصل على الطائرات الفرنسية الصنع ببعض الاعداد ومن ثم أمكنها توسيع نطاق قواتها الجوية الى حجم يكفي لمتطلبات دفاعها . وفي بداية حرب يونيو كان لدى اسرائيل نحو ٢٠ طائرة سوبر ميستير وكذلك ٤٠ « ميستير مارك آي في آي » ٧٣ طائرة ميراج مارك آي آي جي ، ٤٨ « أوراكان » ، ٦٠ فوجا ماجستير ، ٢٥ « فانور آي آي اس » ٢٠ « نوراتلاس » وستراتوكروزر كحاملة للطائرات ، ونحو ٢٥ هيلوكوبتر . ومعظم الطائرات كان لها مدى يبلغ ٤٠٠ ميل أو أقل وكان قد جرى تجميعها في ١٣ سربا منها أربع طائرات اعتراضية ، وخمس قاذفات مقاتلة ، واثنان للنقل واثنان هيلوكوبتر .

لقد كانت الطائرة الاوربية الغربية الاولى التي تطير في مستوى أفقى بسرعة تفوق سرعة الصوت هي الطائرة « سوبر ميستير » اذ كانت أسرع وأحدث طائرة تمتلكها اسرائيل وكان يجري اعتبارها المضاهي الفني لطائرة الميج - ٢١ . ولكونها مقاتلة - قاذفة فقد زودت بالصواريخ ، وتستطيع حمل مستودعات من النابالم ومزودة أيضا بمدفعين عيار ٣٠ مم . أما الطائرة ميستير

آي في آي فكانت أقدم (توقف اناسجها في فرنسا منذ ١٩٥٨) نفائة - « تريبو » وهي مخصصة للهجوم الارضى وتحمل كلا من القنابل ومستودعات النابالم . ومزودة بمدفعين من عيار ٣٠ مم . أما الطائرة الآلية للزوال نظرا لعدم المهة بها فهي « الأراجون » وهي أقدم قاذفة مقاتلة في الخدمة الاسرائيلية وكانت مزودة بأربعة مدافع ٢٠ مم ونها القدرة على حمل شحنة من القنابل تزيد على ٢٠٠٠ رطل . أما طائرات الفاتور ذات المحركين والمقعد الواحد والتي تطير في كافة الاجواء وتعمل في مهمات متعددة ، وتعتبر مهاجمة أرضية أيضا فكانت لها القدرة على حمل شحنة من القنابل وتبلغ ٤٠٠٠ رطل وكانت أيضا عتيقة نسبيا . كما أن الميراج مارك آي آي اس ، ذات المقعد الواحد فقد كانت أول ما جرى توريده الى اسرائيل عام ١٩٦٣ . وكانت هي الطائرة الاعتراضية الاسرائيلية الوحيدة التي لها قدرة على تحدى الميج - ٢١ . وكانت ذات أجنحة على هيئة (دلتا) وهي تطير أسرع من الصوت - كما انها مقاتلة متعددة المهات مزودة بمدفعين عيار ٣٠ مم . وسرعتها ٢٨١ ماخ لها قدرة على العمل من ممرات جوية قصيرة وغير ناعمة . أما (الفوجا ماجستير) التي جرى تجميعها في اسرائيل فلها مقعدان أحدهما خلف الآخر للمدربين ، فقد جرى تقويتها وتعديلها لحمل القنابل ، والصواريخ ومستودعات النابالم ، وتم استخدامها في أدوار المساندات الأرضية . بالإضافة الى ذلك فقد كانت هناك صواريخ فرنسية في الخدمة لدى السلاح الجوي الاسرائيلي . أحدهما كان صاروخ ماترا آر ٥٣٠ جو - جو ، محمل برؤوس زنتها ٦٠ رطلا عالية التفجير . ولها مدى ١١ ميلا كما زودت بجهاز توجيه بالأشعة تحت الحمراء التي كانت النسخة العادية لكل من الميستير والميراج والفاتور . وكان الآخر هو فورد آي اس ٣٠ وهو صاروخ جو - أرض له رؤوس عالية التفجير نحو ٥٠٠ رطل مزود بجهاز توجيه حراري . .

ومن بين الطائرات الأخرى التي جرى ذكرها ، طائرة (النور اتلاس) ، و (الفونس - نورد ٢٥٠١) . وكانت طائرة نقل متوسطة لها القدرة على حمل ٤٥ جنديا كما يمكنها حمل مركبات من خلال باب خلفي . وكانت طائرة ستراوتوكروزر الامريكية ، والبوينج ٢٧٧ قادرة أيضا على حمل الافراد أو الشاحنات . أما طائرات « السوبر فريلون » ، و « الفرش سد ٣٢١ » فكانت أيضا طائرات متوسطة الحجم ، أو طائرة هيلوكوبتر للأغراض العامة مثلا ، لها القدرة على حمل حمولة صافية قدرها ٩٠٠٠ رطل ، أو ثلاثون جنديا ولها طاقم من فرد واحد أو اثنين كما أن لها مدى يبلغ أكثر من ٣٠٠ ميل .

وكانت طائرة (سيكورسكي) يواتس - ٣٤ نوعا محسنا من (سيكورسكي ٥٥) الذي استخدم في الحرب الكورية ، وهي طائرة هيلوكوبتر للخدمة لها القدرة على رفع ١٨ جنديا ولها مدى قنرة ٢٨٠ ميلا . وكانت هذه الطائرة تعرف أيضا باسم سيكورسكي - ٥٨ . والى جانب ذلك فإن الطائرة الفرنسية « فرنش ألويت » كانت طائرة هيلوكوبتر صغيرة

للاستطلاع لها حمولة صافية تبلغ ١٤٠٠ رطلا ، ولها القدرة على حمل قائد الطائرة وأربعة مسافرين ولها ومدى تقل عن ٢٠٠ ميلا . ومن ثم فإنه يمكن النظر الى أن الطائرات التي يستعملها السلاح الجوي الاسرائيلي في غالبيته فرنسي الصنع . اما قوة العنصر النظامي للسلاح الجوي الاسرائيلي فكانت نحو ٨٠٠٠ زيادتها الى ٢٠٠٠٠ حين التعبئة الكاملة ، ومن هذا العدد يوجد نحو ١٢٠٠ طيار في عمل منتظم ويبلغ متوسط عمره نحو ٢٤ سنة والذي كان قد بدأ صعوده في الجو في سن ١٨ سنة . ومؤلا قاموا بما لا يقل عن ٢٤ ساعة طيران في الشهر مقابل ما يقوم به الطيارون في أسلحة الجو الأخرى والتي تتراوح ما بين ١٢ - ١٦ ساعة في الشهر ، وبطبيعة الحال أقل من ذلك في السلاح الجوي المصري . وجرى التشديد على تدريبات الطيارين على الطيران المنخفض وعلى دقة إصابة الهدف بالمدفعية نحو الأهداف الأرضية . أما الطيارون الأرضيون فقد تخصصوا في إيجاد لغة دائرية للطائرة ولقد أمكن تخفيض الوقت اللازم ليكون فقط نحو عشرة دقائق . هذا بينما تستغرق هذه العملية في معظم أسلحة الجو الأخرى نصف ساعة على الأقل ولقد عمل هذا على تمكين الاسرائيليين من اضافة عدد أكبر من طلعات الطيران . ومن ثم فإن معدل استخدامات الطائرات كان عاليا . وقام الاسرائيليون بعملياتهم من نحو ٢٠ مطارا في اسرائيل بما في ذلك النقب وكانوا قد حصلوا على خمسة أخرى حينما اكتسحوا سيناء . ومن ذلك الوقت كانوا قد بنوا نحو ستة معرآت أرضية للطائرات في الصحراء بهدف دعم خط بارليف .

وكان لدى الطيارين الاسرائيليين نقطة تفوق ضخمة على المصريين ذلك أنهم تمكنوا من تكوين سرب أسنوه (السرب السوفيتي) مكون من خمس طائرات سوفيتية تتكون من واحدة من طراز اس يو - ٧ ، وثلاثة من الميج - ١٧ من واحدة من الميج ٢١ ، والتي كانت تستخدم في التدريب (لتعويد) الاسرائيليين على هذه الطائرات وقدراتها الخاصة التي سوف يلاقونها في العمليات . فأما طائرة اس يو - ٧ فكان قد جرى اسقاطها في ٢٠ يوليو ١٩٦٩ في إحدى المعارك ، وهبطت على رمال ناعمة . أما بالنسبة لطائرات الميج ١٧ من فإن اثنتين منها قد هبطتا على الأرض الاسرائيلية بطريق الخطأ من جانب طيارين عراقيين بينما استقطت واحدة وأمكن اصلاحها . وأما بالنسبة للميج ٢١ فقد أمكن للاسرائيليين الحصول عليها حين تم هرب أحد الطيارين العراقيين بها الى اسرائيل .

وكانت اسرائيل تمتلك صواريخ هوك (وهذا الاسم عبارة عن الحروف الأولى لما ترجمته بالعربية - موجبة لكي تقتل طول الطريق) ، والتي كانت تحت سيطرة سلاح الجو ، وكل بطارية لديها ستة قواعد انطلاق ثلاثية . وقد كان لدى اسرائيل نحو ٥٠ قاعدة انطلاق تم وضع عدد منها على طول سلسلة تلال بير جيفجاف . وهذه الصواريخ (الهوك) التي طورها الأمريكيون

في عام ١٩٦٠ لها مدى مائل يبلغ ٢٢ ميلا ولها سجل حافل على ارتفاعات من ١٠٠ قدم الى ٢٨٠٠٠ قدم ، ويمكن استخدامها أيضا ضد الأهداف الأرضية . وميزتها الكبرى كانت في أن . موجتها للرادارية الدنمة ، يمكن أن تميز الصدى النابع عن الأهداف المتحركة بسرعة من . القمعة المحيطة ، العامة .

وعلى الرغم من أن الاسرائيليين قد سيطروا عقب حرب يونيو على اجواء الشرق الأوسط ، فإن الحكومة الاسرائيلية ببعد نظرها نظرت هي والقيادة العامة الاسرائيلية الى المستقبل فكان يلقبها التوحيضات من خسائر الحرب ورغبة كل منهما في الحصول على مزيد من الطائرات للبقاء على وضع اسرائيل المسيطر ، غير أن المستقبل في هذا المجال بدا كئيبا . إذ أن الرئيس ديجول أثناء حرب يونيو والذي كان ينظر اليه الاسرائيليون في السابق على أنه حليفهم الحقيقي وأنه من أهم مواردهم للطائرات المتقدمة قد انحاز فجأة ودون توقع ناحية العرب وأدان الاسرائيليين لتصرفاتهم وقام بوضع حظر كامل على ارسال أية أسلحة فرنسية الى اسرائيل مما أصاب الاسرائيليين بغضب شديد . لقد طلبت اسرائيل ، ودفعت مقدما ثمن ٥٠ طائرة ميراج في اس . وكانوا يؤملون عليها في تشكيل أسرابهم الاعتراضية في المستقبل القريب . ولكنهم في الحقيقة لم يكتب لهم أبدا تسلم هذه الطائرات كما وجدوا صعوبات في استرداد أموالهم ولم يش الفرنسيون عن ارادتهم ، ولذلك فإنه في شهر يناير ١٩٦٨ ذهب أشكول رئيس الوزراء الى أمريكا لمحاولة اقناع الرئيس جونسون لأمداد اسرائيل بالطائرات الحديثة ، وطالب - طبقا للتقارير الصحفية بامداد بلاده بخمسين طائرة فانتوم ، ومن أكبر طائرة أمريكية متقدمة في العمليات الحربية في ذلك الوقت وذلك للاحلال محل الميراج التي جرى فرض الحظر عليها من جانب فرنسا . وطلب أشكول أيضا تزويد اسرائيل بطائرات سكاي هوك التي كانت قد طلبتها عام ١٩٦٦ وأن يجري الاسراع في توريدها إذ لم يكن قد تم تسليم أي منها الى اسرائيل بعد . غير أن الرئيس الأمريكي كان مترددا ، وعاد أشكول أدراجة خاوي الوفاض غير أن جونسون علم أية حال كان قد أعاد النظر ، وبعد ثلاثة شهور أخرى بدأ توريد طائرات سكاي هوك الى اسرائيل .

وطائرات دوجلاس ٤١ سكاي هوك كانت طائرة من مقعد واحد مهاجمة قاذفة وكانت في الخدمة مع السلاح البحري الأمريكي منذ عام ١٩٥٦ ، وقد جرى تصميمها للعمل من حاملات الاسطول البحري ومن المطارات القصيرة . وهي مزودة بمحرك ثقات (تيربو) ومزودة أيضا بمدفعين من عيار ٢٠ مم ، ولها مدى ١٢٠٠ ميلا وتحمل القنابل والصواريخ الأمريكية من طراز سايدويندر (جو - جو) وأما الصاروخ سايدويندر فإن له رأسا عالية الانفجار زنتها ١٠ أرطال وله مدى يبلغ ميلين وسرعة قدرها ٢٥٠ ماخ مع جهاز للتوجيه بالأشعة تحت الحمراء . أما الطائرات الأخرى الوحيدة التي حصلت عليها اسرائيل في عام ١٩٦٨ فكانت نحو ٢٠ طائرة هيليوكوبتر من طراز (أجوستا - بل) للاستخدام العادي لها ومدى يبلغ نحو ٢٦٠ ميلا .

ثم أعاد الرئيس جونسون النظر مرة أخرى ، ففي ٩ أكتوبر أعلن في أمريكا عن أن المفاوضات سوف تبدأ لبيع طائرات الفانتوم الأمريكية لإسرائيل وهذا القرار قد جعل الرئيس عبد الناصر يستتبع أن أمريكا قد قررت أن تضع عبء الدفاع مباشرة على إسرائيل وأنها بسبيلها لأن تتصل من ضمانات الأربعة الكبار منطقة الشرق الأوسط . غير أن الأمر لم يكن كذلك . . . إن الأمر كان ببساطة أن الرئيس جونسون قد أجل التصريح ببيع الفانتوم لعدة أشهر أملاً منه في أن يمنع الاتحاد السوفيتي هو الآخر عن إمداد الأسلحة مصر وباقي دول منطقة الشرق الأوسط من العرب .

وكانت طائرة ماكدونيل إف - ٤ ب « الفانتوم » متعددة المهام ذات المحركين ، ذات المقعدين ، قد دخلت الخدمة في السلاح البحري الأمريكي في عام ١٩٦٢ . وكانت لها القدرة للطيران بسرعة ٢٤٤ ماخ ويمكنها العمل على ارتفاع ٧١٠٠٠ قدماً ، وحمل سبعة أطنان من القنابل ، أو الصواريخ ، النابالم أو مستودعات الوقود الإضافية . وبالإضافة إلى ما زودت به من مدافع ٢٠ ملم فإنها تحمل صاروخاً من طراز سبارو ، جو - جو ، الذي له موجه مستمرة وجهاز توجيه ، نصف نشيط ، من الرادار ، مع قدرة خاصة للتمسك في كل الأجواء المشاحية . وكل الارتفاعات وله مدى يبلغ ثمانية أميال وسرعة تبلغ ٢٥٠ ماخ ويزن ٦٠ رطلاً . وقد أظهرت تجربة فينتام بأن هذه الطائرة تستطيع أن تمتص الأضرار الثقيلة ومع ذلك تعود إلى قواعدهما . وفضلاً عن ذلك فإن الفانتوم كانت تحمل صاروخاً مضاداً للرادار من طراز « شرايك » له محرك صلب وله مدى نحو ١٠ أميال كما أن له رؤوساً متفجرة تقليدية عالية التفجير .

ونظراً لأن الطائرات هيلوكوبتر الفرنسية الصنع فقد استعملت من جانب إسرائيل في هجومها على مطار بيروت في ٢٨ ديسمبر ١٩٦٨ حيث أمكنهم تدمير ١١ طائرة عربية ، فإن الرئيس ديغول كان قد قرّر حثراً كلياً على تزويد إسرائيل بالأسلحة مما أسفر عن فشل نهائي في الحصول على الخمسين طائرة ميراج أيضاً وعلى ثلاثة طائرات هيلوكوبتر ، فضلاً عن قطع غيار وتجهيزات إلكترونية كانت قد طلبتها إسرائيل بالفعل . وعلى الرغم من أنه من الناحية العملية كانت كافة الطائرات التي تستخدمها إسرائيل في سلاحها الجوي في طائرات فرنسية الصنع فإنها لم تكن في وضع سييء كما كان مقدراً أن يكون الحال ، ذلك أنه حين هدأت حدة الحظر المفروض في حرب يونيو في سبتمبر التالي قام الإسرائيليون بالحصول على أعداد ضخمة من الطائرات وقطع الغيار ومن ثم تجمع لهم احتياطي كبير . وكانت صناعاتهم الحربية المحتلة متمكنة في نفس الوقت في صنع هذه الأسلحة . وعلى أية حال فإن هذه اللطمة التي تلقوها قد خفف من آثارها التنفير الذي حل بالسياسة الأمريكية ، ففي اليوم التالي للعملية التي قام بها رجال العصابات الفلسطينيين

في ميناء أثينا الجوي (٢٦ ديسمبر ١٩٦٨) وقبل الغارة الإسرائيلية على مطار بيروت بيوم واحد أعلنت الخارجية الأمريكية أن اتفاقاً قد تم التوصل إليه لبيع ٥٠ طائرة فانتوم لإسرائيل وأن التسليم سوف يبدأ قبل نهاية عام ١٩٦٩ ويظل قائماً حتى عام ١٩٧٠ .

وكان كل من السلاحين الجويين على أهبة الاستعداد مع الآخر فعلى أحد الجانبين يوجد السلاح الجوي الإسرائيلي مزود بالخبرة وقد جرى اختباره فعليا في المعارك ، يشمر بالنجاح ، الثقة بالروح المعنوية العالية ، وعلى الجانب الآخر يوجد السلاح الجوي المصري بعد بناؤه حديثاً ، ولم يجر اختباره فعليا في المعارك ، يعاني نقصاً في الطيارين ، تنقصه الخبرة ، وأربما وثاقاً أكثر من اللازم غير صبور ، يسوق طياروه إلى الشات جدارتهم . . .

٦ - تدخلات القوة الجوية

« لسوف يكون من الخطأ المطلق اخفاء

المساوي في الجيش المصري »

برافدا ، عدد ١٣ سبتمبر ١٩٦٩

لقد ألقت القوات الجوية المصرية بنفسها على السلاح الجوي الاسرائيلي محاولة متواصلة في القتال على مدى أسبوع فقط . فبعد الهجوم المبدئي في ٣٠ يوليو حدث الاستقبال التالى الكبير فوق القناة في الرابع والعشرين من يوليو حينما اغارت الطائرات الاسرائيلية على المواقع المصرية ونشب قتال جوى حينئذ . وبعد انتهاء الاشتباك اعلن الاسرائيليون انهم استطوا صبح طائرات مصرية في قتال جوى منذ العشرين من الشهر دون أية خسائر في جانبهم . وهذا يجعل رقم الطائرات حسب ادعاءاتهم منذ حرب يونيو الى ١٩ طائرة (١) ، في الوقت الذى اعلن فيه المصريون انهم استطوا ست طائرات اسرائيلية مع اعترافهم بخسارة طائرة واحدة من طراز اس - يو ٧ .

وفي اليوم التالى ، الخامس والعشرين حدث هناك اشتباك آخر بين الطائرات فوق القناة حين انطلقت الطائرات المصرية لملاقاة الطائرات الاسرائيلية التى كانت تقوم بمهاجمة الدفاعات الارضية وتطور القتال . وبعد الظهر قام تشكيل من الطائرات المصرية باختراق مجال سيناء الجوى حيث وجه بمقاتلات اسرائيلية وصواريخ هوك . واطلقت الدعاوى المضادة كما هو معتاد ، غير ان المصريين فكوا اشتباكهم مرة أخرى . واثناء اليومين التاليين كانت هناك عدة غارات متكررة على المواقع المصرية بطول القناة ، ولم تبذل سوى محاولة واحدة جوية من جانب المصريين لاعتراض طائرات العدو وفى الثامن والعشرين من الشهر حينما قامت الطائرات الاسرائيلية بمهاجمة بور توفيق ، اعلن المصريون تمكنهم من اسقاط احدى الطائرات .

وعلى الرغم من اشتداد النشاط فى السلاح الجوي المصرى حتى الايام الأخيرة من شهر يوليو ، ثم بعد ذلك تحقق هذا السلاح انه قد خسر الثلاث أو الاربع معارك الرئيسية التى تمت فى الجو ضد الاسرائيليين وعلى ذلك فككت القوات المصرية اشتباكها لثقل جراحها واعادة النظر فى تكتيكاتها وفى ٣١ يوليو قال موسى ديان فى التليفزيون ان المصريين قد أدركوا أخيراً عدم قدرتهم على احسار التفوق الجوى الذى كانوا يستهدفون من أجل تغطية هجوم على نطاق واسع . وان تهديداتهم قد صارت أقل خطورة وأنها صارت

توحى بانفتاح أقل مما كانت عليه فى السابق . وعلق ديان بقوله « ان طائرات المصرية تتمركز فى قواعدنا التى تقع بعيدا جدا عن خطوة المواجهة ، عبرها لا زالت تحت طائلة اسرائيل وتنفست قيادة الأركان حرب الاسرائيلية صعداء لأنها لم تكن متأكدة بالضغط من القدرات الخاصة بالسلاح الجوى مصرى الجديد الذى دربه وجههزه السوفيت الا انها الآن اقتنعت بان المصريين قد استعادوا سيطرتهم الكبرى عليها . وعلى أية حال فقد كان نهر يوليو نقطة ذروة بالنسبة للضحايا والاصابات فى الجانب الاسرائيلي حيث كان هناك ٣٠ قتيلًا ، ٧٦ جريحًا فى جبهة القناة .

وواست الأركان العامة المصرية نفسها بالظن بأن السلاح الجوي قد استعاد نفسه وانه صار أكثر فعالية رغم الخسائر وان أى ضربة وقائية جوية أخرى من جانب اسرائيل لن يتوفر امامها سوى ٤٠٪ من فرص النجاح ، وان المصريين قد امتلكوا الآن القدرة على « الضربة الثانية » أن البعد عن ارض المعارك يعنى وقتا أكثر تحديدا بالنسبة للهدف أو المعركة الجوية . وفى المعارك الجوية كانت تطفى طائرات الميج - ١٧ س ، والميج - ١٩ س وهى أقل فى درجة الكفاءة الفنية عن الميراج الاسرائيلية غير ان تلك كانت سياسة الضرورة طالما كان على مصر ان تستعين بأى طيارين يتوافرون لديها ومعظمهم لم يتدربوا الا على هذين النوعين من الطائرات اما طائرات الميج ٢١ الجديدة فان طياريهها كانوا أقل مرتبة من الاسرائيليين رغم ان طائرات الغريقين كانت متساوية من الناحية الفنية فى هذه الحالة مما يشير الى حاجة هؤلاء الطيارين الى مزيد من الخبرة .

لقد كان الهدف من الهجمات الجوية على مدفعية المصريين على طول القناة هو تخفيف الضغط على خط بارليف ، الذى لم يكن قد اكتمل بناؤه الا الى درجة ما . وكانت مواقع المدفعية المصرية حتى هذا الوقت قد جرت حمايتها حماية جيدة وتم تحصينها رغم اصابتها بين الحين والآخر وكانت هذه الاسلحة قادرة دائما على الاستمرار فى اطلاق النيران عبر الممر المائى بسببه لاسرائيل بعض الاصابات (١) وان لم يكن بنفس الدرجة . واتبعت سياسة مشابهة فى شهر اغسطس ، فقد حاول الاسرائيليون تدمير أية طائرة مصرية تطير فوق القناة وذلك بمهاجمة أى واحدة منها تطل بانفها وفى نفس الوقت يقوم الاسرائيليون بالاستمرار فى قصف مواقع المدفعية المصرية وكذلك المورتاد بشدة . ولقد استفاد الاسرائيليون اكبر استفادة من فترة الراحة هذه لكى يقوموا بتقوية خط بارليف .

وعلى وجه العموم فان اغسطس كان شهرا هادئا فى الجو ، على الرغم من انه فى معظم الايام كانت الطائرات الاسرائيلية تهاجم مواقع المدافع

(١) لقد قال الاسرائيليون فى الرابع من اغسطس ١٩٦٩ ان ١٨٩ اسرائيليا قد قتلوا فى الجبهة المصرية فى حرب يونيو .

(١) وهى عبارة من ٥ ميج - ١٧ س ، ١٠ ميج ٢١ س ، ٤ اس يو - ٧ س .

المصرية في أي مكان على طول القناة . وفي اليوم التاسع عشر كان هناك اشتباك كبير بعد أن قام المصريون بقصف المواقع الإسرائيلية عبر القناة من بور توفيق حين قامت طائرات إسرائيلية (بما في ذلك عدد من التريسمات تسليها حديثا من أمريكا من طراز سكاي هوك) قامت بقصف المواقع المصرية في تلك المنطقة ودخلت في العمق إلى نحو عشرة أميال . وأعلن المصريون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات واعترف الإسرائيليون بفقد طائرة سكاي هوك وأنه قد تم أسر قائد الطائرة . وعادت الدفعة الأولى المكونة من اثني عشر طيارا إسرائيليا من أمريكا في التاسع من أغسطس حيث كانوا يتلقون تدريبا على طائرات الفانتوم . وفي الأيام الأولى من شهر سبتمبر وصلت أول طائرة فانتوم إلى إسرائيل ، إذ جرى تقديم موعد التسليم بسبب الانقلاب الذي حدث في ليبيا في أول سبتمبر .

وخلال شهر سبتمبر نفسه ظل نموذج الحال كما هو عليه . وفي السابع من هذا الشهر أعلن الجنرال بارليف أنه منذ العشرين من يوليو حين تسلم السلاح الجوي الإسرائيلي لأول مرة على جبهة قناة السويس فإن هذا السلاح قد قام بتنفيذ ١٠٠٠ طلعة على الأراضي المصرية وأنه فقد ثلاث طائرات في مقابل ١٠٠ طلعة من القوات الجوية المصرية خسرت فيها هذه القوات ٢١ طائرة . وهذه الأرقام كانت تشير إلى أنه رغم أن المجهود المصري أقل من عشر الجهد الإسرائيلي فإنه لم يكن غير ذي معنى كلية . غير أن الجنرال بارليف ردّد رأى وزير الدفاع الإسرائيلي من أن العمليات الجوية خلال شهر يوليو قد جعلت المصريين يفتنون إلى حقيقة أنهم لا يملكون القوة الجوية الكافية ولا الغطاء الجوي اللازم لتغطية هجوم أرضي .

وفي هذه المرحلة كانت الطائرات الإسرائيلية تركز جهودها أساسا على مواقع الأسلحة المصرية على طول جانب القناة ، غير أنه نظرا لأن إصابات إسرائيل في القوات الأرضية قد بدأت في التزايد فقد تحاولوا إلى مهاجمة مواقع الصواريخ أيضا . وفي التاسع من سبتمبر ، على وجه المثال ، وفي واحدة من هذه الغارات ، قام الإسرائيليون بقصف حوى على قاعدة دارج ، في خليج السويس وهي القاعدة التي كان يديرها السوفييت بالرادار ، وفي اليوم التالي - العاشر من سبتمبر أغاروا على مواقع صواريخ في الجزء الجنوبي من القناة . أما القوات الجوية المصرية التي ظلت ساكنة لبعض الوقت فقد قامت بالرد في الحادي عشر من الشهر حينما دخلت ١٠٢ طائرة عبر الجزء الأوسط من القناة باتجاه سيناء وقابلتها طائرات إسرائيلية مقاتلة وصواريخ من طراز هوك . ونشبت دوامة من القتال الجوي واستمرت هذه المعركة زهاء ساعة من الزمن حتى فض المصريون اشتباكهم وعادوا إلى قواعدهم . وفي حين اعترف الإسرائيليون بعد القتال بأنهم فقدوا طائرة واحدة ، فإنهم أعلنوا أنهم أسقطوا ١١ طائرة مصرية (ثمانية أثناء القتال واثنين بواسطة صواريخ هوك ، وواحدة بالنيران المضادة للطائرات) وقال المصريون أن لإسرائيليين قد فقدوا ثلاث طائرات في القتال الجوي

ورحله بواسطة النيران المضادة للطائرات ، غير أنهم لم يعرفوا إلا بحساره حاربين من جانبهم . ومرة أخرى ، ففي حين أثبت الطيارون الإسرائيليون معرفتهم بأنهم رأوا أن السلاح الجوي المصري قد بدأ أكثر خبرة . وفي الرابع والعشرين من سبتمبر كان هناك قصف شديد التركيز . قصف جوي لمناطق محصورة لمواقع الصواريخ على طول القناة . وفي مستهل شهر أكتوبر أعلن ديل من بداية هجوم جوي محدود يستهدف التركيز على تدمير مواقع الصواريخ وجهاز الانذار المبكر المصري .

وبدأت طائرات إسرائيل في مهاجمة منشآت الرادار وليس فقط في منطقة القناة وخليج السويس ولكن أيضا على طول ساحل البحر المتوسط ووصلت حتى غرب الاسكندرية . غير أن المنشآت الرادار كان يجري ترميمها بسرعة ، وما دمر منها جرى تصليحه تماما ، إلا أن التقارير التي كانت ترد من الضباط السودانيين والجزائريين كانت تشير إلى نجاح هذه الضربات الإسرائيلية .

ولم يسمح لأي من الأجانب بالسفر في الطريق الذي يقع للغرب من المعلمين دون الحصول على إذن خاص . ومنع مرورهم أيضا في مناطق أخرى بعضها لأسباب تتعلق بالأمن العربي العادي ، غير أن الأسباب الأخرى كان يجري الظن أنها لاختفاء مقدار الدمار الذي سببت الغارات الإسرائيلية .

وأثناء شهر أكتوبر نفذ الإسرائيليون عدة هجمات على مواقع الصواريخ والرادار ، والاشتباك مع أي طائرة مصرية يصادفونها تلك الطائرات التي بدأ أنها صارت أكثر جرأة وإن كانت أقل نجاحا . وفي السادس من أكتوبر كانت معارك جوية فوق القناة ، وأدعى الإسرائيليون بأنهم أسقطوا ثلاث طائرات مصرية ، إلا أن المصريين اعترفوا بفقد واحدة فقط قائلين إن طيارها قد هبط سائلا . وحدثت اشتباكات كثيرة في الجو خلال اليوم التالي بما استتبعها من ادعاءات وادعاءات مضادة . وفي السابع من أكتوبر أيضا قصفت إحدى الطائرات الإسرائيلية رأس الزعفرانة في خليج السويس حيث كان المصريون يقومون بإعادة بناء جهاز الرادار وبعض المنشآت الأخرى التي دمرها بعض رجال الكوماندوز الإسرائيليين في إحدى غاراتهم في الشهر السابق . وفي السادس عشر من الشهر أعلن الإسرائيليون من أنهم دمروا مدافع ثمانية صواريخ سام - ٢ منذ أول سبتمبر . وفي الرابع والعشرين قامت مجموعة من الطائرات المصرية بمهاجمة المواقع الإسرائيلية وكذلك المنشآت الإسرائيلية في منطقة الروماني ، التي تبعد نحو ٢٠ ميلا شرقي القناة ونحو ميلين من البحر ، وجرح في هذه العملية ١١ إسرائيليا . وبعد ذلك في نهاية نفس اليوم رد الإسرائيليون مستهدفين مواقع في القطاع الأوسط من القناة ، ونشأ قتال جوي حيث حاول كل من الفريقين إسكات مدفعية الآخر .

وفي العاشر من نوفمبر أعلن متحدث إسرائيلي بأن كافة مواقع سام ٢ على طول القناة من بور سعيد إلى خليج السويس قد تم تدميرها على طول

حملة جوية استغرقت شهرين ضد هذه المواقع . وفى اليوم التالي كانت هناك معركة جوية فوق القناة ، أعلن الاسرائيليون أنهم اسقطوا ثلاث مقاتلات مصرية دون اية خسائر من جانبهم ، فى حين أعلن المصريون ان نفائس اسرائيليين قد جرى اسقاطهما فى مقابل قدوم لطائرة مصرية واحدة . وفى مؤتمر صحفى فى الثالث عشر من الشهر قال موسى ديان أنه منذ اول ابريل قام المصريون بتنفيذ ١٢ هجوما جويا على المواقع الاسرائيلية . غير أن المزيد كان فى الطريق ، وفى الرابع والعشرين من الشهر قصفت تشكيل من الطائرات المواقع الاسرائيلية بين اقنطرة ومنطقة بالوطه فى الطريق نحو الشرق وطبقا لما أعلنته جريدة الاهرام أن ذلك كان ردا على غارة اسرائيلية فى الليلة السابقة حيث جرى اسقاط ١٢٢ طنا من القنابل فى مدى أربعة ساعات . وتغيرت اللهجة التى مانت الى التغيير فالتعبير عن الهجوم الوقائى الذى ابتدعه الاسرائيليون فى يونيو ١٩٦٧ خرج من نطاق التداول وحتى لم يكونوا يتحدثون عن الهجمات الانتقامية ، مرة أخرى وإنما بدلا من ذلك صاروا يتحدثون عن سحق لهجوم مضاد ، وكانت المعركة الجوية الثانية قد حدثت فى السابع والعشرين من نوفمبر حين قامت الطائرات الاسرائيلية بهجوم شديد على المواقع فى القناة مما استلزم انصرين وجعلهم يرسلون تشكيلا من الطائرات نحو الشرق تجاه سيناء حيث قابل هذا التشكيل على بعد ٢٥ ميلا شرقى القناة ، مقاتلات اسرائيلية وتطور الامر الى قتال فى الجو ومن الطبيعي أن تصدر الدعوات المتضاربة ، غير أن المصريين اعترفوا بفقد طائرة واحدة فى القتال وأخرى سقطت بانيران المضادة للطائرات . وفى الخامس والعشرين قام السلاح الجوى الاسرائيلى بأطول قصف جوى حدث حتى هذا التاريخ استمر ما يزيد على ثمانى ساعات مستمرة من قصف مواقع الصواريخ والرادار التى كان قد تم بناؤها فى جزام على اتساع عشر أميال فى القطاعات الوسطى والجنوبية لمنطقة القناة . وأعلن الاسرائيليون عن أن كل الانشاءات الجديدة قد تم تدميرها وأن كافة طائراتهم قد عادت سالمة ، غير أنه فى اليوم التالى خرجت قواتهم الجوية مرة أخرى بنفس قواتها لنفس المهمة .

وفى نهاية عام ١٩٦٩ أعلن موسى ديان أن السلاح الجوى الاسرائيلى قد حقق سيادة جوية لاتنازع بمهاجمته الطائرات التى غامرت بالدخول الى سيناء . وأن القوات الجوية الاسرائيلية قد دمرت ٢٤ للصاروخ سام - ٢ وأن القوات الجوية الاسرائيلية قد دمرت ٢٤ للصاروخ سام - ٢ واستقطبت ٦١ طائرة مصرية منذ حرب يونيو مما أسهم فى تخفيض معدل الخسائر الاسرائيلية بالنسبة لخط بارليف . أما على الجانب المصرى فانه من التهورين أن يقال ان الروس قد أصابهم الجزع للسهولة التى تمكن بها الاسرائيليون من التحايل على صواريخهم وتدمير مواقع سام - ٢ .

وفى نفس الوقت ، كانت هناك عمليات أخرى تجرى على قدم وساق . وإذا رجعنا الى مساء يوم السابع والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ ، لوجدنا أن

وحدة من رجال الكوماندوز محمولة فى طائرات هيليوكوبتر من نوع سوبور فريلون قد دخلت أجواء مصر الى وادى النيل الأعلى ثم هبطت الطائرة ووضعت الوحة قنابل المورتار فى مراكز القيادة المصرية فى الجهة الجنوبية فى منقباد على بعد ستة أميال غربى مدينة أسبوط ، والتى كانت على بعد ١٦٥ ميلا من المدخل الجنوبي لخليج السويس . ولم تحدث خسائر كبيرة . وفى السابع من سبتمبر أغار كوماندوز البحرية الاسرائيلية على القواعد البحرية المصرية فى رأس السادات التى تبعد ١٢ ميلا جنوبى السويس ، وقام رجال الضفادع البشرية الاسرائيليون بتدمير اثنين من « روارق الطوربيد » فى هذا الميناء الصغير . ولم يتكبد الاسرائيليون اية خسائر فى هذه الغارة ولكن بعده رحلة العودة تم مقتل ثلاثة منهم بواسطة انفجار فى إحدى طائراتهم .

وفى التاسع من سبتمبر قام الاسرائيليون بأكثر غاراتهم جواة فى الطرف الجنوبي من الاراضى المصرية تلك الغارة التى صاروا يشيرون اليها فيما بعد على أنها (حرب العشر ساعات) . وفى المساعات الاولى من الصباح انجزت سفينة بها مجموعة مكونة من زوارق الطوربيد وطائرة تحمل ستة دبابات وثلاث مركبات مدرعة حاملة للجنود (كلها مركبات سوفيتية الصنع من التى تم الاستيلاء عليها فى حرب الايام الستة) وعلى كل هذه المركبات العلامات المصرية ، وأبحرت هذه المجموعة باتجاه الغرب عبر خليج السويس . وكان على ظهر هذه السفينة أيضا نحو ١٥٠ اسرائيليا من رجال الكوماندوز وكلهم يتحدثون اللغة العربية يرتدون الزى العسكرى المصرى . ونزلت المركبات والرجال الى البر فى منطقة (الخفاير) التى تبعد نحو ٢٥ ميلا جنوبى السويس بعد الفجر مباشرة دون أن يشك أحد فى أمرها ، وبعد أن قامت المجموعة بتدمير تجهيزات الرادار بدأت فى التحرك نحو الجنوب على طول الطريق الساحلى الرئيسى . وبعد أن غادروا (الخفاير) بوقت قصير التقى الكوماندوز الاسرائيليون بحاملة جنود مصرية تتقدم باتجاههم والتى دون أى قدر من التشكك جنحت الى احدى جانبي الطريق الضيق ليفسحوا لهم الطريق للمرور بما أعطى الفرصة للاسرائيليين أيضا بالقيام بحصدهم بنيران مدافعهم الآلية وهم يسرعون الى غايتهم . وحتى ذلك الوقت كان هناك غطاء جوى فى هيئة الطائرات الاسرائيلية والذى استمر بصفة دائمة وكان لا يقل حجمه عن ٣٠ طائرة . وكان هناك دعم آخر من البحر ، فقد كانت الطائرات التابعة للبحرية تتحرك الى الجنوب على نفس الخط الموازى لتحركات الكوماندوز وتقوم بتسديد نيرانها الى الحراس حينما وجدوا وتدمير مراكز الحراسة والمنشآت فى طريقهم ، وفى الميناء الصغير المسمى رأس دارج تمكنوا من اعطال تجهيزات ردارات أخرى .

وبعد الظهر اقترب الاسرائيليون من ميناء رأس الزعفرانة التى تبعد نحو ٥٦ ميلا جنوبى السويس حيث تمكنوا من تدمير مزيد من منشآت الرادار . وفى هذه المنطقة استولى الاسرائيليون على أربع مصفحات سوفيتية جديدة كانت احداها على الأقل من نوع تى - ٦٢ (١) وبعد عشر ساعات من « الابرار »

على الأراضي المصرية وبعد أن دخلوا في هذه الأراضي المصرية وبعد أن دخل
في مسطبة الأراضي لمسافة تقارب من ثلاثين ميلا . أعداد رجال الكوماندوز
الاسرائيليين الذين دخلوا في راس زعفرانة وقد أخذوا معهم أربع عربات مجهزة
حديثة مجهزة بالأسلحة . ولم يملك الاسرائيليون سوى جريح واحد من خلال
هذه العمليات إلا أنهم أصابوا أنهم تمكنوا من قتل ما لا يقل عن 20 مصرياً .

وبعد متى بعض الوقت قام المصريون بالاعتداء بطريق التزحف أنهم قد
أحبطوا عملية التزحف . أنهم قد تمكنوا بالأساليب الخاصة فاذة بعد في
ذلك العراق سبقتهم الاسرائيليين بالأسلحة كانت طائرات ٠٠ وكان العديد
التي قسم لهم انطلق الطائرات و تدير هجوم مضاد على الأرض هو أنهم
لم يكونوا يرون تعرض طائراتهم ورميهم وجودهم للعمليات الاسرائيلية
التي كانت تحقق في أعلى النصف في النظر الانخفاض .

وكان أحد الأهداف الاساسية من تلك العملية هو إحاطة الاتحاد
السوفييتي بتحليل أنه ليس هناك أي تهديد سري جديد يكون بشأن لدى
مصرين . فقد لعبت المخابرات الاسرائيلية على غرة بوجود الدعاية السوفييتية
من طراز (نى - ٦٢ س) التي كان يطلب المصريون كميات منها وأنه قد
ترسل واحدة أو اثنين منها لتجريب ، وكان المصريون قد أكدوا لروس أن
هذه الدعايات سوف تكون في ضمن بعض من الهجوم الاسرائيلي . ودعايات في
٦٢ هذه دفعت الحكومة في الجيش السوفييتي في عام ١٩٦٥ فقد . ولم يكن
قد حال الحيرة الحريول من احتشائها . وفي ما كان معروفا في هذه الدعاية
حينذاك انها دعاية ترن ٢٦ هي لها مدح ١١٥ م وانها مدحه بشدة التي
مما يشكك الاسرائيليون وكانوا على قلق لاخير مدعيتها في مواجهة ما لديهم
من عربات مدحه واحبار مدعيتهم الخاصة بالدعايات ضد دروع الدعاية
نى ٦٢ .

لقد كانت الغارة الاسرائيلية يوم التاسع من سبتمبر مسجبا في اعادة
استكبار في مصر بالنظر لضعف وضع الحشاه في جبهة مصر الجنوبية وواضح
سبيل الاتي التي لم تفسد الدباب منها بشئ من . ودور بعض بعض
الوقت بصفة مستمرة في القيادة العامة حول ما هو الفئ بالنسبة لاحد
الامر . لما لم يربى القوات المتاحة ومصادر الدفاع الجوي حول التركيزات
الصفائية الكبرى من المدفعية والامكنة ، وبعض الطائرات الحيوية
يتمنى لها ضد أي هجوم يقع عليها بطريقة أفضل . لم يجسرى توزيع
الرجال والاسلحة على نطاق اوسع لكي تكون انصب في مواجهة الجديسه
العمليات الاسرائيلية داخل البلاد ومن ثم ترفع درجة الثقة لدى الشعب .
وحسب يوم التاسع من سبتمبر كانت الممرسة الفكرية التي تلتحق بتركيز
المعدات والتي كان يشجعها المستشارون الروس (الذين كانوا تحت تأثير
تعليمهم الخاصة حين جرى الدفاع من موسكو وباقي الشرق السوفييتية الاخرى
في الحرب العالمية الثانية) . وقد تمكنت وجهة نظرها من السيادة . وبخلاف
جبهة قناة السويس . فقد كانت هناك قلة من السفن والمخزانات قد جرى

تحت المطاع عيبا على نفس الخط السوفييتي الذي يؤمن بضمير الدعايات
في الحية وكانت السبحة هو تركيز الحشاه . وفي الخصوم الحشاه
التي تكون وضعت .

والتي . فقد تكون نوع من الخلق حول من أسوان ووادي النيل الأعلى
وحد عام ومطعيا لايزيد بعده عن خليج السويس أو البحر الاحمر الا بما يزيد
قبيلا عن ١٥٠ ميلا . وعلى ذلك يكون أي استدراك كوماتوز الاسرائيليين
في ما استعملوا تلك طائرات الببليكون في مصر . لكن ومازوا وحشد أمام
بعض الماصر أنه حتى ولو لم يكن الانتشار الضامى هو أفضل الاستراتيجية
المستقرة في حد ذاتها . فربما كان هو أفضل الحلول لهذه الحالة .

وفي الثامن عشر من سبتمبر كان الرئيس عبد الناصر الفريق احمد
سماويل على من منصبه كرئيس لأركان حرب الجيش المصري وكذلك
(الاميرال) اللواء محمد ركني قائد سلاح البحرية بالإضافة إلى نحو ٥٠
آخرين من كبار الضباط ابتداء من رتبة عقيد فصاعدا بما فيهم اثنين من
العماد البحريين . إذ لم يكن مفتضا بوجه وضع سواء بالنسبة لسلك من
الجيش والبحرية أم بالاحتكاك المستمر مع المستشارين السوفييت أم باستخدام
الانتقم بالنسبة للأسلحة الجديدة التي وصلت من روسيا . وكان من بين
من طردوا أيضا بعض من ثلث الشكوك حول الاعتماد عليهم من الوجهة
السياسية من جانب وآخرين ممن كانوا مضطرين لاستخدامهم مؤقتا كدعاية
للمصرية في فترة احتفاظه ونشيت قبضة حكمه .

وكان السبب الرئيس لذلك هو : . منع العناصر الشابة الحية للمباشرة
وذوي العقليات العلمية من الضباط مراكز في القيادة العليا ، وعلى الرغم أنه
كان من الحقيقي أن هناك قلة من الضباط الشبان قد تمت ترقيتهم فقد كانت
هناك استثناءات في ذلك .

واحد هذه الاستثناءات كان اللواء محمد صادق الذي رقى ثم عين
رئيسا لأركان حرب القوات المسلحة والذي كان في سن ٥١ سنة ولا يقل
عن سنه الا بسنة واحدة . وكانت مهمته هي إعادة تنظيم وتقوية القوات
المصرية ، وبالأخص تلك القوات التي كانت تنتشر بكثافة ضئيلة في الجزء
الجنوبي من البلاد وأن يعمل على ضمان ألا يتمكن الاسرائيليون من اختراق
والذي النيل الأعلى ولنظير الأرض في تلك المنطقة على وجه العموم .

وكان الفريق صدقي مدبرا لمخابرات البحرية لثلاث سنوات ، وقبل
ذلك كان رئيسا لقوة مدفعية وقوة ميكانيكية ، وحين عين ضابطا عام
١٩٣٩ قاد سرية من الجيش في حرب عام ١٩٤٨ مع اسرائيل ، وكان رئيسا
لأركان حرب القوات المسلحة في سيناء في قتال عام ١٩٥٦ وحضر دراسات
للضباط اعظم في روسيا .

وكان الفريق صادق هو الرابع في تولي هذا المنصب الهام منذ حرب
يونيو ، وكان أولهم بالطبع هو الفريق فوزي الذي صار وزيرا للدفاع والذي

(لا يزال يحتفظ بهذا المصعب) ، بالرغم من أنه يعتبر بوجه عام من غير من تقسيم القطعة السياسية . وقد سيطر على القوات المسلحة وكان قد اعتبر على أساسه ولأن للرئيس عبد الناصر أكثر من اختياره على أساس المصالحات والقدرات الأخرى . وخلفه في هذا المصعب الفريق وياض القى قنصل في العمليات وكان من نفس الطراز وإن كان ذا قدرة أفضل من الناحية التنظيمية .. غير أنهم جميعا كانوا يتبعون إلى المدرسة القديمة التي تمسودت الأسلحة البسيطة .. والآن قد قام عبد الناصر بتعيين أحد الضباط القوي يتمتع ليس فقط بمسمة القدرة على التنظيم وإنما كذلك ذا اتجاه مجوس وربما نمى تلك مع الأسلحة والتجهيزات السوفيتية المتطورة في مصر . وأما بالنسبة لقائمة السلاح البحري الجديد (الغواصة) عبد الرحمن القوي كان في مصر الاربعين نموذجاً طيباً لسياسة تقليد الضباط الشبان مناصب القيادية .. تلك في البحرية المصرية كانت بوجه خاص تسم بالوكود .

وقد بنا الرئيس عبد الناصر يشعر بالأمان بدرجة أكثر بالنسبة للجنة السياسية ، ففي سبتمبر ١٩٦٩ قام بإبعاد على صبرى من الاتحاد الاشتراكي العربي . وكان القرار الأسمى (لاستقالة) صبرى هو أن بعض الأعضاء من التابعين له قد اشتركوا في مخططات خاصة بالجدارك . أما صبرى نفسه فقد كانت له وجهات نظر يسارية بطريقة متطرفة وكان يقال أنه يرأس فريقاً من المصريين القويين السوفيت ، حيث كان يعود الضباط المصريون يومياً من تلقى دراستهم في التدريب في الاتحاد السوفيتي . وفي هذا الوقت تقريباً كانت هناك اشاعات كثيرة عن وجود مؤامرات موالية للسوفيت ضد عبد الناصر . غير أنه لم تكن هناك دلائل ملموسة لتأييد مثل هذه الافتراضات .. وكان عبد الناصر يقوم بمناورات التصدي منها السيطرة السياسية الكاملة وكان يجري النظر على أن صبرى هو زعيم بديل قائم ، الذي ربما لمكن له استمرار قائم سوفييتي كبير - لذلك فلا بد أن يرسل . وكانت العداوة الشخصية بين صبرى وبين بيك زعيم تحرير الاهرام وهو قاضى بلاد عليه وكان أول ما وصل الشعب المصري من أبناء هذه العداوة ما أعلنت عنه الاهرام من أن على صبرى قد جرى محاكمته وإبعاده من الاتحاد الاشتراكي المصري . وتم وضع على صبرى تحت الإقامة الجبرية وإحلال شعراوي جمعه محله فصار إلى جانب كونه وزيراً للخارجية مسئولاً عن الاتحاد الاشتراكي العربي . وتمت تطهير أخرى في كثير من الصفوف . فعلى سبيل المثال جرى لاستعلاء في خمس ١٦٠ عضواً من أعضاء المكتب التنفيذي . وكذلك بعض كبار المحررين في جريدة الجمهورية التي تديرها الدولة .

وصار الرئيس عبد الناصر يشعر بالثقل تجاه اللجنة العسكرية السوفيتية في مصر . فقد كان يرى أنها لا تتحمل نسبة من الدوام لواء حساس المصريين وعدم التمسك في المعارك الجوية وفي جبهة قناة السويس . والى تعترف بأن ذلك كان يرجعه في نظر منه إلى نقص السوفيتي في الامدادات المادية التي تطلبها الاستشارات التي تقدمها هذه اللجنة ..

من أن اللجنة العسكرية رفضت أن تقدم هذه الاعذار للقوات المسلحة وكانت السياسة السوفيتية أيضاً تستهدف الضغط عليه للبحث عن حل سياسي وليس بالأحرى البحث عن حل عسكري . وفي الثامن من سبتمبر قرر عبد الناصر بجهة إلغاء زيارة مقترحة للاتحاد السوفيتي ممثلاً بأصحابه ، بالأنفلونزا . وعلى الرغم من هذا الموقف ، فإن اللجنة العسكرية السوفيتية كانت ذات سلطة ولديرة ونفوذ كبيرين في أوساط القوات المسلحة المصرية وكان يساند عبد الناصر وهيئة الأركان ضد الشكاوى التي كانت تصدر عن الضباط المصريين ..

وما إن حل شهر سبتمبر ١٩٦٩ إلا وكان هناك نحو ١٠٠٠٠٠ روسي في مصر من بينهم ٤٠٠٠ مستشارين عسكريين ، و ٢٠٠٠ كانوا يشتركون في اكمال بناء سد أسوان ، بينما معظم الباقين كانوا مختصين بنواحي في المساعدة الفنية والاقتصادية وأبرامح المصلحة بذلك .

ومن ناحية أخرى ، فإن هؤلاء المستشارين العسكريين السوفيت لم يكونوا سعداء جداً بمحاولة القوات المسلحة المصرية وكان لديهم فكرة سيئة تماماً عن كوادرات الضباط المصريين ككل (١) وكانت وسائل الدعاية الماهرة وكثيرة الانحازات المبالغ فيها حول الأنشطة العسكرية المصرية قد بعث ثانياً ثقة الجمهور المصري في قوته المسلحة التي بدأت روحها المعنوية في الارتفاع ، وبالأخص في شهر يونيو ويوليو حينما تسببت محدود نيران مدفعاتهم في أحداث كثيرة من الخسائر في خط بارليف إلا أنه بعد اخفاق السلاح الجوي في معاركه في بداية شهر يوليو بدأ يصيبهم القنوط مسرة ثانية . وكان عدداً من كبار زعماء في قوات المسلحة نجسوا الردس الذين أخذوا يحثون الضباط المصريين باستمرار أن يتحلوا بالصبر إلى أن يصيروا أكثر خبرة .. واشتكي الضباط المصريون على سبيل المثال من أن سيارات النقل السوفيتية ضعيفة الجرد ولا تتناسب مع درجات الحرارة المتطرفة للصحراء ، وحينما طأجوا بقطع خاصة لتعديل هذه السيارات طاب منهم الانتظار حتى عام ١٩٧١ مما تسبب في أن يقوم المصريون بتركيب محركات بريطانية وأمريكية لها .

ولقد كان المستشارون السوفيت يمسكون في أيديهم بنصاية القوة الحقيقية نظراً لسيطرتهم على قدر كبير من الأسلحة المتطورة والتجهيزات التي كانوا يقومون بتوريدها على الرغم من أن المصريين كانوا يقومون بتشغيلها .. وكان هذا الوضع محل كراهية بالنسبة للضباط المصريين غير أنه يعتبر أمراً أساسياً بالنسبة للروس كما تسبب هذا الوضع في وجود احتكاكات من الطرفين . وكانت هناك واقعة خاصة لها وضع شائك ، وذلك حين أغار الإسرائيليون على الساحل فيما سمي بحرب العشر ساعات (في التاسع من سبتمبر) فحينما نزل الإسرائيليون إلى البحر في منطقة الخفساير قام الإسرائيليون بمهاجمة قاعدة صواريخ سام - ٢ هناك وطلب الضباط

(١) وأما عدد ١٣ سبتمبر ١٩٦٩ .

المصريون أن يسميه لهم بأن يقوموا بتشغيل الصواريخ ضد الطائرات الإسرائيلية التي كانت تحقق في السماء ، وطلبوا صدامات الصواريخ . كل يحفظ بيتا المستشارون السوفيت إلا أن الروس رفضوا ذلك على أساس أن المصريين لم يتدربوا على ذلك ولا هم من جهة أخرى مستعدين للاستقبال مع مثل هذا العدد من الطائرات الإسرائيلية ومصر المصريون ، في حين ذهب أحد كبار الضباط السوفيت (١) أعلى الخلق لكي يرى بنفسه أوضح وتفر مصره (٢) وانحى الروس باللائمة على المصريين لتسببهم في مصره . مرة أخرى ، ساند عبد الناصر المستشارين السوفيت ، وتم إلقاء ذلك المنطقة المحلية المصري هو وأربعة من كبار الضباط البحريين المصريين من مناصبهم وتم التحقيق معهم .

وصدرت منشورات سرية في أوقات منتظمة من جانب إحدى المنظمات السرية التي أسست نفسها حركة مصر الحرة ، ونادى أحد هذه المنشورات بتعبئة الرأي العام لمنع محاكمة هؤلاء الضباط المصريين الخمسة الذين اعتبروا (كبش فداء) لمصرع الضباط الروس . ولم يكن يعرف الكثير عن حركة مصر الحرة هذه أو التي قبل أنها تألفت من الطبقة والعمال وضباط الجيش . والتي كانت تهدف إلى تحرير بلادهم من السيطرة السوفيتية . وشعر البعض أنها ربما كانت (منظمة أممية) قادها بعض عملاء إسرائيل بينما ذهب البعض الآخر أنه ربما كانت لها علاقة مع الإخوان المسلمين التي كانت لازالت تحتفظ ببعض الجذور والتعاطف من جانب بعض قطاعات الشعب . ولقد كانت هناك بعض الفصائل من الجزائريين والكويتيين والقوات السودانية في منطقة القناة في الخطوط الأممية غير أن أعدادهم كانت رمزية .

وكان عبد الناصر يريد مزيدا من العسوق العملي من الدول العربية ليواصل حربه للاستنزاف ، ولذلك فإنه في يوم الخامس والعشرين من أغسطس ١٩٦٩ اجتمع وزراء خارجية ١٤ دولة أعضاء في الجامعة العربية (٣) في القاهرة لتخطيط جهد مركز مشترك ضد إسرائيل - غير أن ذلك لم يسفر

(١) الكولونيل كونودوف ، الذي اشتهر بكونه كبير الضباط السوفيت جنود ميناء بورسعيد .

(٢) لقد قتل ستة من الضباط السوفيت في يوم واحد في الهجمات الجوية الإسرائيلية المكثفة في يوم العشرين من يوليو ١٩٦٩ على مواقع الصواريخ والمنطقة في جبهة القتال . وفي أول الأمر تم إنكار ذلك من جانب كل من المصريين والروس غير أن هذا الخبر قد تسرب بعد ذلك . وكان من المعتاد أيضا أن بعض المستشارين السوفيت (غير معروف عددهم) قد لقوا مصرتهم في التاسع من مارس ١٩٦٩ في نفس السد من النيران التي تسبب في مقتل الفريق رياضي .

(٣) وفي الحادي عشر من سبتمبر ١٩٦٩ قرر مجلس العاصمة العربية مد مدة خدمة السكرتير العام عبد الحفيظ حسونة بغير حدود زمنية . وكان عبد الحفيظ حسونة قد احتفظ بحصته في العاصمة كسكرتير عام منذ بدأ وجود هذا المنصب عام ١٩٥٢ .

من بضع خطب وكلمات . . . وفي الأول من شهر سبتمبر ١٩٦٩ كان الملك دريس ملك ليبيا في تركيا للعلاج الطبي وبينما هو هناك تمت الإحاطة بنظام حكمه من جانب انقلاب غير دموي دبره مجموعة من الضباط التي أعلنت ليبيا جمهورية اشتراكية . . .

وكان العقيد الفذائي رئيسا للجنة الثورية الجديدة في ليبيا ، يميل إلى أن تكون اتجاهاته ضد الغرب ولذلك تحالف مع عبد الناصر مما عمل على موازنة النفوذ السعودي الشديد الذي كانت به المملكة العربية السعودية على مصر لأسباب اقتصادية مجردة . . . وحين قام أحد المسيحيين الاستراليين (١) في الواحد والعشرين من شهر أغسطس بأشعار النار في المسجد الأقصى في القدس فكر عبد الناصر في أن يستغل هذا الحادث في الإبحاء بحرب مقدسة ضد إسرائيل ، ولكنه لم يستطع أن يثير أي حماس بين الدول العربية في هذا الصدد .

وفي هذه الأثناء ، وفي اليوم الأول من شهر يوليو عقب الجلسة الخامسة عشرة من المبادرات غير الناجحة بين ممثلي الأربعة الكبار (٢) في الأمم المتحدة في نيويورك لمحاولة إيجاد حل لشكة الشرق الأوسط فقد أعلن أن أية اجتماعات أخرى سوف لا تتم في فترة الصيف .

وفي الحقيقة ، أن هؤلاء المثليين لم يجتمعوا مرة أخرى حتى الثاني من شهر ديسمبر .

وفي السابع من يوليو تحدث يوثانت في تقريره إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة عن (حرب مفتوحة) تتم بالفعل على طول قناة السويس وبمقتى مراقبي الأمم المتحدة على أنهم (أهداف مكشوفة في صالة عرض لاطلاق النيران) مهددا بسحبهم . . . وكان مراقبوا الأمم المتحدة يتألفون من ضباط جيوش سبعة دول والذين كانوا يسيطرون على ٣٦ خندقا مدعما بالأسمنت المسلح وعلى هذه المواقع أعلام الأمم المتحدة وذلك لمدة تسعة أيام في كل مرة . ولقد وافق المحاربون ألا يضعوا أسلحتهم على مدى يقل عن ٥٠ مترا من هذه المواقع ، غير أن هذه القاعدة كان يجري تجاهلها من كلا الجانبين . فعلى سبيل المثال في شهر يونيو قدم مراقبوا الأمم المتحدة أربعا وسبعين شكوى من هذا القبيل ضد مصر في حين قدموا خمس عشر شكوى ضد إسرائيل . . . وكان عبد الناصر يريد أن يبقى المراقبون مثلما كان الحال بالنسبة لقوات الطوارئ التابعة للأمم المتحدة قبل حرب يونيو التي كانت في موقع على حدود مصر مع إسرائيل ، وكان وجودها قد أعطاه عذرا اضافيا ألا يتقدم إلى سيناء . في السابع والعشرين من يوليو لقي أحد مراقبي الأمم المتحدة السويديين مصرعه

(١) ميشيل رومين الذي قدم بعد ذلك إلى المحكمة ، وفي ديسمبر ١٩٦٩ أدخل إحدى المستشفيات العقلية لمدة غير محدودة .

(٢) في بعض الأحيان كان يشار إليهم بالانثين الكبار بما يعنى أمريكا والاتحاد السوفيتي .

بطلقة اسرائيلية قرب بور توفيق على الجانب المصرى وأمر الجنرال أود بول الغاء موقعين من مواقع الامم المتحدة على كل من جانبي القناة نظرا للمخاطر المحدقة بهما ..

وفيما عدا الأنشطة الجوية ، كانت تجري عمليات الكوماندوز عبر القناة من كلا الجانبين وبالأخص من جانب المصريين ، واستمرت معركة الدعاية مستمرة . وفى الثامن والعشرين من سبتمبر أعلن المصريون أنهم قد قاموا بعملية اغارة ناجحة لقوات محمولة جوا على المواقع الاسرائيلية قرب (مصفق) التى تبعد نحو ٥ ميلا شرقى القناة ، وأعلنوا أنهم قد باغوا الاسرائيليين وقتلوا وجرحوا الكثيرين ودمروا بعض المركبات والتجهيزات .. وكان تعليق الاسرائيلى اللازم على هذه العملية أن مثل هذه الغارة لم تحدث على الإطلاق ، وكل ما هنالك أن إحدى الطائرات المصرية أثقت بحمولتها من القنابل فى الرمال دون أحداث أية خسائر .

وكما هو الحال دائما ، فإن الحقيقة كانت تكمن فى مكان ما بين الروايتين وفى الثالث من أكتوبر أوردت الاهرام أن المعركة مع اسرائيل قد دخلت مرحلة جديدة بهجومين حديشين من جانب « قوات كوماندوز متخصصة » على مواقع العدو .. وفى نفس اليوم ، وبعد صدور كثيفة من النيران عبرت وحدة كوماندوز مكونة من ٨٠ رجلا فى قوارب من المطاط قناة السويس وقصفت المواقع الاسرائيلية المواجهة لمنطقة الدفرسوار فى منطقة البحيرات المرة الكبرى ، غير أن الاسرائيليين أعلنوا أنهم قد صدوا هذا الهجوم مسببين خسائر جسيمة لأفرادهم . ومرة أخرى فى الرابع من الشهر حينما عبس رجال الكوماندوز المصريين البحر المائى لمهاجمة المواقع الاسرائيلية فى منطقة الدفرسوار ، أعلن كل من الجانبين أنه قد أحدث اصابات فى الطرف الآخر . وفى الرابع عشر من الشهر أعلن المصريون أنهم هاجموا المواقع الاسرائيلية على الشاطئ الشرقى لقناة السويس غير أن هذه الادعاءات قامت الدعاية الاسرائيلية اما بتجاهلها تماما او قللت من شأنها .

واستمر الاسرائيليون فى تنفيذ عمليات الكوماندوز ، غير أنه بخلاف غاراتهم الاختراقية فإنهم لم يولوا العمليات الاخرى أى قدر من الدعاية ، وفى بعض المناسبات كان يجرى انظن بأنهم يرتدون الملابس العسكرية المصرية .. وفى الثامن والعشرين من أكتوبر تم الاعلان من أن الاسرائيليين قد نفذوا ثلاث غارات كوماندوز داخل مصر خلال الاسبوع الماضى اثنتين منها فى خليج السويس ، والاخرى تبعد ١٠٠ ميل جنوب غربى شرم الشيخ وأن ستة من الجنود المصريين قد أصيبوا بجراح فى أثناء تلك الغارات ، ولم تذكر أية تفصيلات أخرى كما لم يعلق المصريون بشئ .

وفى الخامس من نوفمبر عبرت مجموعة من الكوماندوز المصريين قناة السويس وأوقعت دورية اسرائيلية فى كمين بعد ستة أميال شمالي بور توفيق ، بالقرب من الشط ، وتسببت فى مقتل أحد الضباط وستة جنود

اسرائيليين وقامت بأسر جندي مات بعد ذلك متأثرا بجراحه . وكانت تلك اول غارات المصريين فى وضع النهار ، فقد صاروا أكثر جسارة وفى اليوم التالى عبر الكوماندوز المصريون فى المساء مرة أخرى شمالى منطقة الشط بقليل الا أنهم خسروا أحد أفرادهم الذى لقي مصرعه بالاضافة الى آخر أصيب بجراح ، وفى نفس هذه الليلة كانت هناك وحدة أخرى من رجال الكوماندوز المصريين قد عبرت البحر المائى وأوقعت فى كمين نصبته دورية اسرائيلية فى قطاع الكف وتسببت فى جرح خمسة من الاسرائيليين . وهذه السلسلة من الغارات استفزت موسى ديان ليصرح بقوله فى اليوم الثامن بأنه يرتب ردا عسكريا لهذه الغارات .. ونهض الأسطول المصرى أيضا ودخل العمليات فى مساء يوم الثامن من نوفمبر حينما اقتربت مدمرتان يصاحبهما قوارب صواريخ من ساحل سيناء على بعد نحو ١٥ ميلا شرقى بور سعيد وأطلقتا النار على المواقع الاسرائيلية فى منطقة الرومانى ، وحين ظهرت الطائرات الاسرائيلية أسرعتا فى إبحارها راجعتين وأعلن المصريون أنهم قد أحدثوا اصابات وأنهم تركوا النار مشتعلة فى مستودعات الوقود والذخيرة ، فى حين قال الاسرائيليون أن القصف الذى استمر ٣٥ دقيقة لم يحدث أى خسائر . وفى اليوم الثالث عشر من الشهر شجب موسى ديان (١) التقارير الصحفية التى تقول بأن هذا القصف يتم عن تكتيك بحرى مصرى أفضل ، وأوضح أن السفن المصرية ما كان لها أن تغامر بأن تتجه نحو الشرق لكى تقصف الاجزاء المسكونة من الشاطئ الاسرائيلى لأن ذلك يعنى أنها تسير فى البحر لمدة من خمس الى ست ساعات مما يعرضها فى وضع النهار لهجمات الطائرات الاسرائيلية .. وعلق بأن اسرائيل قد كسبت بوضوح الجولة الاخيرة ضد مصر ، غير أنه أضاف متشائما بأن الجولة القادمة سوف تكون فى الربيع القادم ، وأضاف متفائلا أنه ليس من الضرورى أن تكون جولة حرب شاملة ، ونشط رجال الكوماندوز البحرين المصريين أيضا ، وفى السادس عشر من نوفمبر تم تفجير خمس تفجيرات تحت المياه لسفينتين اسرائيليتين فى ميناء ايلات ، واقتضى الأمر أن إحدى السفينتين كان ينبغى ارساؤها لانقاذها من الفرق . وأعلن المصريون أن ذلك كان من صنع رجال الضفادع البشرية المصريين الذين جرى حملهم الى هناك بواسطة الهيليكوبتر على الرغم من أن أقرب الاحتمالات هو أن يكونوا قد قاموا بعملياتهم من ميناء العقبة الأردنى المجاور .

واستمرت غارات الكوماندوز . وفى اليوم الثلاثين من نوفمبر أعلن المصريون أن ١٣٠ من رجال الكوماندوز قاموا بالعبور بالقرب من منطقة الشط

(١) ولقد قرر موسى ديان كذلك أنه منذ اول ابريل ١٩٦٩ قامت مصر باجراء خمسة عشر انزالا كوماندوز بخلاف القصف البحرى وأن هذه الهجمات (هى والهجمات الجوية) وقد كلفت الاسرائيليين ٤٩ اصابة وكلفت المصريين ٣٠ اصابة .

وقال كذلك أن من بين ٦٥ طلعة اسرائيلية جوية وعدد لم يكشف النقاب عنه من نزول الكوماندوز الى البر ، فإن المصريين تعرضوا لنحو ١٠٠٠ اصابة بينما تعرض الاسرائيليون لعشرين اصابة فقط هذا بالرغم من أن الرقم الأخير قد عدل ليكون ٧٠ اصابة ..

واحتلوا المواقع الاسرائيلية ، وظلوا في هذه المواقع لمدة ساعتين وذلك لان سدود النيران المصرية حجبت التميزات الاسرائيلية على مسافة من هذه المواقع ، وان الطائرات الاسرائيلية بعد ذلك قصفت مواقعها نفسها بالفتايل ظنا منهم ان المصريين لازالوا فيها . وقال الاسرائيليون انهم قد صدوا المصريين بوساطة النيران الارضية والدعم الجوي ، وان خمسة من المصريين قد قتلوا في حين انه لم يصيبهم اية اصابات ولا اية خسائر . واستمرت الادعاءات ، والادعاءات المضادة . وفي التاسع من شهر ديسمبر أعلن المصريون انهم قد اسقطوا أول طائرة فانتوم غير ان هذا الاعلان قد أنكره الاسرائيليون . وفي الرابع عشر من ديسمبر تباهى الرئيس عبد الناصر باستعداد المصريين للحرب قائلا ان لديه نصف مليون رجل تحت السلاح وانه قد أمر بالقيام بسلسلة نهائية من غارات الكوماندوز عبر قناة السويس . وتم القيام بهذه الغارات لكن ما تم منها في وضوح النهار لم يكن كثيرا وفي الخامس عشر من الشهر أعلن المصريون انهم قد قتلوا ضابطا اسرائيليا بالاضافة الى خمسة آخرين كانوا في مركبة وذلك بوساطة كمين في الضفة الشرقية للقناة . وفي السابع عشر من ديسمبر هاجمت احدى الطائرات الاسرائيلية المنطقة الواقعة في اطراف الجنوبي للقناة لمدة ثلاث ساعات وذلك بعد ان قتلت المدفعية اثنين من الجنود الاسرائيليين واحد المدنيين في الليلة السابقة .

وفي اليوم الثامن عشر قال المصريون ان رجالهم من الكوماندوز قد هاجموا المواقع الاسرائيلية ، وقتلوا ثلاثة جنود ودمروا دبابه وعدة مركبات غير ان الاسرائيليين أعلنوا ان المصريين قد تم اعتراضهم ودفعهم الى الخلف قبل ان يتمكنوا من بلوغ المواقع الاسرائيلية . وفي التاسع من الشهر أعلن الاسرائيليون ان احدى مجموعاتهم من الكوماندوز قد اخترقت الخطوط المصرية من خلال منطقة السلاح وفجرت بعض الصواريخ في المعسكرات العسكرية في المنطقة . السلوكية ، وهي تقع نحو الغرب ، وأن كسالة رجال المجموعة قد عادوا سالمين . واستخدم المصريون نفس أسلوب الاسرائيليين بأن أنكروا انكارا تاما وقوع مثل هذه الغارة ، وهكذا استمر الحال .

وحوالى نهاية عام ١٩٦٩ كانت الروح المعنوية لكل من المصريين وقواتهم المسلحة قد مالت نحو الضعف والانخفاض فمعظم مواقع صواريخ سام - ٢ على منطقة القناة قد جرى تدميرها وكذلك الحال بالنسبة لكثير من مواقع الرادار في نفس الوقت الذي فقد المصريون فيه كثيرا من الطائرات الجديدة . وصارت الاصابات التي تحدث للمصريين تتصاعد مما أوجد نوعا من الاحباط ازاء عدم انسياب الاجراء هجومي على اسرائيل كما كانت هناك مشكلة داخلية تتعلق باللاجئين الذين باغ عددهم نحو نصف مليون مهاجر نازحين من منطقة القناة ومن ثم كيفية مواجهة تلك المشكلة واستغرق الجيش المصري في الدفاع سواء كان ذلك من الناحية المادية او من الناحية النفسية . وعلى الرغم من الوضع المعتاد فان الرئيس عبد الناصر أنقى خطابا ساخنا في السادس من نوفمبر أعلن فيه أن الحرب مع اسرائيل هي السبيل الوحيد أمام العرب

الذين ليس امامهم من بديل سوى شن معركة المصير ضد اسرائيل . وأن هذه المعركة ينبغي خوضها . عبر بحر من الدماء وآفاق من النيران . غير أن هذا الخطاب لم يجعله محبوبا لدى الحكومة السوفيتية التي كانت لاتزال مهمته لايجاد حل سياسى . على ان جهود عبد الناصر للسيطرة وتوحيد العرب تحت زعامته ضد اسرائيل قد اصابها الفشل مرة اخرى وبجلى ذلك من مؤتمر قمة الرباط الذي بدأ في التاسع من ديسمبر وانتهى فجائيا في السادس والعشرين منه دون اصدار أى بيان مشترك . وانسحب الرئيس عبد الناصر من جلسته الختامية .

وقبل ذلك وفي الثامن عشر من نوفمبر كان وزير الدفاع محمد فوزى قد أعلن في خطاب له في مجلس الأمة مفتخرا بأن الجنود المصريين قد صار لديهم كفاءة عالية في القتال مرجعها التطوير الذي حدث في التدريب والتسليح . وانهم قد تمكنوا من قتل ١٥٠ اسرائيليا شهريا (وكان ذلك غير صحيح) . وقال : وان كان القول مشكوك في صحته وربما استهدف طمأننة الأمة ان الاتحاد السوفيتي يمد مصر بالتجهيزات التي لم تكن متوفرة لديها من قبل . غير أن خلف هذه المواجهة التي تتسم بالشجاعة كانت هناك عوامل القلق وعدم الارتياح تسود في كل مكان . ففي التاسع من شهر ديسمبر طار أنور السادات (١) الممثل الشخصي لعبد الناصر ومعه وزير الخارجية محمود رياض ووزير الدفاع محمد فوزى الى موسكو لمحاولة اقناع الحكومة السوفيتية بأن كل المحاولات لايجاد حل سياسى في منطقة الشرق الاوسط لا طائل من ورائها ، ولكي يطلبوا التأييد نحو موقف مصرى أكثر عسكرية . واستمرت هذه المحادثات ثلاثة أيام وأحرز فيها المصريون نجاحا متواضعا . وطالب فوزى بطائرات الميغ الجديدة من طراز ميغ - ٢١ جى والتي تعتبر مناظرا لطائرات الفانتوم التي حصلت عليها اسرائيل ، ووعد السوفيت بوضع هذا الطلب تحت الاعتبار .

فاذا ما اتجهنا الآن نحو اسرائيل ، ففي اثناء صيف عام ١٩٦٩ نجد أن الروح المعنوية أيضا قد مالت نحو الانخفاض نظرا لاستمرار تزايد الاصابات بين أفرادهم (٢) وحديث عبد الناصر الذي لا ينقطع عن حربه للاستنزاف وعن « معركة المصير » القادمة مع اسرائيل . وعلى الرغم مما كان يبدو ظاهريا على مجلس الوزراء الاسرائيلى من الثقة فقد كان شديد القلق نحو الحصول على طائرات حديثة أكبر تطورا وعلى الخصوص كمزيديا من طائرات الفانتوم وسكاى هوك . وعلى ذلك ، ففي شهر سبتمبر ذهبت جولدا مائير رئيسة الوزراء ومعها البيريجادير هود قائد السلاح الجوى الاسرائيلى الى امريكا

(١) في العشرين من ديسمبر ٦٩ أعاد عبد الناصر إنشاء منصب نائب رئيس الجمهورية وعين فيه السادات .

(٢) في الخامس والعشرين من سبتمبر ٦٩ أعلن موسى ديان ان اسرائيل قد خسرت ٥٠٠ جريحا على كافة الجبهات منذ حرب يونيو .

لطلب ٢٥ طائرة فانتوم اضافية على الاقل وكذلك ٨٠ طائرة سكاي هوك من الرئيس نيكسون وفي الخامس والعشرين من سبتمبر وحين مغادرتها واشنطن قالت مائير : « اننى غادر الان بقلب اكثر اشراحا مما كان وقت حضوري هنا » .

وحين تول ريتشارد نيكسون رئاسة الولايات المتحدة فى يناير ١٩٦٩ راود الروس الأمل أنه سوف يعدل من السياسة الأمريكية تجاه الشرق الأوسط وسوف يكون أقل ميلا نحو تقديم الدعم الاسرائيلى صورة تلقائية ، وخصوصا لأنه ليست له أية التزامات تجاه أصوات النخبين من اليهود .

ولكن على عكس هذه التوقعات فان نيكسون استمر لمدة شهرين نحو سياسة الرئيس جونسون . ثم بعد زيارة رئيسة الوزراء مائير الى نيكسون فى شهر سبتمبر ، تولت مشاعر أكثر حرارة تجاه اسرائيل على شكل لم يكن متوقعا . وكان من الرئيس نيكسون أن عبد الناصر هو الزعيم العربى الوحيد القوي الذى له القدرة الكافية على التفاوض على تسوية سلمية فى مشكلة الشرق الأوسط . غير أن طلب عبد الناصر الذى لايتنشى نحو حل عسكري كان يبدو عائقا فى هذا الاتجاه ، وطبقا لذلك فان نيكسون رأى العمل على أن يكون أكثر عطاء بالسلاح لاسرائيل عما كان عليه فيما سبق . وكان مما أزعج الحكومة السوفيتية هو ما صرحت به أمريكا لرعاياها للانخراط فى صفوف القوات المسلحة الاسرائيلية اذ كانت الحكومة السوفيتية تشعر أنه ربما كان ذلك ثغرة يمكن من طرفها تزويد اسرائيل بالطيارين الأمريكين لطائرات الفانتوم التى تم ارسالها لاسرائيل .

وعلى الرغم من أن الانتخابات الاسرائيلية قد جرت فى الثامن والعشرين من اكتوبر ١٩٦٩ ، فان رئيسة الوزراء مائير لم تتمكن حتى الخامس عشر من شهر ديسمبر من تأليف حكومتها الائتلافية ، ذلك أن حزب العمل الذى تنتمى اليه لم يكن قد حاز أغلبية كبيرة . وكان الائتلاف مكونا من خمسة أحزاب سياسية تمثل نحو ٩٠ ٪ من جملة أصوات النخبين ، وبقي ايجال ألون نائبا لرئيس الوزراء ، وبعد بعض التردد وافق موسى ديان على أن ينضم الى الوزارة واستمر فى منصبه كوزير للدفاع والذى كان يعنى باختصار أن سياسة اسرائيل قد بقيت كما كانت مع تزايد طفيف ناحية كونهما تتخذ موقف « الصقور » . وتصلب الموقف، وقرر ديان أن الوقت يعمل لصالح الاسرائيليين الذين سوف لا يفكرون بعد اليوم فى الانسحاب من الاراضى المحتلة دون الحصول على تسوية سلمية دائمة . ثم أعلن بعد ذلك فى السادس من يناير ١٩٧٠ أنه فى ظرف ثمانية شهور من ابريل وحتى نوفمبر ١٩٦٩ خسر الاسرائيليون ١١٣ قتيلًا و ٣٣٠ جريحًا فى جبهة القناة فى حين أن المصريين لابد أن يكونوا قد خسروا أكثر من ١٠٠٠ اصابة .

وفى اكتوبر ١٩٦٩ كان ديان قد قال ان الموقف العسكري الاسرائيلى قد تحسن أثناء الثلاثة اشهر السابقة على طول جبهة القناة على الرغم من التعزيزات المصرية ، وان كان من الضروري رفع سن الاحتياط من ٤٩ الى

٥٥ سنة نظرا للزيادة المضطردة فى البلاد على متطلبات الدفاع المدنى . وفى شهر ديسمبر كانت ميزانية الدفاع قد بلغت ٣٥٠ مليون جنيه استرلينى بزيادة قدرها ١٤٠ ٪ عما كانت عليه قبيل انتهاء حرب يونيو مما أوضح أن الاشتباكات كانت تسبب عبئا ثقيلا على الاقتصاد الاسرائيلى .

ومرة أخرى ومنذ أول يوليو فقد ممثلو الاربعة السكبار فى الثانى من ديسمبر فى نيويورك اجتماعهم الاول واعلنوا استعدادهم لانجاز تسوية تقوم على تنفيذ قرار الامم المتحدة الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، غير أن رئيسة الوزراء الاسرائيلى مائير فى خطابها الافتتاحى الى الكنيست رفضت مقترحاتهم رفضا قاطعا . وفى التاسع من ديسمبر أعلن وليام روجرز وزير الخارجية الأمريكى ولأول مرة مقترحات كان قد قدمها بطريقة خاصة للحكومة السوفيتية فى الثامن والعشرين من اكتوبر ، وكانت مبنية على أساس الانسحاب الاسرائيلى من الاراضى المحتلة فى مقابل تأكيدات عربية بالتزامات نحو السلام . وعرف هذا فيما بعد بمبادرة روجرز للسلام . وفى الثانى والعشرين من ديسمبر رفضت المبادرة رفضا قاطعا من جانب اسرائيل وكذلك تم رفضها فى الثالث والعشرين من ديسمبر من جانب الاتحاد السوفيتى وعلى هذا النحو لم تلق المبادرة أى تأييد على الاطلاق من العواصم العربية .

وحدثت واقعة لها أهمية خاصة فى السادس من ديسمبر ١٩٦٩ حين تم تبادل أسرى الحرب عبر قناة السويس فى القنطرة قام بتنظيمه الصليب الأحمر الدول لطيارين اثنين من اسرائيل مقابل ٥٨ من المصريين . وقد تألف هؤلاء المصريين من طيار واحد وخمسة جنود ، و ٥٢ من المدنيين ، والعدد الاخير تضمن رجال صيد كانوا قد ضلوا طريقهم قريبا جدا من المواقع الاسرائيلية ، هؤلاء تم القبض عليهم فى غارات الكوماندوز وأولئك تم القبض عليهم وهم يحاولون التسرب من خلال دفاعات اسرائيل فى القناة على طول خطوط التهريب التقليدية وربما كانوا أو لم يكونوا من الفدائيين .

وانتهى العام بشمرة رابحة للاسرائيليين الذين قاموا فى السابع والعشرون من ديسمبر بغارة على القاعدة البحرية فى البحر الاحمر فى منطقة رأس غارب التى تبعد نحو ١١٥ ميلا جنوبى السويس . وفى حين كانت هناك غارات جوية لتحويل الانتباه استغرقت ثلاث ساعات على المواقع المصرية فى القناة ، قام رجال الكوماندوز البحريون الاسرائيليون بعبور الخليج الواسع الذى يبلغ نحو ١٨ ميلا ونزلوا الى البر فى مسافة تبعد بعض الشيء عن الميناء والتفوا فى الصحراء وتقدموا نحو رأس غارب من جهة الغرب واحتلوها بنجاح . وعلى الفور قامت طائرات الهيليكوبتر الاسرائيلية بالدخول الى المنطقة وأخذت معها جهاز الرادار المضاد للطائرات المتحرك سوفيتى الصنع من طراز بي - ١٢ الذى يمكن استخدامه بطريقة مشتركة مع صواريخ سام . وكان وزن هذا الجهاز نحو سبعة أطنان وله مدى يبلغ ٢٠٠ ميلا وكان قد تم تركيبه لتوهِ فى ذلك المكان وذلك ليسد فجوة فى جهاز الانذار المبكر المصرى الذى يغطى

منطقة البحر الاحمر والمنطقة الجنوبية الشرقية وعلى ذلك فان ازالته ترك ميثاقى الفردقة وسفاجا مكشوفين . وكانت هذه أول مرة ترى امين غير الامين الروسية هذا النوع من الرادار والذي كان يعتبر واحدا من أحدث الاجهزة السوفيتية فى الخدمة والتي لم يكن معلوما عنها أية معلومات . ولم تقم اسرائيل باذاعة أى انباء عن ذلك حتى اليوم الاول من يناير ١٩٧٠ هـ التاريخ الذى قبل حلونه امكن للاسرائيليين اعادة الجهاز الى مكانه على الرغم من أنهم لم يكونوا يعلمون تماما ما سوف يكون عليه رد الفعسل السوفيتى واستولت هذه العملية على خيال العالم لجراتها وروح المبادرة الكافية فيها . واعترف المصريون أنهم قد خسروا اثنين من القتل وأربعة أسرى .

وانتهى عام ١٩٦٩ بالنسبة للاسرائيليين بحادثة أخرى صارخة انهدت خيال الناس وعملت على رفع الروح المعنوية عند الاسرائيليين . فقد كان الاسرائيليون قد طلبوا ١٢ من الزوارق المدفعية زنة ٢٥٠ طن من فرنسا والتي تم بناؤها فى ميناء تشيربورج . وكان قد تم تسليم سبعة منها قبل ان يفرض الرئيس ديغول الحظر على توريد السلاح الى اسرائيل . اما الخمسة الباقية فقد دشنت فى التاسع عشر من ديسمبر غير أن السلطات الفرنسية استولت عليها كلها . وفى الخامس والعشرين من ديسمبر كانت كل الزوارق الخمسة قد تم السيطرة عليها من جانب بحارة اسرائيليين رمزيين ، وهربوا بها تجاه البحر الواسع ووصلوا الى ميناء حيفا فى آخر يوم من أيام السنة وسط هتافات الاسرائيليين الذين ملاؤا الميناء وشواطئ البحر بالترحيب لاستقبالهم (١) .

وهذه الزوارق المدفعية الاثنى عشر المعروفة لدى الاسرائيليين باسم « سار كلاس » جرى عرضها بعد ذلك على الجماهير (وذلك فى اليوم الرابع من مايو ١٩٧٠) . وكان كل منها يحمل ثمانية صواريخ من طراز « جابريال » التى كانت حينذاك اصغر من ستايكس السوفيتية الصنع ، والتي تحصل رؤسا متفجرة تبلغ زنتها ٣٣٨ رطلا وتبلغ مداها ٢٠ ميلا . وكل صاروخ يحتوى ذاتيا على جهاز توجيه يشمل كسل من الاشعة تحت الحمراء (التى تنجذب الى الحرارة) مع فن التوجيه الرادارى .

(١) تم إيقاف اثنين من الجرافات الفرنسيين ، وانخفضت اجراءات تاديبة ضد آخرين اشبه فى نواظهم - او فى امهالهم .

٧ - الطبيعة الالكترونية للحرب

سيكون هذا الصيف صيف الالكترونيات

نهارا والاشعة تحت الحمراء ليلا .

الرئيس عبد الناصر

نأتى الان الى « الطبيعة الالكترونية » للحرب ففى الوقت الذى استمر فيه قصف المدافع بنفس كثافته على الأرض ، وكان فيه رجال الكوماندوز يشنون غاراتهم عبر قناة السويس ، بدأ فى الجو اصراع متطور بين الطائرات والصواريخ للمرة الاولى فى التاريخ ، حيث بدأت القوات الاعظم - الاتحاد السوفيتى وأمريكا - تنافسان باستخدام الدول التابعة لهما ، وهى الدول التى هيأت لها فرصة اختبار آخر ما لديهم من تطورات الكترونية واسلحة مضادة فى ميدان القتال . وقد تم تزويد طائرات الفانتوم بمجموعة من الاجهزة المضادة الالكترونية التى تمكن الطيار من تلقى انذار عند تعرض طائرته لهجوم من أحد الصواريخ . ولم يمر وقت طويل حتى كان الطيارون قد اعتادوا التغيير فى « التردد الصوتى » عند تتبع الاشارات التى تدل على أن صاروخا يتعقب طائرتهم ، مما يتيح لهم الوقت الكافى للمناورة والهرب .

وكما فعل الطيارون الامريكيون فى فيتنام ، فان الاسرائيليين اطلقوا على هذه الظاهرة اسم « اغنية سام » وبعد هذا ، زودت أمريكا اسرائيل بأجهزة جديدة مضادة للصواريخ لم تكن تستطيع فقط كشف وجود الصواريخ ، بل كانت قادرة أيضا على تحويل اتجاه الصواريخ المتجهة الى الطائرات . واضيفت الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ أيضا الى طائرات سكاي هوك التى اشتهر عنها أنها افضل قاذفة تكتيكية فى العالم ، وهى اصغر حجما من افانتون واقل سرعة (سرعتها القصوى ٦٧٥ ميلا فى الساعة) الا أنها تتميز بقدرتها الكبيرة على المناورة .

وبعد أن تحقق للطائرات الاسرائيلية هذا التفوق المتميز على صواريخ سام - ٢ ، أصبحت قادرة على اختراق حدود مصر الى أعماق أكبر . وخلال الشهور الثلاثة الاولى من ١٩٧٠ ، لم تكتف اسرائيل بتدمير الجانب الاكبر من نظام الانذار المبكر المصرى على طول جبهة القناة ، بل ضربت أيضا مواقع الرادار المصرية فى المؤخرة ، مما أدى الى تدمير ثلاثة أرباع نظم الرادار التى تحمي البلاد على الأقل . واعطى هذا الطيارين الاسرائيليين حرية حركة شبه كاملة فى المجال الجوى المصرى . وبالرغم من نقاط الضعف المصرية ، فان الطيارين المصريين واصلوا مهاجمة خط بارليف . ولكن افتقارهم الى نظام جيد للتحكم الأرضى جعل هجماتهم غير فعالة الى حد بعيد فى مواجهة الطائرات

الاسرائيلية التي بدأت تنسلل الى اعماق ابعد داخل مصر لتشن غاراتها انعاما لقصف المدفعية المصرية لخط بارليف .

وعندما رفض الاتحاد السوفيتي مبادرة روجرز للسلام يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٦٩ ، أصبح واضحا للاسرائيليين ان المصريين لن يتفاوضوا من موقف الضعف . وجعلهم هذا يبدأون في الايام الأولى من العام الجديد مرحلة قصف استراتيجي استخدموا خلالها القانتوم في قصف أهداف في وادي النيل والدلتا غرب قناة السويس . وقد صرح موسى ديان آنذاك بأن الغرض من هذا كان اعاقا الاستعدادات المصرية لشن هجوم جديد ، وتخفيف الضغط عن خط بارليف ، واقتناع المصريين بعدم قدرتهم على توفير الحماية لهم . وقد قال متفاخرا : « مصر كلها ميدان قتال لنا » وأضاف : « لن تكون هناك حدود للهجوم على الأهداف العسكرية داخل الجمهورية العربية المتحدة الى ان تحترم القاهرة وقف اطلاق النار » . وبعد هذا ، قالت جولدا مائير رئيسة الوزراء : « اننا لا نقصف العمق حتى نجبره » - أي عبد الناصر - على اقرار السلام . بل نحن نذهب الى العمق لكي نجعله يعرف جيدا هو وشعب مصر انه اما ان يسود الهدوء الجانبين واما يكون قصف على كلا الجانبين » . وقال عبد الناصر في خطابه أمام كبار الضباط السودانيين يوم أول يناير ١٩٧٠ ، انه يعمل على بناء جيش قوامه مليون رجل لسكبج جماع اسرائيل ، وان استراتيجيته تقوم على « تحقيق التفوق الجوي » . وفي نفس اليوم ، وافق الرئيس الليبي العقيد القذافي على مضاعفة مساعدته لمصر من ٣٠ مليون جنيه استرليني الى ٦٠ مليون جنيه استرليني مقابل حصول بلاده على مساعدة خبراء الصناعة والبتروال المصريين . وفي ٣ يناير ، قال عبد الناصر - في حديث لمجلة « أفريكا سبيا » أنه رغم امتلاك القوات الجوية المصرية لعدد كبير من الطائرات فانها تفتقر الى الطيارين المدربين . وادعى انه خلال خمس سنوات (اى ١٩٧٥) سيكون لدى مصر كفايتها من الطيارين وانها ستكون قادرة على « تحطيم تفوق الاسرائيليين » . وفي الرابع من يناير ، وقع اشتباك جوي فوق الجزر الشمالي من القناة ادعى الاسرائيليون أنه أسفر عن اسقاط طائرتين وادعى المصريون أنهم اسقطوا خلاله طائرة اسرائيلية قرب القنطرة . وبدأت يوم ٧ يناير الغارات الاستراتيجية الاولى على المنشآت العسكرية فى العمق المصرية . واستهدفت احدى هذه الغارات اشخاص التي تبعد ٢٥ ميلا الى الجنوب الشرقى من القاهرة ، ووقعت الثانية على دهبور بوادي النيل على بعد ٣٢ ميلا جنوب القاهرة . وكانت الثالثة على التل الكبير التي تبعد ١٥ ميلا شرق القاهرة على الطريق الى الاسماعيلية . ورد المصريون بغارة على رأس سدر على خليج السويس ، وادعوا أنهم دمروا خلالها قاعدة لصواريخ هوك . ولكن الاسرائيليين نفوا هذا ، وادعوا بدورهم أنهم اسقطوا طائرتين مصريتين من طراز (سوخوى - ٧) حاولتا قصف المنشآت الاسرائيلية . وفي ١٣ يناير وقعت غارة جوية اسرائيلية فى العمق استهدفت مستودع الامداد والتموين فى الخانكة على بعد ١٥ ميلا الى الشمال الشرقى من القاهرة . وكانت هذه اقرب عمليات القصف الى العاصمة منذ حرب يونيه .

وقام الاسرائيليون يوم ١٦ يناير بغارات قصف استراتيجية أخرى تركزت أساسا فى منطقة التل الكبير .

ولقدوا خلالها طائرة واحدة اسقطتها نيران الاسلحة المضادة للطائرات واعترف الاسرائيليون بخسارتهم هذه الطائرة قائلين انها الطائرة السادسة عشرة التي اسقطت لهم منذ حرب يونيه على جميع الجبهات وادعوا أنهم فى المقابل اسقطوا اربعا وستين طائرة مصرية . وأصاب الاسرائيليون أيضا موقعا مصرية قرب بير عديب على بعد ٣٠ ميلا جنوبى السويس . وفى الثامن عشر من يناير ، هاجم الاسرائيليون المواقع المصرية على طول القناة ، كما غاروا على معسكر حربي فى الهايكستب على بعد نحو عشرة أميال من مطار القاهرة الدولى ، وكذلك مستودعات للذخيرة فى وادي خوف التي تبعد حوالى اثني عشر ميلا الى الجنوب الشرقى من القاهرة . لقد كانت القنابل ترحف مقتربة من العاصمة .

وفى ٢٢ يناير ، هاجم المظليون الاسرائيليون المحمولون جوا جزيرة شدوان عند مدخل خليج السويس . ورغم أن الموقف بدا ميثوسا منه ، فان أفراد الحامية المصرية - الصغيرة بروحهم المعنوية العالية - رفضوا الاستسلام . واضطرت القوات المهاجمة الى استخدام القوة للتغلب عليهم . وفى نفس الوقت ، أغرقت الطائرات الاسرائيلية زورقين من زوارق الطوربيد على بعد حوالى عشرة أميال جنوبى شدوان .

وادعى الاسرائيليون أنهم قتلوا سبعين مصرية منهم اربعين فى الزورقين وانهم أخذوا ٦٢ أسيرا ، انما كانت خسائرهم ثلاثة قتلى وستة جرحى . ويبدو أن الاسرائيليين كانوا ينوون الاستمرار فى احتلال الجزيرة لمعرفة انه سيصعب على المصريين طردهم . وذكر جون بولوتسن فى عسدد أول فبراير ١٩٧٠ من صحيفة صنداي تلغراف أنه عندما وصلت الى عبد الناصر أنباء عمالية الانزال الاسرائيلية فانه قال للسفير السوفيتى فى مصر انه لم يعد أمامه غير شن هجوم كبير لاستعادة الجزيرة ، الا أن السفير السوفيتى نصحه فى الحاح بعدم اللجوء الى هذا ، لأن ذلك من شأنه أن يدفع بالأزمة الى منطقة الضوء . واستخدم « الخط الساخن » بين واشنطن وموسكو فى تلك الحادثة وضغط الأمريكيون على اسرائيل لتسحب الامر الذى فعلته فى ستة وثلاثين ساعة من احتلال الجزيرة . لكن الاسرائيليين أخذوا معهم الاسرى المصريين وكميات من الاسلحة والذخائر والمعدات ووحدة رادار كاملة بريطانية الصنع من طراز دكا . وبعدها بيومين ، اى فى الرابع والعشرين من يناير ، لقي ١٩ اسرائيليا مصرعهم وأصيب ٤١ آخرين فى ايلات عندما انفجرت سيارة محملة بالغام بركة تم الاستيلاء عليها من شدوان - نتيجة اصطدام عجلتها بسلم الانزال أثناء تفريغهم الزورق المحمل بالالغام والمعدات . وقد ادعى كل من المصريين والفدائيين مسئوليتهم عن هذا الانفجار الذى كان مجرد حادث .

وبدا عبد الناصر يعاني مخاوفًا وقلقًا من الواجهة السياسية - حيث كان يشعر بأنه إذا لم يزوده الاتحاد السوفيتي بأسلحة أكثر تطورًا تعادل تلك التي تمتلكها إسرائيل ، فإنه سيفقد ثقة شعبه . وكان بعض النقاد قد تنبأوا بأنفسهم بسقوط حكومته في الربيع . وفي ٢٢ يناير - أي في الوقت الذي احتل فيه الإسرائيليون جزيرة شيدوان ، طلب عبد الناصر - رغم نصيحة السفير السوفيتي ألا يفعل - الاجتماع بصفة عاجلة بالقادة السوفيت ، وطار في وقت لاحق في نفس اليوم سرا إلى موسكو التي بقي بها أربعة أيام . . . وخلال هذه المفاوضات الصعبة ، أوضح عبد الناصر أن دفاعاته غير كافية على الإطلاق لصد الهجمات الإسرائيلية ، لأن الصواريخ السوفيتية لا تعادل طائرات الفانتوم بطيارها الإسرائيلي وبأسلحة المضادة للصواريخ المزودة بها .

وكشف عبد الناصر عن عدم ثقته عمومًا بالأسلحة السوفيتية عندما طلب امداد بطائرات بعيدة المدى لاستخدامها في قصف المراكز المدنية الإسرائيلية انتقامًا لغارات الإسرائيليين في العمق . وهي السياسة التي أراد اتباعها على الأقل إلى أن يتم تحديث وتقوية دفاعاته الجوية .

ورأت الحكومة السوفيتية أنه من الواجب فعل شيء وأنه من الواجب إعطاء دفعة للروح المعنوية المصرية . لكنها رفضت طلب القاذفات بعيدة المدى ، ووعدت بدلًا من هذا بتقديم أشكال أخرى من المعونة العسكرية . . . وبعد هذا ، قال عبد الناصر في خطابه أمام الاتحاد الاشتراكي المصري يوم ٢٣ يوليو ١٩٧٠ : أن الروس وعدوا بتقديم الوسائل الكفيلة للدفاع عن الأهداف المدنية والاقتصادية في مصر . أن هذه المعونات الضرورية سيبدأ وصولها خلال ثلاثين يومًا وهي قد وصلت بالفعل آخر الأمر ، ولكن ليس بنفس السرعة التي وعد بها السوفييت . وفي أول فبراير نفت السفارة المصرية في موسكو رسميًا أن عبد الناصر قام بعد احتلال الإسرائيليين جزيرة شيدوان بزيارة الاتحاد السوفيتي ليطالب المزيد من الصواريخ وبعض طائرات الميج - ٢٣ . وفي ٢٣ يناير ، قامت الطائرات الإسرائيلية مرة أخرى بقصف معسكرات الجيش في الهايكستب ووادي حوف . وأعلنت إسرائيل يوم ٢٥ يناير أن طائراتها هاجمت وأعطت قطعة بحرية مصرية كانت قد رست عند لسان صخري قرب جزيرة شيدوان . ويبدو أن هذه القطعة كانت تحمل حامية مصرية جديدة أو كانت تقوم بأعمال استطلاعية تهيئ لاستعادة الجزيرة . ولكن المصريون أصروا على أنها كانت مجرد سفينة تجارية . . . ووقعت يوم ٢٦ يناير عدة هجمات جوية إسرائيلية كبيرة على طول جبهة القناة . . . وفي ٢٨ يناير ، شنت إسرائيل غاراتها الثانية عشرة في عمق مصر حيث هاجمت طائرات الفانتوم مخيمًا عسكريًا في المعادي ، التي تعد حيًا سكنيًا ، والتي تبعد خمسة أميال فقط عن قلب القاهرة ، وكان هذا أقرب هجوم من القاهرة منذ الغارات الإسرائيلية ، وكان بمقدور المواطنين المصريين في القاهرة

أن يسمعوا دوى طلقات المدفعية وانفجارات القنابل . وقال المصريون إن الغارة أسفرت عن مصرع ثلاثة مدنيين وإصابة اثني عشر آخرين وتدمير اثني عشر من مباني المنطقة . وفي نفس اليوم أغار الإسرائيليون أيضًا على معسكر الجيش في دهشور . وفي ٣٠ يناير ، اشتبكت الطائرات المصرية العاملة مع الطائرات الإسرائيلية للمرة الأولى منذ يوم ٩ ديسمبر ١٩٦٩ . وشرح الصحفي محمد حسنين هيكل القصف الإسرائيلي لعمق مصر بقوله إن إسرائيل تتبع فيه استراتيجية ذات أهداف ثلاثة ، هي أولاً تشتيت القوات المصرية . ثانيًا : مد نطاق جبهة القتال على طول ٦٢٠ ميلًا حتى حدود السودان وسمعتهم . . .

وجاء في مذكرة كوسيجين أن الاتحاد السوفيتي سوف يرسل أسلحة أخرى لمصر وغيرها من الدول العربية لأن أمريكا أرسلت طائرات الفانتوم إلى إسرائيل . وقد حاول الاتحاد السوفيتي بالفعل إعاقة بيع الطائرات لإسرائيل وفي ٥ فبراير ، أرسل الرئيس نيكسون رده على مذكرة كوسيجين فنفي مسئولية أمريكا عن تصعيد الحرب ، ودعا إلى فرض حظر على إرسال الأسلحة إلى المنطقة ، وحذر من أن أمريكا قد تضطر لبيع أسلحة لإسرائيل لمعادلة أي زيادة في كميات الأسلحة التي يعطيها السوفييت لمصر . ومنذ ذلك الحين تقريبًا ، اتسم الموقف الأمريكي بالصلافة حيث أخذ نيكسون يصر على ضرورة إجراء مفاوضات وإقرار سلام دائم ، لا محدود التوصل إلى تسوية سياسية كما كان الروس يحبذون .

وفي الثاني من فبراير ، ضربت الطائرات المصرية المواقع الإسرائيلية على طول خط بارليف ، وعادت إلى مهاجمتها عدة مرات خلال الأيام التالية . وفي الخامس من فبراير ، كشف الإسرائيليون عن أن الروس كانوا يزودون طائرات الميج - ٢١ المصرية بالقنابل وصواريخ جو / أرض .

وفي ٨ فبراير شن الإسرائيليون غارات أخرى في العمق كان من بين أهدافها معسكرات بالقرب من التل الكبير وفي أسيوط بوادي النيل وفي حلون والقاعدة الجوية في انشاص والمنشآت الموجودة في مينائي العفدقة وسفاجة على البحر الأحمر . وفي معظم الأيام ، دارت معارك عنيدة فوق القناة واعترف الإسرائيليون بأنهم فقدوا في تلك المعارك طائرة وقع طيارها أسيرًا ، إلا أنهم ادعوا إسقاط طائرتين مصريتين . وفي نفس الوقت قال المصريون إنهم دسروا فانتوم وأخرى سكاي هوك .

وفي ١٢ فبراير ، ضربت الطائرات الإسرائيلية مصنعًا في أبو زعبل بعده ١٥ ميلًا شمال شرق القاهرة كان ينتج ٧٥ ألف طن من القوالب الحديدية باستخدام نفايات المعادن . ووقعت الغارة بينما كان في المصنع ألف عامل على وشك بدء العمل في وردية الصباح ، مما أدى إلى مصرع ٦٨ عاملًا وإصابة ٩٨ آخرين . وقد اعترف الإسرائيليون على الفور بأن عملية القصف وقعت خطأ وأن الهدف المقصود كان القاعدة الجوية في الخانكة التي تبعد ميلين عن المصنع . وحذر موشى ديان فور هذا من أن طائرة إسرائيلية قد أسقطت

قنبلة موقوتة مستنفجرة خلال ٢٤ ساعة . وقال فيما بعد ان جهاز الرادار الذي يستخدمه الطيار لتحديد موقع القنابل قد تعطل ، مما اضطر الطيار الاسرائيلي للاعتماد على الرؤية بالعين المجردة لتحديد الهدف فإخطأ الطيار وقد ادعى المصريون أن الاسرائيليين ضربوا المصنع بالنابالم . الأمر الذي نفى ديان حدوثه . وقال الرئيس عبد الناصر بعد هذا (يوم ١٨ مارس) ان مستشاريه كانوا يريدونه ان يأمر بشن غارات جوية مصرية في عمق اسرائيل ولكنه رفض . وقال مرة أخرى انه رغم تساوى عدد الطائرات التي تمتلكها كل من مصر واسرائيل ، فان الاسرائيليين أقوى ثلاث مرات من حيث فعاليتها قواتهم الجوية ، وان لدى اسرائيل من الطيارين ثلاثة أضعاف ما لدى مصر . وفي نفس اليوم (١٢ فبراير) ، ضربت الطائرات الاسرائيلية موقعا للرادار في جبل على بعد نحو ٢٥ ميلا غرب قناة السويس . وبعد الخطأ الذي ارتكب في أبو زعبل ، أوقف الاسرائيليون غارات القصف الاستراتيجية لمدة ثلاثة أيام . وفي الرابع عشر من فبراير ، صدر أمر بالاطلاق الكامل في القاهرة وغيرها من المدن ، بعد أن أدت غارة أبو زعبل الى نقل الحرب بصورة مثيرة مفاجئة الى الجبهة الداخلية المصرية . وفي ١٥ فبراير ، وقال الرئيس عبد الناصر - في حديث لجيمس ريبستون مراسل صحيفة نيويورك تايمز - انه سيلج على الروس ليمدوه بطائرات (ميغ - ٢٣) وبأحدث المعدات الالكترونية لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ، وأنه متردد في طلب طيارين سوفيت ، الا انه قد يفعل هذا اذا واصل الاسرائيليون هجومهم على المراكز الصناعية المصرية . وفي اليوم التالي أعلنت وكالة تاس السوفيتية أن الاتحاد السوفيتي سوف يقدم للدولة العربية ، الدعم اللازم ، لضمان أمنها في مواجهة الهجمات الاسرائيلية . وردت انولايات المتحدة على هذا في ١٧ فبراير بأن كررت وزارة الخارجية في واشنطن ما سبق اعلانه من أن أمريكا تنوى توفير الاسلحة للاسرائيليين بهدف المحافظة على التوازن العسكري في الشرق الاوسط وقالت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية في الكنيست انه اذا احترم المصريون وقف اطلاق النار فسوف تفعل اسرائيل نفس الشيء ، والا فان اسرائيل سوف « تضرب في العمق » .

لقد كان الهدف من غارات القصف الاستراتيجية الاسرائيلية هو اشمار شعب مصر في الداخل بنتائج حرب الاستنزاف التي شنها عبد الناصر . ولكن هذه الغارات أحدثت عكس هذا الى حد ما ، حيث زادت من حب الجماهير لعبد الناصر أكثر من أي وقت مضى لأن الجماهير روعت بقتل المدنيين الأبرياء . . ونتيجة لهذا ، تزايدت المطالبة بالضغط على أمريكا لتوقف امداد اسرائيل بالطائرات . وبحث الاتحاد السوفيتي على تزويد مصر بالمزيد من الطائرات والمعدات الالكترونية الحديثة . وقال الرئيس عبد الناصر أن اسرائيل لا تستطيع الحصول على السلام الا بعد جلائها عن جميع المناطق المحتلة ، بما فيها القدس

وسماحا بمودة اللاجئين الفلسطينيين ، واقامة دولة لمختلف الاجناس ، لا دولة يهودية ، ويتبع هذا عندئذ اعتراف العرب باسرائيل وكفالة حرية الملاحة في قناة السويس . وحذر الرئيس نيكسون - في تقريره الى الكونجرس في ١٨ فبراير - من أن محاولات السيطرة السوفيتية على الشرق الاوسط ستصبح مصدر قلق بالغ . وفي ٢٠ فبراير ، رفض المندوب السوفيتي لدى الأمم المتحدة مقترحات التسوية في الشرق الاوسط التي تقدمت بها أمريكا وبريطانيا وفرنسا . كما رفض الاقتراح الأمريكي ببدء محادثات تستهدف وضع قيود على ارسال الاسلحة للشرق الاوسط . فقد كان الاتحاد السوفيتي يخشى من أن اسرائيل ربما كانت تحاول عن عمد اسقاط عبد الناصر بسبب موقفه المتصلب ازاء التسوية السلمية وأن أمريكا تؤيد اسرائيل في محاولتها هذه .

واستؤنفت غارات اسرائيل في العمق يوم ١٤ فبراير ، وهو اليوم الذي اسقطت فيه المدفعية الاسرائيلية المضادة للطائرات طائرة مصرية من طراز (اس - ٧) فوق القناة ، وادعت اسرائيل أن هذه الطائرة كانت الطائرة رقم ٦٨ التي اسقطت لمصر منذ حرب يونيو . . ووقعت خلال الايام التالية غارات أخرى على موقع الرادار ومواقع الصواريخ والمنشآت العسكرية وفي ١٩ فبراير ، بينما كان المصريون يقصفون المواقع الاسرائيلية على الضفة الشرقية من القناة بالقرب من القنطرة وبالقرب من البحيرات المرة ، اسقطت طائرة اسرائيلية اعترفت اسرائيل بأنها الطائرة التاسعة عشرة التي اسقطت على جميع الجبهات من حرب يونيو . وفي اليوم التالي ، ادعى المصريون أنهم اسقطوا منذ حرب يونيو مائة وأربعين طائرة اسرائيلية ، منها اثنتان « خلال الأربع والعشرين ساعة الماضية » .

وقالت هيئة الاذاعة الكندية يوم ٢٥ فبراير أن الاسرائيليين كانوا يتلقون أربع طائرات فانتوم شهريا حتى يستكملوا الخمسين طائرة المقرر حصولهم عليها قبل يونيو ١٩٧٠ وأن أمريكا سبق أن وافقت على منح اسرائيل خمسا وعشرين طائرة فانتوم أخرى اذا لم يوقف سباق التسلح في المنطقة .

وفي يوم ٢٦ فبراير ، أغار الاسرائيليون على قاعدة لصواريخ سام لا تبعد غير ثلاثة أميال الى الجنوب الغربي من القاهرة وعلى أهداف أخرى في الدلتا . وعندما اندفعت الطائرات المصرية لاعتراض الطائرات الاسرائيلية نشبت عدة معارك عنيفة . وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا ثلاث طائرات ميغ مصرية باستخدام نيران المدافع ، أثناء هجومهم على قاعدة الصواريخ في دخميس على بعد حوالي سبعين ميلا شمالي القاهرة .

واستمر الصراع في الجو خلال شهر مارس ، فلم يكد يوم يمر دون معارك ضارية فوق القناة أو غارات جوية اسرائيلية . ففي أول مارس على سبيل المثال - ادعى المصريون أن اثنين وثلاثين من الجنود والمدنيين لقوا مصرعهم نتيجة غارات جوية اسرائيلية . وفي يوم ٦ مارس ، وعندما ضرب

وفي اليوم التالي ، قامت الطائرات الاسرائيلية بعملية انتقامية اعرفت خلالها كاسحة الغمام سوفيتية الصنع قرب القناة المصرية . وفي ٥ فبراير ايضا ، عبر رجال الكوماندوز المصريون القناة بالقرب من « اللسان » على بعد نحو عشرين ميلا الى الجنوب من بور سعيد . . . وادعوا انهم دسروا دبابتين اسرائيليتين ومركبتين مدرعتين وسيارة جيب اسرائيلية واذك في احرزوا نجاحا في عملية ايلات . وبعض عمليات عبور القناة ، كما تحدثت في بضعة مئات من الجنود المقاتلين المصريين المدربين تدريباً جيداً . . . واظهر اعتراف الاسرائيليين بالمشكلة مدى ما سببته لهم من ضيق . . . واظهر

وقال المصريون يوم ١١ فبراير أن وحدة كوماندوز ، مصرية عسرت القناة والحق بالاسرائيليين خسائر عشرين فردا ، ونفى الاسرائيليون هذا قائلين أن ثلاثة فقط من جنودهم قد اصابوا في العملية . وقبلها يوم ٢٧ يناير ، كان المصريون قد اعلنوا أن رجال الكوماندوز قد تسللوا خلف المواقع الاسرائيلية في سيناء وأغاروا على مواقع اسرائيلية في غزة ، ونفى الاسرائيليون وقوع مثل هذه الغارة . فقد كانت حرب البسلاغات والدعاية ماتزال مستمرة بعنف .

وفي ١٤ مارس ، عبر الاسرائيليون الممر المائي في قوارب من المطاط وشنوا أثناء النهار هجوما على أربعة مواقع مصرية متقدمة احتلوها لفترة قصيرة وخسروا في العملية قتيلين وأربعة جرحى ، بينما ادعوا أنهم قتلوا ثمانية مصريين . ودمرت في العملية بعض المباني ، وأكد الاسرائيليون أن العملية اثبتت قدرة اسرائيل على اقامة رأس جسر على الضفة الغربية للقناة . لكن المصريون ادعوا أن رجال المدفعية المصرية أحبطوا الغارة وأغرقوا عدة قوارب ومنعوا نزول الاسرائيليين الى الشاطئ . . . وفي ٢٢ مارس ، لقي اسرائيليان مصرعهما وأصيب أحد عشر آخرون عندما أصيبت سيارة النقل التي أقلتهم بلغم أرضي على بعض نحو خمسين ميلا الى الجنوب من العريش ، الأمر الذي بين أن رجال الكوماندوز المصريين أو الفدائيين كانوا يتسللون الى صحراء سيناء رغم نفي اسرائيل المتكرر . وفي ٢٦ مارس ، عبر رجال الكوماندوز المصريون القناة قرب الطرف الشمالي لسيناء في وضوح النهار ، ونصبوا كميناً لداورية اسرائيلية فقتلوا ضابطاً واحداً وأصابوا ثلاثة جنود بجراح واستمرت العمليات على هذا المنوال .

وعلى المسرح السياسي ، تردد أن العقيد القذافي سحب يوم ١٥ مارس ١٩٧٠ الكتيبة الليبية القوية المكونة من ٨٠٠ جندي من جبهة القناة . وكانت هذه الكتيبة - التي أرسلها في الأصل الملك ادريس قد ظلت هناك منذ حرب يونيه ١٩٦٧ ، وكان هذا التحرك في الواقع مجرد تغيير سياسي لأفراد الكتيبة وأرسل جنودا ليبية آخرين ليحلوا محل من تم سحبهم . وبعد هذا ، وعلى

أمل بحث شيء من حسن النوايا الى شعور روسيا . أعلن ويليام روجرز وزير الخارجية الأمريكي يوم ٢٣ مارس أن الرئيس نيكسون قرر أن يؤجل مؤقتا النظر في طلب اسرائيل امدادها بخمسين وعشرين طائرة فانتوم و ٨٠ طائرة سكاي هوك اضافية . لكن هذا لم يؤد الى أي رد فعل روسي . بل على العكس من هذا ، افادت الانباء بعدها بثلاثة أيام - يوم ٢٦ مارس - بأنه تم تدعيم الاسطول السوفيتي في البحر المتوسط بحاملتي طائرات هليكوبتر مما جعل عدد قطع الاسطول هناك نحو خمسين قطعة منها حوالي ١٢ غواصة .

واستمرت الغارات الاسرائيلية الاستراتيجية . . . ففي ٨ أبريل ادعى المصريون أن الاسرائيليين قصفوا بقنابلهم مدرسة في قرية بحر البقر التي تبعد حوالي عشرين ميلا غربي القنطرة . وجاء في التقارير الاولى أن ثلاثين طفلا قتلوا وأصيب أكثر من خمسين . ولكن اعيد تصحيح الأرقام ، فأصبح عدد القتلى ٤٦ طفلا بعد وفاة عدد من الجرحى . وفي اليوم التالي ، شاهد الصحفيون جثث الاطفال القتلى ، ولكن لم يسمح لهم بمشاهدة المبنى الذي ادعى الاسرائيليون أنه كان يستخدم لأغراض عسكرية . وعرض ديان على الصحفيين صور مبنى أشبه بقلاع وتوجد في فناءه مركبات عسكرية ، وقال أنه اذا كان جزء منه يستخدم كمدرسة فإن هذا دليل على « عدم احساس اجرامي بالمسئولية » . . . وفي ١٥ أبريل ، أعلن الاسرائيليون أن لديهم « دليلا لا يدحض » على أن المصريين أمضوا خمسة أيام في ازالة آثار الوجود العسكري من المبنى . . . واستؤنفت غارات القصف الاسرائيلية الاستراتيجية يوم ١٣ أبريل حيث ضربت الطائرات الاسرائيلية أهدافا في منطقة حلوان . وفي منتصف أبريل ، قام جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية بزيارة للشرق الأوسط . وفي ١٤ أبريل ، أشار الى خلافات كبيرة في وجهات النظر بين مصر واسرائيل . وفي اليوم التالي تحدث موشي ديان عن السياسات الروسية والأمريكية ، فقال ان اسرائيل ربما تضطر الى خوض القتال من أجل البقاء وحدها اذا تخلى الغرب عنها . وقال ان الروس قد أصبحوا يمثلون مشكلة عسكرية أساسية للاسرائيليين ، حيث أنه اذا لم يقصروا عملهم على تشغيل صواريخ (سام-٣) التي لم تكن أهدافا حيوية للدفاع الاسرائيلي - فلن يمكن تجنب الحرب . . . ومن الواضح أنه كان يشير الى احتمال استخدام طيارين سوفيت ضد اسرائيل ، وأضاف : « اننا سوف نضطر الى تحقيق تعايش مع فكرة وجود الروس في أجواء مصر ، لا أجواء اسرائيل ، وآمل أن نحقق هذا بالفعل » لكن آماله كانت تتسم بمغالاة شديدة في التفاؤل .

وسبق عندما طلب الرئيس عبد الناصر الى الروس امداده بطائرات الميج ٢٣ ان قال أنه اذا لم يحصل على هذه الطائرات فسوف يضطر أما الى ارسال طياريه الذين يفتقرون الى الخبرة لمواجهة الطائرات الاسرائيلية ، بما يعانيه هذا من خسائر فادحة أو الى أن يظل صامتا ليشهد تدمير شبكة صواريخ سام المصرية . وكان رد السوفيت على مطالب عبد الناصر مكونا جزئين

أولهما إرسال صواريخ سام - ٣ التي وصلت الى مصر في مارس والى
استخدمت في الدفاع عن مدن ومطارات معينة وعن سد اسوان . . . ولم يأت
منتصف أبريل الا وكان قد أقيم في مصر أكثر من عشرين من بطاريات الصواريخ
في مصر يديرها أفراد سوفيت ، الامر لذى حد بصفة متزايدة من حصرية
اسرائيل في الحركة في المجال الجوي المصري . فلم يكن بمقدور الاسرائيليين
أن يخاطروا بأن يحدثوا عمدا خسائر بين الافراد السوفيتية ، لأنفسهم لم
يكونوا يعرفون بالتحديد كيف يمكن أن يكون رد فعل الحكومة السوفيتية في
مثل هذه الحالة وكان الجزء الثاني من انترد السوفيتي هو ارسال طائرات
(ميج - ٢١ ج) جديدة وصلت الى مصر في اوائل أبريل ومعها طائرات
وملاحون أرضيون سوفيت . ووضعت هذه الطائرات في قواعد جوية خاصة
كانت خاضعة بالكامل للسيطرة السوفيتية . وكانت طائرة الميج - ٢١
عبارة عن ميج - ٢١ معدلة تحمل أجهزة رادار أفضل ، وأجهزة أكثر فعالية
للتحكم في اطلاق النيران وتستطيع حمل خزانات اصصافية للوقود في
اجنحتها ، الامر الذي يعطيها مدى كافيا للضرب داخل اسرائيل . وسرعان
ما وصل عدد طائرات (الميج - ٢١ ج) التي يقوم بتشغيلها طيارون سوفيت
في مصر الى حوالي مائة وخمسين طائرة . وفي منتصف أبريل ، كانت هذه
الطائرات قد تحملت مسئولية الدفاع عن وادي النيل والدلتا ، مما أدى على
الفور الى انتهاء مرحلة القصف الاستراتيجي الاسرائيلي في العمق . فكانت
آخر غارة هي التي تمت يوم ١٧ أبريل . فقد أدى هذا التحرك اذن الى حرمان
القوات الجوية الاسرائيلية فجأة من هذا البديل الذي يتمتع بقيمة عالية
للقساية . وقد وصف البريجادير هود قائد القوات الجوية الاسرائيلية
الموقف فيما بعد بأن هناك « قبضة روسية في قفاز مصري » . . .

وكان معنى هذا انه لم يعد ، بمقدور موسى ديان أن يفاخر كما فعل
قبلها في يناير - بأن « مصر كلها هي ميدان قتال لنا » .

٨ - المعركة الالكترونية

« سيكون هذا الصيف مكهربا . . صيفا
الالكترونيا »

موشى ديان

اضطرت اسرائيل لوقف غاراتها الاستراتيجية في العمق بمجرد
ان اتضح أن الطيارين السوفيت قد تولوا مسئولية الدفاع الجوي عن وادي
النيل والدلتا ، وان اطلقا سوفيتية تقوم بتشغيل بطاريات صواريخ
سام - ٣ . وبهذا فرغ الطيارون المصريون لمنطقة القناة ، وتحول تركيز
القوات الجوية المصرية الى خط بارليف . وعلى الأرض ، تزايد أيضا نشاط
المدفعية ، وقتل حوالي ٢٧ - اسرائيليا في شهر أبريل . صحيح ان أكثر
من مائتي سوفيتي ظلوا يقومون بطلعات تدريبية في مصر لأكثر من سنتين
قبلها . . لكن هذه كانت مسألة مختلفة .

واخذت الطائرات المقاتلة المصرية تضرب المواقع الاسرائيلية على الضفة
الشرقية للقناة بصفة مستمرة تقريبا طيلة الفترة من ١٩ الى ٢١ أبريل
وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا طائرتين مصريتين في هذه الممراك . وفي
٢٣ أبريل ، تسلمت الطائرات المصرية عبر سيناء لتضرب مستوطنة
ناحال يام العسكرية الاسرائيلية ، الا أن الاسرائيليين قالوا ان الغارة لم
تسفر عن أية خسائر . شنت الطائرات الاسرائيلية في اليوم التالي هجوما
انتقاميا على المواقع المصرية على الضفة الغربية للقناة . ووقعت اشتباكات
عنيفة بالمدفعية يوم ٢٨ أبريل وذكر الاسرائيليون ان المصريين اطلقوا فيها
ألف قذيفة خلال أربع وعشرين ساعة وشهد يوما ٢٨ - ٢٩ أبريل نشاطا
جويا مكثفا من الجانبين فوق القناة . وادعى الاسرائيليون أنهم اسقطوا وقتها
طائرتين من طراز (س يو - ٧) فوق سيناء .

وقال الرئيس عبد الناصر يوم ٢١ أبريل أن الغارات الاسرائيلية لم
تؤد الا الى تعزيز الوحدة الوطنية للمصريين ، وتقوية اصرارهم على الاستمرار
في القتال حتى النصر . وأضاف (لقد أعدنا بناء قوتنا الدفاعية بالكامل ، ونحن
قادرون على الرد على أي اعتداءات اسرائيلية بهجمات مضادة على نطاق واسع)
.. وفي ٢٦ أبريل ، عين محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام وزيرا
للارشاد القومي . . وكان من بين مهام منصبه الجديد الرقابة على التليفزيون
والصحافة ووسائل الاعلام المصرية ، بما فيها وكالة انباء الشرق الاوسط . .

واحتفظ هيكلم بمنصبه كرئيس لتحرير الاهرام ، واصبح سلفه فى وزارة الارشاد محمد فايق وزيرا للخارجية . وفى نفس الوقت ، استمرت غارات الكوماندوز عبر القناة . وادعى المصريون يوم ٢٦ ابريل انهم قاموا بعمليتين وادعوا ان العملية الاولى قام بها مائتان من رجال الكوماندوز عند الشط فى القطاع الجنوبى ، حيث ابادوا ٣٥ اسرائيليا . كما دمروا عددا من الدبابات وسيارات النقل ، بينما لم يفتقدوا غير عدد قليل من الجنود المصريين . وادعى الاسرائيليون تكذيبا لهذا ، الا انهم اعترفوا بان خمسة من جنودهم اصيبوا بجراح فى كمين تعرضت له داورية ميكانيكية اسرائيلية . ووقعت الغارة الاخرى قرب البلاح ، لكن الاسرائيليون ادعوا انهم اغرقوا اثنا عشر زوارق كان كل منها يحمل ثمانية جنود مصريين .

واعلن المصريون يوم ٢٩ ابريل ان ستمائة جندي مصرى قد عبروا القناة على جبهة بطول ١٥ ميلا من البلاح والاسماعيلية ، وان الجنود انسحبوا بعد معركة استمرت اثنتى عشرة ساعة قتلوا وجرحوا اثنا عشر « عشرات » من الاسرائيليين ودمروا ٩ دبابات ومركبات بينما كانت خسائرهم ثلاثة جنود مصريين فقط بين قتيل وجريح . وادعى المصريون ان هذه كانت ثانيا ضربة قوية يوجهونها للمواقع الاسرائيلية خلال اسبوع واحد ، وان الاسرائيليين اضطروا الى استخدام المدرعات لاجبار القوة المصرية على الانسحاب . وعلى الجانب الآخر ، اعلن الاسرائيليون ان ما بين ٤٠ ، ٥٠ جنديا مصرى فقط صمدت الهجوم ، وانهم اغرقوا فى نفس الوقت اربعة قوارب مطاط مصرية كان كل منها يحمل ثمانية جنود . وان شوهت بعد هذا حوالى ٤٦ جثة طافية على سطح القناة . وفى ٣ مايو ، عبر الكوماندوز المصريون خليج السويس واطلقوا صواريخ الكاتيوشا على معسكر اسرائيلى من موقع اتخذوه وسط مخلفات حرب يونيو على بعد حوالى ثمانمائة ياردة من الطور . لكن الاسرائيليين اعلنوا انه لم تلحق بالمعسكرات اية خسائر ومن المؤكد ان الجيش المصرى كان يقاتل بقدر اكبر من الثقة خلال النصف الثانى من ابريل . وجاء فى بيان أصدرته الحكومة الاسرائيلية فى ٢٩ ابريل ان طيارين سوفيت كانوا يقومون بطلعات قتالية من القواعد المصرية ، الا انهم لم يصلوا بعد فى عملياتهم الى منطقة القناة . كما لم يشتبكوا بعد فى معارك مع الطيارين الاسرائيليين . وقال المتحدث عسكرى ان عشرات من الطيارين السوفيت كانوا يقومون بطائرات ميغ - ٢١ بدوريات فى مناطق معينة وبعمليات اعتراضية فى مواجهة الطائرات الاسرائيلية . وذكر المتحدث ايضا ان للمصريين على جبهة القناة ما يقدر ما بين ٨٠٠ ، ٩٠٠ مدفع و ٧٠٠ دبابة . وكان الجنرال بارليف قد قال قبل هذا - يوم ٦ ابريل ان الطيارين

سوفيت يشكلون الحلقة الاخيرة فى نظام صواريخ سام - ٣ المضادة للطائرات وانه اصبح بمقدور المصريين مرة اخرى ان يشنوا اعتداءات على طول القناة نتيجة الدور الذى يلعبه الروس فى اجواء مصر ، واعلن بارليف انه يتولى ضرب بطاريات صواريخ سام - ٣ بالرغم من وجود اطقم روسية فيها ، لا انه اشار الى ان الطيارين الاسرائيليين « سيعاون عدم ضرب بور سعيد او الاسكندرية لوجود سفن سوفيتية فيها » . ووضح الجنرال بارليف ان الطيارين المصريين بدأوا انذ يستخدمون اساليب القصف الفنية السوفيتية ، حيث يعبرون القناة على ارتفاعات منخفضة ، وقبل الوصول الى اهدافهم مباشرة ، يرتفعون بطائراتهم فجأة الى ارتفاع يتراوح بين ١٥٠٠ ، ٢٠٠٠ قدم حتى يكونوا على ارتفاع كاف لالتقاط القنابل على الهدف ، أى باختصار نفس التكتيكات التى استخدمها الاسرائيليون فى ضربتهم الوقائية فى يونيو ١٩٦٧ .

كان خطاب عبد الناصر فى حاوان يوم اول مايو ايدانا بعودة الزعيم الراحل الذى سبق ان اقنع السوفيت بدعم سياسته فى الشرق الاوسط . فقد قال « ان تقيرا قد حدث فقد استعادت قواتنا المسلحة زمام المبادرة بعمليات عسكرية جريئة فى الجو وعلى الارض » ، واضاف ان الطائرات المصرية قد تضرب المدنيين الاسرائيليين وذكر بأنه (لولا المساعدات السوفيتية لكان موسى ديان يجلس فى القاهرة الان » . فقد اصبح بمقدور عبد الناصر انذ - بعد ان صار فى موقف داخلى اقوى كثيرا من ذى قبل - ان يدعم مركزه فى مواجهة تحدى الغدائيين كما اصبح المصريون اكثر استخداما للتخطيط الاستراتيجى وتخطيط العمليات . واعترف عبد الناصر يوم ٤ مايو بان الغارات الاستراتيجية الاسرائيلية فى العمق المصرى كانت قد انتزعت منه زمام المبادرة العسكرية ، واضطرت جيشه الى التفوق فى وضع دفاعى مشيت . لكن قلقا عميقا اصاب الاسرائيليين بسبب ما أسموه « العدوان الروسى الوشيك » كما انهم كانوا يتساءلون عن المدى الذى يمكن ان يذهب اليه الروس . فقد تم بالفعل دفع الحرب بعيدا عن وادى النيل والدلتا الى منطقة القناة ، واصبح نشاط الاسرائيليين محصورا فى منطقة لا تبعد عن القناة اكثر من ٢٥ ميلا . وتنبأ ديان « بصيف الكترونى » تحدث فيه المواجهة بين الطائرات التى تحمل وسائل الكترونية مضادة للصواريخ وبين صواريخ سام - ٢ وسام - ٣ السوفيتية .

وتجدد جو الثقة فى القاهرة فى اوائل مايو ، وعادت الاضواء الى الظهور ليلا فى القاهرة والمدن الاخرى . واستمر العمل فى بناء شبكة صواريخ سام طويلة شهر مايو . ولم ينتصف شهر مايو الا وكان قد تم تنظيم الطيارين السوفيت وتقسيمهم على ٢٤ سرها ماملا اتخذت قواعدها فى اربعة

مطارات قريبة من القاهرة ومطار بنى سويف على بعد حوالي ستين ميلا الى الجنوب من القاهرة . . . وأصبح هؤلاء الطيارون جزءا من النظام الدفاعي المصري بالفعل وتم الربط بينهم وبين بطاريات صواريخ سام - 3 العشرية التي كان يوجد في كل منهما خمسون من العسكريين السوقيت لحمايتها . ولم تكن شبكة صواريخ سام تتضمن صواريخ سام - 3 حتى ذلك الحين . وقال موسى ديان يوم ٩ مايو أن الطيارين السوفيت وصواريخ سام - 3 قد خلقوا موقفا حرجيا ، وكرر مرة أخرى قوله أنه على إسرائيل أن تسعى الى التعايش مع الروس في أجواء مصر ، مما يعد إشارة الى أنه بدأ عاقدا العزم على قبول نطاق الـ ٢٥ ميلا غرب القناة ، وهو المدى الذي يبدأ أن الروس سمحوا به للاسرائيليين ضمنا . وأعلن يوم ١٩ مايو عن تخصيص ٤٣٪ من الميزانية العامة لمصر لأغراض الدفاع ، أي حوالي ٥٥٣ مليون جنيه استرليني (وهي الميزانية التي تم اقرارها رسميا بعد هذا يوم ٩ يونيو) . وقال عبد الناصر في حديث الى صحيفة داي فيلت يوم ٢١ مايو : « أن الطيارين السوفيت العاملين على طائرات القوات الجوية المصرية كان يمكن ان يخوضوا معارك عنيفة ضد الاسرائيليين ، ولكن لم يكن من المعتقد أن هذا قد حدث حتى ذلك الحين . وفي اليوم التالي ، طلب أبا اييان وزير خارجية إسرائيل في مقابله مع الرئيس نيكسون - امداد إسرائيل من الطائرات ولكن قيل له أنه لم يتخذ أي قرار بهذا الشأن .

وفي أوائل مايو ، وبالتحديد يوم ٤ مايو ، أغارت الطائرات المصرية على مشارف العريش . وادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا في هذه الغارة طائرتين مصريتين من طراز اليوش - ٢٨ إلا أن المصريين لم يعترفوا الا بخسارتهم طائرة واحدة . وقد انشغل الاسرائيليون خلال النصف الاول من الشهر بالموقف على حدودهم مع لبنان . ولم يبدأ الهجوم الاسرائيلي على منطقة القناة الا يوم ١٤ مايو . . . وبدأ لمدة يومين أن الهجوم الاسرائيلي لا يقابل الا بمقاومة ضئيلة حيث بدا أن الاسرائيليين تمكنوا من شن هجمات على المواقع القوية على طول القناة لخمس ساعات كاملة في المسرة الواحدة . . . وبدأت الطائرات المصرية في التدخل تدريجيا ، فدارت عدة معارك جوية في المنطقة الواقعة بين القناة وشبكة صواريخ سام . وادعى المصريون يوم ١٦ مايو أنهم أسقطوا طائرتين اسرائيليتين بينما ادعى الاسرائيليون أنهم دمروا خلال يومين خمس طائرات مصرية أسقطت أربع منها . بينما انفجرت الخامسة - وهي من طراز ميج - ٢١ في الجو . وفي ١٩ مايو ، تحسولت الغارات الاسرائيلية عن الدفاعات المتقدمة على القناة الى شبكة الصواريخ لمنع أعمال البناء في الشبكة . وأعلن الاسرائيليون يوم ٢١ مايو أن عدد القتلى منذ حرب يونيو ١٩٦٧ بلغ ٥٤٣ جنديا و ١١٦ مدنيا وأن عدد الجرحى بلغ ١٧٦٣ جنديا و ٦٢٩ مدنيا . وأن القتال البري في منطقة القناة خلال شهر مايو سفر عن مصرع ٤٢ جنديا اسرائيليا واصابة ١٠٦ آخرين ، الأمر الذي يدل على مدى كثافة القتال .

وكان من الواضح أن الجانبين قد أردوا استعراض عضلاتهما بعض الشيء . . . ففي يوم ٥ مايو عرضت إسرائيل على الصحفيين بعض معداتها الحربية الجديدة التي كان من بينها زورقان فرنسيان الصنع مزودين بصواريخ جابريل ، ومدفع مضاد للدبابات عيار ٩٠ مم محمول على عربة نصف جنزير من طراز (أم - ٣) ويمكنه التحرك والدوران ، ودبابة معدنة من طراز باتون مزودة بمدفع عيار ١٠٥ مم ومضاد اليها محرك ديزل أمريكي يعطيها القدرة على التحرك لعشر ساعات متواصلة دون التزود بالوقود وقيل ان هذه الدبابة تعادل الدبابة (تي - ٥٥) السوفيتية الصنع . وعلى الجانب الآخر من القناة ، وفي نفس الاسبوع ، أشرف الروس على مناورات مصرية قام خلالها تشكيل مدرع مصري بشن هجمات عبر عوائق مائية على بحيرة قرب الفيوم جنوب القاهرة ، وترد وقتها أن الروس خرجوا بانطباع طيب للغاية عن المناورات .

وأكدت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية للكنيست يوم ٢٦ مايو أن إسرائيل سبق أن وافقت على قرار نوفمبر . وقالت أنه كان من المفترض أن الاتحاد السوفيتي يرغب في استمرار التوتر ونزاعات الحدود بين العرب واسرائيل ، الا أنه لا يريد حربا شاملة . وأكدت مائير صحة التقديرات القائلة بوجود عشرين قاعدة لصواريخ سام - ٣ في قلب مصر ، وبأن الاتحاد السوفيتي أمد مصر منذ حرب يونيو بستمائة وخمسين دبابة ومائتين وستين طائرة .

وفي ٢٤ مايو التقى الرئيس الليبي العقيد القذافي والرئيس عبد الناصر بالرئيس نيمري في الخرطوم بمناسبة الذكرى الاولى للانقلاب الذي وقع هناك وذلك بهدف وضع سياسة مشتركة في مواجهة إسرائيل ، والتوصل الى اتفاق بزيادة مساهمات الدول العربية . وعند انتهاء المؤتمر يوم ٢٨ مايو ، قال عبد الناصر أن الفضل يرجع للروس في اجبار إسرائيل على وقف غاراتها في عمق مصر . وأعلن أنه أصبح على استعداد الآن لمحاولة التوصل الى حل سلمي (وهو الشيء الذي لم يقله لشهور قبلها) . وأكد على أن الروس سيبقون في الشرق الاوسط الى أن يجلو الاسرائيليون عن الاراضي المحتلة .

وشهد شهر مايو نشاطا في البحر . ففي ١٣ مايو ، غرق قارب صيد اسرائيلي حمولته ٧٠ طنا بعد اصابته بصاروخ أطلق من زورق صواريخ مصري على بعد نحو ١١ ميلا من الساحل الشمالي لسيناء . ولم يشج الا اثنان من أفراد طاقم القارب الاربعة . وفي ١٦ مايو أغرقت الطائرات الاسرائيلية مدمرة مصرية وزورق صواريخ من طراز كوماك قرب رأس بناس على البحر الاحمر . واضطرت الطائرات الاسرائيلية في هذه العملية للطيران مسافة ٦٥٠ ميلا والعودة . واعترف المصريون بفقدان هاتين القطعتين ، وقال الاسرائيليون أن عملهم هذه كانت انتقاما لاغراق قارب الصيد . ولحادث قتل اسرائيلي كان

يعمل في حطام سفينة حينئذ ايلات عندما انفجر فيه لغم كان قد وضعه الضفادع البشرية المصريون .

وهناك حقيقة مثيرة وان لم تكن تلقى تقديرا كبيرا وهي انه بالرغم من ان الاسرائيليين كانوا يستخرجون الملايين من براميل البترول من حقول البترول المصرية في خليج السويس ، فان المصريين لم يحاولوا قصف هذه الحقول . والسبب في هذا بسيط ، وهو ان المصريين لديهم هم الآخرون آبار للبترول اكثر تعرضا للخطر جنوبى خليج السويس وعلى الجانب الغربى منه . لقد كانت مسألة « عش ودع غيرك يعيش » وكان من المثير أيضا ملاحظة ان السفن الاسرائيلية والمصرية كانت تمر بعضها ببعض دون اى اهتمام بى خليج السويس .

وكان رجال الكوماندوز نشطين أيضا . ففي ١٩ مايو أعلن المصريون ان قوة من تسعين رجلا قد عبرت القناة وهاجمت وحدة اسرائيلية قرب الشلوفة في القطاع الجنوبي وألحقت بها خسائر جسيمة ودمرت ثلاث عربات مدرعة . وقال الاسرائيليون ان عدد القوة المصرية كان ١٥ جنديا فقط وأنها اضطرت للانسحاب بعد قتال استمر ثلاث ساعات فقد فيه المصريون سبعة قتلى بينما لم تقع خسائر بين الاسرائيليين . وادعى المصريون أن أكبر نجاح لرجال الكوماندوز يوم ٣٠ مايو عندما قاموا بغارتين في وضع النهار . وكانت الاولى حين نصبت قوة مصرية كمينًا لطاير اسرائيل على بعد حوالى سبعة أميال الى الجنوب من بور فؤاد ، مما أسفر عن « عشرات » القتلى والجرحى من الاسرائيليين وتدمير عدة مركبات مدرعة اسرائيلية . واعترف الاسرائيليون بأن ١٥ جنديا اسرائيليا قتلوا وأصيب ثمانية بجراح وأن هناك اثنين مفقودين . ووقعت الغارة الثانية في القطاع الاوسط . وكانت هناك ادعاءات متضاربة بشأنها هي الاخرى . وادعت صحيفة الاهرام أن هذا « بداية مرحلة جديدة في المواجهة مع اسرائيل » .

ان إعادة بناء شبكة صواريخ سام لتقديم الحماية للمواقع الامامية المصرية التي دمرت في حرب يونيو كانت بصفة عامة انجازا مصرية ، الا أنها لم تحقق تقدما كبيرا ، حيث لم تمثل الا مقاومة ضئيلة غير فعالة للطائرات الاسرائيلية المهاجمة . وكانت معظم التقارير تشير الى أن بطاريات صواريخ سام قد وضعت على مسافة عشرة كيلو مترات (حوالى ٦.٢ ميل) من بعضها البعض حتى يكون هناك تداخل في مداها المؤثر . وفي النصف الثانى من مايو فرض الروس رقابة أكثر احكاما ، وأتوا أيضا بوضع بطاريات خاصة بهم لتقوية الدفاعات المصرية .

وكانت تقديرات الاسرائيليين تفيد بأنه فى أول يونيو كان فى مصر نحو ٢٥٠ طيارا سوفيتيا يعملون على طائرات (الميج - ٢١ ج) التي كانت

وضع كل منها فى حظيرة محصنة ، وبما أن الروس نفوا أن لهم طيسارين يعملون فى مصر ، فلم يكن عليهم أى التزام بالاعتراف بحدوث اشتباكات أو بوقوع خسائر لهم ، كما أن الأمريكيين والاسرائيليين كانوا يواجهون نقطة فى غير صالحهم هي وجود الافراد السوفيت فى مصر يؤدون ادوارا دفاعية وذلك باعتبار أن صواريخ سام ينظر اليها بصفة عامة على انها أسلحة دفاعية بالاكيد .

وقد أقيمت خمس بطاريات اضافية من صواريخ سام - ٣ مما رفع عددها فى مصر الى خمس وعشرين بطارية ، وان لم يوضع أى منها حتى ذلك الحين فى منطقة القناة . وتبين فيما بعد أن السبب فى هذا أن الروس لاقوا صعوبة فى ضبطها كما يجب حيث لم يسبق لهم إطلاقها فى ظروف القتال . وكان الاسرائيليون يتمتعون بميزة هي امكان رصد مواقع صواريخ سام - ٣ ورسم - ٢ باستخدام وسائل الاستطلاع الالكترونية . فقد كان من المعتاد وضع صواريخ سام - ٣ فى مبنيين منخفضين مستطيلين يبلغ طولهما اربعين قدما وتوضع بها الصواريخ والحاسبات الالكترونية وأجهزة الرادار وغيرها من المعدات الالكترونية اللازمة . وكان أحد نظم الرادار يتطلب برجاً ارتفاعه ٦٥ قدما ، ومن هنا جاء ما يتردد الان من روايات أنه كان يتم التمويه على وجوده بجعل البرج مثل المسجد .

وقام الاسرائيليون بمحاولتين فى الجو على سبيل التجربة فى وادى النيل ، ولكن فى كل منهما كان الطيارون السوفيت يعترضونهم ، وكانوا يضطرون للانسحاب . فقد أصبح المجال الجوى المصرى فيما يجاوز حدود الخمسة وعشرين ميلا من القناة مغلقا أمامهم . ولهذا عمد الاسرائيليون الى تدمير المواقع القوية التى كان يتم بناؤها فى شبكة سام ، وذلك لعلمهم أن تشغيل عدد كاف منها سيحرم خط بارليف - الذى كان على « مرمى البصر » من هذه المواقع - من الغطاء الجوى ، الامر الذى سيجعله تعرضا للخطر عند وقوع هجوم برمائي عليه . ومنذ ١٨ ابريل ، ركزت الطائرات الاسرائيلية أيضا هجومها على المواقع الامامية المصرية ، ولم يأت أول يونيو الا وكان المصريون قد خفضوا بنسبة كبيرة عدد جنودهم فى منطقة القناة . لكن مدافعهم احتفظت بفعاليتها ، لكن كل زيادة فى القصف المدفعى المصرى كانت تقابلها زيادة فى القصف الجوى الاسرائيلى .

وقد ادعى الاسرائيليون أنهم أسقطوا ثلاث طائرات ميج دون خسائر من جانبهم فى المعركة الجوية التى وقعت فوق القناة يوم ٣ يونيو ، بينما اعترف المصريون بخسارة طائرة واحدة ، بينما ادعوا أنهم أسقطوا طائرتين ميج وأصابوا طائرة ثالثة . وفى ٥ يونيو ، ألغى موقع آخر من مواقع مراقبى الأمم المتحدة ، ليصبح عدد هذه المواقع على الجانب المصرى الى أحد عشر موقعا فقط بعد أن كانت ثمانية عشر موقعا . وأغارت مجموعة من

البحر الأحمر يوم ١٩ يونيو على الحدود المصرية التي تبعد ٢٠ كم فقط
٢٥ ميل عن القناة . في أعرف العرب شبكة صواريخ سام . وكان
أحد جوفع من الشبكة التي هذه الاسرائيليين ضد منتصف يونيو . وكان
من كثره المقاتلات الاسرائيلية على شبكة صواريخ سام . وفي ٢٠ يونيو
الاسرائيليين ذكروا في المصري استروا في بنسلا المواقع والملاحق بغير
معرفة كبرها .

وفي الاسرائيليين هجوم شتتاً على يوم سعيد . وقد بدأت
العمليات يوم ١٨ مايو واستمرت ثمانية أيام شملت حادثة مضادة من القنص
التي كانت خلافاً على حد قول الاسرائيليين - نحو ٤٢٠٠ قنبلة - وانتهت
من ٤ مايو . هناك يوم سعيد تعاقب قصفاً في القناة والسماء القريبة من
البحر . قنبلة بالصاروخ الى القبة لضم ممتلكات السور على الطريق
التي يمر على يوم سعيد ممتلكات البلاد والتي يبلغ عرضه ١٥٠ ياردة
وقد بدأ في القنص في نتيجة القصف . وكان السبب في عدم
الهجوم هو شغل الاسرائيليين في القوات والقوات المصرية زوايا
البحر في يوم سعيد لكونه في حيز على الجانب المصري من القناة . في
البحر كانت القوات الاسرائيلية في مصر في منطقة أخرى . وكان
قوات البحر العربية قد تجاوزت قليلاً مضادة من القوات المصرية . كانت
سنة معركة صعبة في امرتين . وفي ١٢ يونيو ، عبرت القنصة من
البحر في الاسرائيلية مضادة من الكوادر وقامت المواقع الحربية
معقاة بطول ميناء . وعلى لشبكة التي كانت هدف الهجوم الجوي الاسرائيلي
من ٢٨ مايو اختبرها نقطة الاطلاق للشوكة التي هجوم مصري
الاسرائيليين لهم قنوا في هذه العملية خمسين مصرياً بينما قتلوا اربعة
في واحدة عشر جرحاً .

أرجح سلطات . هذه الاضرار على جانب القناة شمال الضفة
وجه في بعض الامكن بحرين متتالية لا تصل إليها الا شرايط ضيقة من
البحر . وكانت هناك مكان تنبيه بحرية المسود هو الشرايط الواقع بين
القنطرة والاسماعيلية مسافة عشرين ميلاً . وهو المكان الذي كانت توجد
بطبيعة الحال . في ايام اسرائيلية قنوا . وربما تكون نقطة العبور على بعد
عشرين ميلاً الى الشمال من القنطرة حيث لم يكن الاسرائيليين يسيطرون
على مساحات ضيقة من الارض بسبب المستنقعات . لكن كلا من التوقعين
شكلاهما كبيرة التي كانت على المصري ان يواجهها عند التفكير في القنص .
حدثت تزايد محزنة واسعة النطاق في الحرب .

وفي ١٤ يونيو . قال عبد الناصر ان لمواجهة على جبهة القناة والبحر
حقيقية . وان بعد حرب الاسرائيليين مينا حرب التحريك التي يأمل ان تستمر
فيها الامة العربية جملة . . . وفي اليوم التالي . ذكر الجنرال بارليف ان
سياسة اسرائيل لم تعد قائمة على الاقنص . بل على التسلل المستمر لمواجهة

حرب بالتحرب وازداد الاسرائيليون اختبار رد الفعل السوفيتي . فاعادت
رد كوماندوز اسرائيلية صغيرة محمولة بطائرات الهليكوبتر - يوم ٢٢ يونيو
من مسكر مصري في يرد . واستخدمت الصواريخ في الهجوم . وتقع يرد
في حوالى بعد خمسين ميلاً من خليج السويس وعلى بعد خمسين ميلاً جنوبى
القاهرة . وكانت قريبة من القاعدة الجوية التي كان يديرها السوفيت في
بي سوف . . . ولم تتكرر هذه الغارة .

واعلن وليام روجرز وزير الخارجية الامريكى - يوم ٢٥ يونيو ١٩٧٠ -
مبادرة امريكية لافترار السلام في الشرق الاوسط . الا انه رفض الادلاء بأية
تفاصيل . ورفض مناقشة الدعم الجديد لاسرائيل . وقال روجرز ان الهدف
من مبادرته هو . التوقف عن اطلاق النار وبداه المحادثات . وفي ٢٩ يونيو
حقت جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية من حضر التوصل الى وقف
لاطلاق النار بستمرة لفترة قصيرة . وفي نفس ذلك اليوم (٢٩ يونيو) . طار
عبد الناصر الى موسكو حيث التقى بالرئيس بودجورنى ورئيس الوزراء
كوسيجين اللذين قالوا انهما يؤيدان تسوية ازمة الشرق الاوسط على اساس
قرار نوفمبر .

وكان يوم ٢٠ يونيو ١٩٧٠ يوماً حاسماً للاسرائيليين . ليس فقط
لانهم استنفوا فيه اربع طائرات ميخ - ٢١ يعتقد ان طيارها كانوا من الروس
(وحيث هذا الامر بالنكتم من الجانبين في نفس الوقت) . وانما اكتسب
هذا اليوم صفة الحسم أيضاً من ان الاسرائيليين فقدوا فيه فجأة ثلاث طائرات
في المعركة الجوية التي دارت فوق منطقة القناة . فقد اسقطت طائرتا فاننوم
وطائرة سكي هوك . واحدة بنيران المدفعية المضادة للطائرات وحدها .
والاخرى ان استقطمتها الصواريخ . واسقطت طائرة فاننوم أخرى بصاروخ
من طراز سام - ٢ بعدها ببضعة ايام . وقد كان الطيارون الاسرائيليون
يقترضون ان المعدات الالكترونية المضادة للصواريخ والموجودة بطائراتهم
مستمكن من تحويل اتجاه الصاروخ عند اقترابه من الطائرة . لكن هذا لم
يحدث تلك المرة . واسقطت الطائرات الاسرائيلية بصواريخ من طراز (سام
- ٢) الجديد الذي زود بجهاز رادار للتوجيه الأخير . يقوم بتوجيه
الصاروخ الى هدفه ويتميز بمدى أكبر من الترددات التي لا تستطيع الأجهزة
الالكترونية المضادة للصواريخ التقاطها . وبالرغم من الشائعات والشككات
التي ترددت . فان المصريين لم يقيموا حتى ذلك الحين مواقع لصواريخ سام
- ٢ في منطقة تمتد بعمق خمسة وعشرين ميلاً غرب القناة . وكان المصريون
قد حققوا تفوقاً محدداً . اضطر الاسرائيليون رغم ما يتسمون به من عناد -
الى التوقف بعض الوقت الى أن يمدحهم الأمريكيون بأسلحة مضادة أحدث . . .

وكانت أمريكا تقوم في ذلك الوقت بتطوير جيل جديد من النظم الإلكترونية المصغرة ذات الأداء العالي ، وأرسلت أمريكا إلى الاسرائيليين خلال بضعة ايام نحو مائة من أحدث الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التي كانت مزودة بمضى أكبر من الترددات وباجهزة حساسة اضافية . وكسر هذه الاجهزة المضادة للصواريخ - التي تحملها طائرات القاذورات على أطراف نفس تردد نظم التوجيه وتتبع الهدف الموجود بالصاروخ المهاجم للطائرة (اليها) . وعند تشغيل الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ تتداخل موجات اجهزة التشويش مع تردد موجات الصاروخ المهاجم فيتحرف عن مساره . . . وكان صاروخ سام - ٢ المعدل يحمل ترددات أكثر بكثير مما كانت تحمله الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ التي كان يستخدمها الاسرائيليون ، لكن الاجهزة الاحدث كانت بها ترددات أكثر كثيرا . . . ومن الوسائل التي استخدمت لتلاقي آثار التشويش على الصواريخ أن تقسم اجهزة التوجيه الأرضي بسرعة بتغيير تردد الموجات اللاسلكية التي تبعث بها لنظام الرادار الذي يحمله الصاروخ ، الامر الذي يمكن الصاروخ من الاستمرار في تتبع الطائرة المستهدفة بالرغم من عملية التشويش . وحملت الاجهزة الالكترونية الجديدة المضادة للصواريخ اجهزة حساسة جديدة تمكن الطيار من اكتشاف هذا التغير في الترددات فور حدوثه ، فيستطيع بدوره الاستمرار في التشويش على الصاروخ بتغيير ترددات الاجهزة المضادة التي تحملها الطائرة . وسرعان ما دخل الطيارون ورجال المراقبة الأرضية لعبة التشويش ، والتشويش المضاد ، واقتناص ثانية ليتجنب كل منهما الآخر عن طريق تغيير الترددات . وكانت الاجهزة الاسرائيلية بما تحمله من معدات الكترونية تحوم خلف كل طائرة تشترك في العمليات . وعندما تم فيما بعد اسقاط احد هذه الطائرات ، وصفا عبد الناصر في فرح بأنها « فريسة سمينة » ، فقد بدأت بحق الحرب الالكترونية التي كان يخشاها الى حد بعيد لخوفه من ان يتفوق الامريكيون على الروس في هذا المجال .

وكانت الطائرات الاسرائيلية تغير على شبكة صواريخ سام يوميا ، فكان يتم اطلاق صواريخ سام - ٢ على الطائرات المهاجمة في «تموجات كبيرة» او «تموجات صغيرة» مما يجعل من الصعب على الطائرة أن تناور للهرب من الصواريخ ، لكن الاسرائيليين فقدوا عددا قايلا من الطائرات بالطيران على ارتفاع منخفض وباستخدام مهارتهم الالكترونية . وكان تسلسل الهجوم الجوي هو أن المصريين كانوا ينتظرون الى أن تهاجمهم الطائرات الاسرائيلية فيتم على الفور اطلاق الصواريخ ، ثم تفتح نيران المدفعية المضادة للطائرات عندما تبدأ الطائرات المهاجمة في الطيران على ارتفاعات منخفضة . وكانت

الطائرات المصرية تقف مستعدة أثناء المعركة - في الهواء غالباً - بحيث يمكن من الاندفاع والاستبالك مع الطائرات الاسرائيلية عند محاولتها العودة . . . وعند ذلك كانت جميع نيران المدفعية والصواريخ المصرية تتوقف على الفور . ونتيجة الدفعة المعنوية التي حصلت عليها القوات الجوية المصرية حوالي مائتي طيار مصرى من الاتحاد السوفيتى بعد أن قضوا سنة للتدريب هناك يُعيدوا مشوقين لظهور قيمتهم ، فانها بدأت تظهر روحا عدوانية جديدة . . . وأبدى المصريون مهارة أكبر في المارك الجوية المباشرة فقدوا من الطائرات عدد أقل بكثير مما كانوا يفقدونه من قبل في هذا النوع من المارك مع الاسرائيليين .

وقام الاسرائيليون بمحاولات عنيفة يائسة للقضاء على شبكة صواريخ سام . ورغم أنهم دمروا كثيرا من مواقع الصواريخ ، كان يظهر عدد أكبر من المواقع يحل محل المواقع المدمرة . ومن الغريب أنه بالرغم من عمليات القصف والهجمات الاسرائيلية التي استخدم فيها النابالم ، وصاوا في عتاد اعمال البناء والاصلاح في المنطقة الامامية وشبكة صواريخ سام . وانج الروس منصة متحركة لقاذفات الصواريخ ، مما أتاح امكانية نقلها بسرعة من موقع لآخر أو نقلها من المواقع المعدة لها واخفائها في تلال الرمل . وبدأ المصريون أيضا في تحريك صواريخ سام - ٢ الى الامام أثناء الليل واقامتها دون استعداد سابق ليفاجئوا بها الاسرائيليون عند بدءهم الهجوم اليومي الذي تخصصوا في شنه عند انفجر حيث كانت الشمس التي تبرز من الشرق تعمي عيون المصريين الذين يواجهونها . وكان يتم عادة - ولكن ليس دائما - اكتشاف هذه التحركات السرية عن طريق اجهزة الكشف التي تعمل بالأشعة تحت الحمراء والتي كانت الطائرات الاسرائيلية تحملها في طلعاتها الاستطلاعية الليلية . وقد اعترف الجنرال بارليف بخسائر اسرائيل من الطائرات في الفترة السابقة في مؤتمر صحفي يوم ٦ يوليو . وقال انه تم بين يوم وليلة (٢٩/٣٠ يونيو) اقامة نظام جديد للصواريخ مكون من عشر بطاريات سام - ٢ مع المدفعية لمعاونة المدفعية المضادة للطائرات التي توجه بالرادار ، مكونة « حزاما » او « شبكة » طولها نحو ٤٥ ميلا . وأكد أنه ثبت أن الروس قاموا بالتخطيط والتوجيه والتنفيذ عند اقامة هذه الشبكة . وقال انه تم اكتشاف طائرتي فانتوم ونصب كمين لها بعد الفجر مباشرة . وأعلن بارليف أيضا أن المعركة للسيطرة على الضفة الغربية للقناة بدأت يوم اول يوليو . وخلال الايام القليلة التالية ، تم تدعيم شبكة صواريخ سام لتمتد في قطاع عمق حوالي ١٧ ميلا من القناة ، وكان مركزها على طريق القاهرة الاسماعيلية .

وتحدث ديان هو الآخر عن صاروخ سام - ٢ الجديد ، فقال انه به حاسبا الكترونيا اسرع كفاءة أفضل في مواجهة الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض ، رغم قدرتها على المناورة . وتحدث ديان أيضا على التكثيف الجديد الخاص باطلاق الصواريخ في «تموجات» صغيرة بحيث تطلق بطارية

كاملة من ستة صواريخ في تتابع زمني قصير متكامل ، مما يزيد من صعوبة عملية المراوغة التي يقوم بها الطيار . .

وكانت بطاريات صواريخ سام - ٢ تطلق في فيتنام الشمالية صاروخا واحدا و اثنين في كل مرة ، وكانت تسقط للأمريكيين طائرة واحدة كل ألف طلعة جوية . كذلك فإن المصريين أطلقوا - حتى ٢٠ يونيو - مئات الصواريخ فلم ينجحوا الا في اسقاط طائرة اسرائيلية واحدة من طراز (بايركب) . .

وفي ٢٩ يونيو ، طار عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتي ، وبقي هناك حوالي ثلاثة أسابيع . وفي أول يوليو ، أعلن الرئيس نيكسون أن الموقف في الشرق الأوسط ، شر خصوره من الموقف في جنوب شرق آسيا ، حيث أن هناك احتمال حدوث مواجهة بين القوتين الأعظم ، وقد ان تجنب نشوب حرب يتطلب المحافظة على التوازن بين اسرائيل والدول العربية ، ومن ثم فإن أمريكا مستعجلة على ابقاء هذا التوازن . لكن الضغط على مصر كان ثقيلا حيث كانت القوات الجوية الاسرائيلية تضرب بعنف المدفعية وخطوط الامداد المصرية ، وكانت الروح المعنوية المصرية آخذة في الانخفاض .

وكان هناك اعتراف شبه رسمي بأن المصريين فقدوا على جبهة القناة خلال شهر يونيو ما تراوح بين ألف وخمسمائة وألف شخص .

وفي ١٩ يوليو ، الذي كان اليوم التاسع والخمسين في الهجوم الاسرائيلي على شبكة صواريخ سام ، اعترف الاسرائيليون أن اسيران - الصواريخ اسقطت لهم طائرة فانتوم أخرى ، الا أنهم ادعوا في اليوم التالي اسقاطهم أربع طائرات (ميغ - ٢١) . وبالرغم من الهجوم الاسرائيلي العنيف المتصل ، كان يتم بين يوم وليلة إعادة تشغيل مواقع الصواريخ والرادار التي يلحق بها التدمير أو الاصابة أو كان يتم إعادة توزيعها على مواقع جديدة متفرقة . وبدا أن ثمة امدادات لا تنتهي من الصواريخ وقاذفات الصواريخ وأجهزة الرادار والأجهزة المساعدة وكان المعتقد أنها صارت مسألة كرامة بالنسبة للسوفييت الذين أرادوا اثبات فعالية أسلحتهم في مواجهة انطائرات الاسرائيلية . وكان هناك تكهنات مستمرة حول عدد اروس الموجودين بالفعل مع بطاريات سام والذين كانوا يقومون بتقوية وتوجيه نظم الدفاع الجوي ، كما استمر استخدام تكتيك الموجات الصغيرة في اطلاق الصواريخ خلاصة القول أن الاسرائيليين لم يتمكنوا من تحييد شبكة صواريخ سام ، وأن هذا الصراع اليأس ، الذي ضم العديد من الأسلحة والأسلحة المضادة المتطورة للغاية ، استمر حتى نهاية يوليو وخلال الاسبوع الأول من أغسطس دون توقف تقريبا . ولا بد أن تذكر أيضا أنه بدا أن الاسرائيليين كانوا يحصلون على كميات وفيرة من الذخيرة والأجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ . ومع وجود الطيارين السوفييت في المواقع الخلفية ووجود شبكة صواريخ سام التي يكاد يستحيل تدميرها ، بدا أن البدائل العسكرية المتاحة

امام اسرائيل والتي كان هناك العديد منها قبل ذلك بعام واحد - قد تناقصت حتى أصبحت تنحصر في بلدين ، هما شن حرب شاملة أو الانسحاب من الضفة الشرقية للقناة .

وفي ١٢ يوليو ، كشف جوزيف سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكي عن أن الاتحاد السوفيتي كان يقوم في الفترة السابقة بشحن معدات بر مائية لمصر ، وأن توازن القوى في المنطقة قد تأثر نتيجة تورط سوفييتي بصورة مباشرة أكثر من ذي قبل ، لكنه امتنع عن الاجابة عما اذا كانت أمريكا ستزود اسرائيل بالطائرات التي طلبتها . وقال موسى ديان - في حديثه للكنيست يوم ١٥ يوليو - ان الاتحاد السوفيتي قد زاد من درجة مشاركته في نظام المدافع الجوية المصري . وأكد أن انطيارين السوفييت مستمرون في التحليق في أجواء مصر . وفي ٣١ يوليو ، ترددت أنباء عن ظهور وباء الكوليرا في مصر ووقفت جميع تحركات القوات بين القاهرة والاسكندرية ، حيث تأكد وجود نحو ألف وخمسمائة حالة كوليرا .

وكان الرئيس عبد الناصر قد عاد من الاتحاد السوفيتي يوم ١٧ يوليو بعد أن تم اقناعه بقبول المخاطر التي تحف بتأييده لمبادرة روجرز الثانية للسلام ، الا أن البيان السوفيتي المصري المشترك ذكر أن الحكومتين اتفقا الرأي على أنه لا يمكن اقرار السلام الا بالانسحاب الاسرائيليين من الاراضي المحتلة . وبرغم استمرار تصاعد أصوات المدافع والقنابل دون انقطاع ، فقد كان وقف اطلاق النار على جبهة القناة يقترب بسرعة .

قبل محمود رياض وزير الخارجية المصري مبادرة روجرز من حيث المبدأ وفي اليوم التالي (٢٣ يوليو) ، أعلن عبد الناصر في خطاب أذيع بالراديو والتليفزيون موافقته هو الآخر على المبادرة . وكان مشروع روجرز للسلام يقوم على أساس قرار نوفمبر ، بما في هذا انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة واعتراف العرب باسرائيل كما تضمن وقف اطلاق النار لثلاثة أشهر . ولم يأت قبول اسرائيل للمبادرة بنفس هذه السرعة والسهولة . . فقد تسببت المبادرة في حدوث تصدع وشتاق داخل الحكومة الائتلافية يوم ٢٨ يوليو ، حتى رغم قول ديان أن اسرائيل تتمتع بالقوة الكافية التي تجعلها مستعدة لقبول حلول وسط ، طالما أنها لا تقدم تنازلات تضر بمصالح أمنها القومي . . ووافقت اسرائيل على برنامج روجرز للسلام من حيث المبدأ يوم ٣١ يوليو . ثم قام اسحق رابين السفير الاسرائيلي في واشنطن بتسليم موافقة اسرائيل الرسمية على المبادرة لجوزيف سيسكو يوم ٤ أغسطس . وكانت جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل قد قالت أن اسرائيل ستشارك في المناقشات دون أية شروط مسبقة ، الأمر الذي أدى الى انسحاب ستة من الوزراء من حزب جحال من الحكومة .

وفي اليوم السابق على قبول اسرائيل المبادرة الرسمية (٣ أغسطس) كان يوثان السكرتير العام للأمم المتحدة وويليام روجرز وزير الخارجية

الأمريكي قد أجريا محادثات مع جوناثان يارنغ الذي أعيد للاشتراك في معادشات الشرق الأوسط . وفي أغسطس أعلن مندوبو الدول الأربع الكبرى في الأمم المتحدة موافقة هذه الدول على مهمة يارنغ السلمية . وأصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول في منطقة القناة في اماترة من مساء ٧ أغسطس ١٩٧٠ (بالتوقيت المحلي) ، لكن العمليات العسكرية العنيفة استمرت حتى المحطات الأخيرة . فقد ادعى الإسرائيليون - على سبيل المثال - أن الاسبوع الأخير من الحرب الالكترونية شهد ١٩٤ حادثا ، وكان من المفروض أن يتوقف تماما جميع تحركات الأسلحة والقوات في منطقة تمتد لخمس مائة كيلومتر على جانبي القناة ، حيث وافق كل من الجانبين على عدم الدفع بأسلحة أو قوات إضافية الى هذه المنطقة .

ويقول الإسرائيليون أن خسائرهم أثناء الحرب الالكترونية كانت ٢٤٦ قتيلا وحوالي ٣ آلاف جريح ، لكن هناك بين سجلاتهم العديدة لأرقام الخسائر . وتقديرات الاسرائيليين هي أن خسائر المصريين كانت عشرة آلاف شخص ، منهم ألفا قتيلا . وهم يقولون أن مصر كانت تعاني من مشكلة تهجير ٧٥٠ ألف نسمة . ولم يكن المصريون (حتى ذلك الحين) قد أعلنوا أية أرقام معقولة . ويدعى الإسرائيليون أن مصر فقدت في الفترة من يونيو ١٩٦٧ حتى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ، ١١٠ طائرات ، بينما يعترفون بخسارة ١٦ طائرة اسرائيلية أسقطت انصواريخ ستا منها على الأقل . ولم يكن من الممكن حساب عدد مواقع صواريخ سام التي دمرت نظرا لما كان يتم من عمل جديد في بناء واصلاح المواقع وفي اقامة مواقع زائفة للتصويب ولإلغاء بعض المواقع ، لينطبق نفس الشيء على عدد القذائف التي أطلقت والقنابل التي أسقطت .

وخلال الاسابيع الستة الاخيرة من القتال في ذلك «الصيف الالكتروني» القصير هناك قدر أكبر من التوازن والتعادل بين الجانبين المتحاربين اللذين فقدوا نفس العدد تقريبا من الطائرات (نحو خمس طائرات) .

٩ - لقد جاءت الحرب الالكترونية لكي تستمر

عندما أصبح وقف إطلاق النار ساري المفعول يوم ٧ أغسطس فجاءه وعلى غير توقع بانسبة للبعض ، كان كلا الجانبين على حالة انتوتر والاستعداد لخوض « الجولة الثانية » بعد أن تلقيا أحدث وأكثر الأسلحة والأسلحة المضادة تطورا ، وكان كل منهما واثقا أن النصر سيدين له في هذه الجولة . فقد كان المصريون قد تلقوا صواريخ أكثر تطورا من طراز سام - ٢ وسام - ٣ مع أجهزة الرادار المساعدة لها التي كان كثير منها جديدا تماما ثم تتم بعد تجربته في ميدان المعركة . وكان يتم اقامة مواقع لهذه الصواريخ في المواقع الامامية كما كانت مجموعة أخرى من الطيارين المصريين قد عادوا لتوهم من الاتحاد السوفيتي بعد أن تلقوا تدريباً هناك . كذلك كانت أمريكا قد بعثت لاسرائيل بمائتين على الأقل من الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ من أحدث طراز . وكانت هذه الاجهزة تنبئ نورا في كابينة الطيار لتنبيهه الى أن صاروخا معاديا قد انطلق موجها اليه ، مما يمكن الطيار من التشويش على الصاروخ والمناورة للهرب منه . كما كان الرادار يرسل اتوماتيكيا مجموعة من الاشارات المضادة المضبوطة على الترددات الروسية بهدف التشويش على توجيهات الرادار لاصاروخ .

وبالرغم من أن وقف إطلاق النار أدى الى تأجيل « الجولة الثانية » ، فإن المصريين تجاهلوا حالة « الجمود العسكري » تجاهلا صارخا ، وبدوا على الفور يحركون بطاريات صواريخ سام صوب القناة حتى يحرم « المدى المؤثر » للصاروخ خط بارليف من أي غطاء جوي . وكان هناك ١٦ بطارية عاملة من صواريخ سام في شبكة سام يوم ٧ أغسطس ، منها بطارية واحدة فقط لصواريخ سام - ٣ . وسرعان ما بدا واضحا أن هناك تحركا كبيرا لصواريخ سام في منطقة وقف إطلاق النار . وبالرغم من شكاوى اسرائيل المهتاجة من أن المصريين كانوا يتنقلون الأسلحة الى المنطقة المحرمة ، فقد كانت الأمم المتحدة والولايات المتحدة تأملان في أن يكون كل ما هنالك هو تعديل أو إعادة تنظيم لمواقع بطاريات سام التي كانت موجودة بالفعل في المنطقة .

وبعد خمسة أيام فقط من وقف إطلاق النار ، أي في يوم ١٢ أغسطس تقدمت حكومة اسرائيل الى يوثانت السكرتير العام للأمم المتحدة بشكوى حول الانتهاكات المصرية لوقف إطلاق النار . وفي ٢٣ أغسطس ، قال موسى ديان - في حديثه أمام الكنيست - ان ستا على الأقل من قاذفات صواريخ سام قد نقلت الى منطقة « الجمود العسكري » . وقال ميلفين لسيرد وزير الدفاع الأمريكي يوم ١٦ أغسطس أنه كان من الصعب اثبات صحة الادعاءات الاسرائيلية من عدمه لكن المتحدث باسم وزارة الدفاع الامريكية اعترف يوم

وكان من نتيجة التجاهل الصارخ لوقف إطلاق النار أن استأنفت أمريكا امداداتها العسكرية لإسرائيل . فقد قالت صحيفة نيويورك تايمز يوم ٢٤ أكتوبر أن الولايات المتحدة قد وافقت على أن ترسل لإسرائيل ١٨٠ دبابة من طراز (باتون ام - ٤٨) كجزء من برنامج يتضمن صفقات أسلحة قيمتها خمسمائة مليون دولار . وأكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية يوم ١٥ نوفمبر أن إسرائيل ستحصل على ١٨ طائرة سكاي هوك إضافية ، وأن إسرائيل تلقت حتى ذلك الحين ٨٨ طائرة سكاي هوك و ٧٠ طائرة فانتوم .

ورغم عدم إطلاق النار عبر القناة بصفة عامة ، فقد وقعت حوادث عرضية من الاشتباكات الصغيرة التي كانت تميل للزيادة . وفي ٢٣ نوفمبر على صبيح المثل ، اتهم الإسرائيليون المصريين بالقيام بثلاث طلعات بطائرات سوخوى - ٧ فوق الضفة الشرقية للقناة . وفي أول ديسمبر أغرق قارب داورية تابع للأسطول الإسرائيلي زورقا مصرياً في خليج السويس بدعوى أن الزورق كان يقوم بأعمال المخابرات وبتهريب الحشيش . وفي ٤ ديسمبر ، وقع أول اشتباك مسلح منذ ٧ أغسطس حيث قتل الإسرائيليون جندياً مصرياً كان ضمن داورية عبرت القناة إلى الضفة الشرقية في القطاع الجنوبي ، وفي آخر أيام السنة الالكترونية (١٩٧٠) أعلن المصريون أن قواتهم المسلحة قد انتهت لتوها من تدريبات استمرت سبعة أيام . تم خلالها تمثيل عملية عبور القناة والاندفاع إلى داخل سيناء .

لقد كانت حرب الاستنزاف التي بدأها عبد الناصر آخر حروبه ، وقد أرادها حرباً تقليدية ، إلا أنها خرجت عن مدى سيطرته وتطورت إلى الحرب الالكترونية التي كان يهابها لخشيته أن يتفوق الأمريكيون على الروس في هذا المجال . وقد بدأت مصر حرباً تقليدية غير ناجحة ، ولكن بمجرد تفسير طبيعة الحرب فجأة ١٩٧٠ أصبح عبد الناصر أكثر نجاحاً في الميدان العسكري من أي وقت مضى ، حيث أجبر القوات الجوية الإسرائيلية على الابتعاد عن أجواء مصر وجعل نطاق عملياتها محدوداً بمنطقة القناة . وعند الوصول لهذه النقطة ، أصبح عبد الناصر يستطيع كما قال مفاخرًا أن يفاوض من موقع القوة ، فوافق على وقف إطلاق النار بالرغم من الرفض الذي ساد العالم العربي الذي كان يطالب في صخب باستمرار العمليات العسكرية ضد إسرائيل .

إن كيفية سير « الجولة الثانية » من الحرب لو لم يوقف إطلاق النار مسألة تخضع للتكهن المحض . فبالنظر إلى الثقل الكبير للأسلحة السوفيتية واعداد الأفراد السوفيت الذين كانوا في مصر ، وإذا لم يواصل الأمريكيون ويزيدوا مساعدتهم العسكرية لإسرائيل ، فربما كان الإسرائيليون سيضطرون إلى الانسحاب من خط بارليف الذي كان سيتعرض بعد حرمانه من التغطية الجوية لعمليات قصف ثقيلة من جانب الطائرات والصواريخ والمدفعية . وفي مثل هذه الظروف ، كان سيصبح أمام الإسرائيليون أن يبنوا خطاً على غرار خط ماجينو لتحمل القصف ، وهو يمكن بطبيعة الحال الالتفاف حوله ،

أو أن ينسحبوا إلى داخل سيناء . وكان من شأن هذا أن يكون لدى جنرالات هيئة الأركان سؤال مطروح دائماً عن أفضل موعد للانسحاب إلى جبل بير جفجافة المنحدر ، حيث يمكن التخلي عن استخدام الخطوط الصلبة الحصينة في الدفاع ، مما يجعل بمقدور الإسرائيليون أن يعودوا إلى أسلوب حرب الحركة الذي برعوا فيه . ومن الواضح أنه إذا كانت الجولة الثانية قد وقعت لتورط الأفراد السوفيت فيها بدرجة كبيرة ، ولا يمكن - الاعتراض إلا عن طريق الحرص - والتخمين - تحديد ما إذا كان تورطهم سيؤدي إلى إشعال نيران الحرب العالمية الثالثة أم لا . ويستطيع المرء إلى حد ما القول بأن هذا لم يكن ليحدث حيث لم تكن الحكومة السوفيتية لتذهب إلى هذا المدى بما هو معروف عنها من ذكاء عملي ورغبة في جنى ثمار الحرب لا في خوض الحرب ذاتها .

وعند محاولة الخروج بدروس مستفادة من الحرب ، نجد أنه باستثناء دروس الحرب الالكترونية ، يبدو ألا دروس هناك . وباستثناء استخدام الأسمنت مكان أكياس الرمل بشكل أكثر تحسراً ، فإن المشهد يذكرنا بحرب الخنادق في الحرب العالمية الأولى ، بما كان يضمنه من خطوط دفاعية على جانبي القناة دفعات من طلقات الأسلحة الثقيلة عبر الممر المائي الدولي الضيق . وفيما يتصل بموقف الدفاعات التقليدية في مواجهة غارات الطائرات . وفي المراحل الأولية لهجمات الطائرات لم يزد الأمر كثيراً على ما ظهر أبان الحرب العالمية الثانية . كذلك باستثناء استخدام الإسرائيليون لطائرات الهليكوبتر فإن هجمات الكوماندوز (بما فيها الغارات في العمق) استخدمت فيها مفاهيم تكتيكية ظهرت في الحرب العالمية الثانية . وكانت قناة السويس تفصل بين القوتين البريتين المتحاربتين ، وكانت في معظم الجوانب تشكل عقبة دموية ، وهو نفس الموقف الذي كان قائماً في الفلاندرز منذ نحو خمسين سنة ، ولكن بصورة مصغرة .

لقد كانت السياسة العسكرية المصرية - التي وضعها عبد الناصر بصورة غامضة في الكثير من الأحوال - هي الاعداد لليوم الذي تجتاح فيه القوات المسلحة المصرية خط بارليف ، وتتقدم فيه تشكيلاتها المدرعة عبر سيناء ليتقهقر الإسرائيليون أمامها إلى أن تستولى على تل أبيب وتحتلها ، وهي نفس السياسة التي استمر الرئيس السادات في اتباعها . وخاف حاجز الأمن النسبي الذي شكله الممر المائي ، تمكن عبد الناصر (بمساعدة السوفيت) من إعادة بناء جيشه الذي وصل عدده عند وقف إطلاق النار إلى ٦٥٠ ألف رجل ، وكان يتكون من ثلاث فرق مدرعة وأربع فرق مشاة ميكانيكية وخمس فرق مشاة . وكانت الكفاءة العالية هي سمة الألوية المدفعية المصرية الستة عشر التي كانت مشتركة في عمليات شبه مستمرة . لكن كون معظم المدافع المصرية « مقطورة » وليست على عجلات تجعلها قادرة على الحركة ووضعها في ملاجئ من الأسمنت لحمايتها من الغارات الجوية الإسرائيلية ، كل هذا جعل رجال المدفعية المصريين يواجهون مشكلة عدم القدرة على الحركة

وكان الطرف الحاد الحقيقي ، الحرية ، المصرية الرخوة هو وحدات الكوماندوز
المشروون التي تميزت برجال تلقوا تدريباً جيداً وبشعور بالكفاءة والقدرة على
التضال ، مما جعل هذه الوحدات تحقق من النجاح أكثر بكثير مما اعتد
به الاسرائيليون .

وقد ارتفعت الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية ببطء بعد هزيمة
يونيو ١٩٦٧ . وخلال سنتين من الهزيمة ، وصلت الى مستوى عال بدأت
تتذبذب بعده ارتفاعاً وانخفاضاً بالتناسب مع الموقف السياسي عادة ، ونتيجة
لانعدام النشاط العسكري الموعود . وعادت الروح المعنوية المصرية الى
الارتفاع بصفة عامة خلال ١٩٧٠ . وطيلة هذه الفترة ، كان هناك عنصر
جديد يمثل في الضباط صفاء السن المتعظم لفتول الحرب ، والذي نفذ
صبرهم عندما تزايدت كفاءة وقوة وحداتهم ، تكن الجانب الاساسي من
الجيش انصرى ظل لم يختبر في ميدان القتال . اما شجاعة اولئك الذين
خاضوا غمار الحرب ، مثل رجال المدفعية والمشاة ، فكانت جذيرة بالثناء الى
أقصى حد . وعندما كان الطيارون الاسرائيليون يقومون بمحاولتهم الميانية
١٩٧٠ لتدمير شبكة صواريخ سام ، لم يكن هناك اعتساف صريح بشجاعة
وجلد المصريين (وربما الروس ايضا) الذين كانوا يبعدون على انقور بنساء
مواقع الصواريخ والرادار بين يوم وليلة .

وقد تحدثت الصحافة الاسرائيلية والغربية في استخفاف عن الطيارين
المصريين وعن تقوى الاسرائيليين عليهم مشيرة الى أن المصريين فقدوا مائة
ومشيرة طائرات مقابل ست عشرة طائرة اسرائيلية فقط . لكن هذا لا يحكى
القصة كاملة . فقد ظل الطيارون المصريون لفترة طويلة أقل مستوى من
الطيارين الاسرائيليين من حيث التنظيم والمهارة والخبرة لكن معرفتهم بهذا
لم تمنع كثيرا منهم من مواجهة الاسرائيليين في القتال بغض النظر عن
الظروف غير المواتية أو الخسائر . وقد شاهدنا طيارين مصريين يقومون
بأضرار احتجاجا على عدم السماح لهم بالاقلاع للقتال في الوقت الذي كانت
السياسة المصرية فيه هي التحفظ وعدم المخاطرة بالطائرات . ونتيجة
للموقف الالكتروني خلال الاسابيع الاخيرة من الحرب ، كان هناك قدر اكبر
من التعادل والتوازن بين الطيارين المصريين والطيارين الاسرائيليين حيث
فقد كلا الجانبين نفس العدد من الطائرات تقريبا . لقد كانت هناك تعليقات
كثيرة على المهارة والاقدام والكفاءة التي تتسم بها القوات المسلحة الاسرائيلية
وهي تتمتع بالفعل بمستوى عال من التنظيم لكن الروح المعنوية - لجنود
المشاة بصفة خاصة - كانت تميل الى التقلب خاصة أثناء ادانهم لواجباتهم
في داوريات خط بارليف . فقد كان دور الدفاع الثابت الجديد بالنسبة
لجيش ظل الشكل الوحيد للدفاع بالنسبة له حتى سنة ١٩٦٧ هو العمليات
الهجومية المتحركة ، هذا الدور الاستاتيكي عمل روتيني ممل على افضل
تقدير . وكانت سياسة الاسرائيليين في زمن الحرب هي : أن يدعوا الى
القتال بافضل تشكيلاتهم أولا ، ثم يبدأون تباعا في استخدام الاولوية التي

حصلت على تدريب أقل أو المزودة بمعدات أقل ، كل في الوقت الذي يتطلب
مستواه من الكفاءة . وفي حرب يونيو ١٩٦٧ ، لم تشترك بعض الاولوية
- خاصة من المشاة - في العمليات على الاطلاق ، لكن الاولوية الممتازة شاركت
في كثير من العمليات . وكانت حراسة خط بارليف مهمة التيت على عاتق
المشاة ، وشارك فيها لواءان واحيانا ثلاثة ألوية من المشاة . وكانت التشكيلات
المدعمة الى الخلف على بعد عدة أميال من الغناء مستعدة لصد أي محاولة
للتنزل على شاطئ الغناء . وكذلك كان الحال بالنسبة لرجال المدفعية الذين
كانوا يتقدمون باستخدام مدافعهم المتحركة - ليطلقوا انصار وينسحبوا من
حين لآخر . ومن ثم نجد أنه بينما قد لا يشك المرء في احتفاظ الاولوية المدعمة
بقدرتهم على شن هجوم متحرك وبممنوبياتهم المرتفعة ، وكذلك المظليين الذين
استخدموا اساسا في غارات الكوماندوز . فان المرء ربما يتساءل عن الاثر
الذي خلفته هذه الحرب على رجال المشاة الاسرائيليين الذين يشكلون ما بين
٢٢ ، ٢١ لواء تستطيع اسرائيل جميعها في حالات الطوارئ .

لقد كانت الحرب جوهرها حربا سوفيتية مصرية ، فبينما قدم المصريون
ميدان المعركة ومعظم الموارد والقوة البشرية ، فقد كانت المساهمة السوفيتية
ضخمة ممثلة في الطائرات والصواريخ والأسلحة والغنيين والجنود والطيارين
ورغم أن الدول العربية كانت تطالب في صخب بشن حرب شاملة ضد
اسرائيل وتحت عبد الناصر على التقدم ، فان عددا قليلا منها هو الذي قدم
له أي مساعدة عمالية ، وعددا أقل هو الذي بعث بجنود ليقاتلوا معه .
فليبيا والسودان والجزائر والكويت هي فقط التي أرسلت كتائب من قواتها
الى منطقة قناة السويس . وربما تكون هناك أسباب سياسية جعلت لواء
جيش التحرير الفلسطيني المتمركز في منطقة انقناة يبدو غير نشط .
واحتفظت اسرائيل بميزة أنها تقاتل تحالفا من الدول العربية قلما تنقسم
مترددا يفتقر الى الثقة بين أطرافه .

ونأتي أخيرا الى الجانب الالكتروني من هذه الحرب ، وهو الذي يكسبها
أهميتها في التاريخ ، ويرفعها من هوة العسكرية التقليدية فنقول انه لا خلاف
على أن القوتين الأعظم قد استخدمتا ميدان القتال الصغير في الشرق الاوسط
لاختبار أداء معدتهما الالكتروني في المعركة . فلو أن كلا القوتين امتنعا
عن امداد المتحاربين بالطائرات والأسلحة وكافة المساعدات العسكرية ، لما
كانت الحرب الالكترونية ولما أمكن خوضها . وقد حصل كل من أمريكا
والاتحاد السوفيتي على خبرة وتجربة الكترونية عظيمة الى جانب معلومات
هامة للغاية للبحث ستسهم في تطوير قدراتهما العسكرية ، وهي مكاسب
لم تكونا لتحصل عايبا دون هذه الحرب . والصحف العلمية حافلة بكثير من
المعلومات الالكترونية ذات الطبيعة العسكرية التي تتسم بطبيعة فنية خالصة
تجعل من الصعب نقلها أو شرحها للقارئ العادي . ولكن يبقى - بطبيعة
الحال - كم هائل من المعلومات المحظور نشرها .

وتبقى لي في دراسة الحرب الالكترونية - التي كانت بحق الاولى من نوعها في التاريخ - أربعة استنتاجات . الاول : هو انه في الحرب الالكترونية - كما هو الحال بالنسبة لأي شكل من أشكال الحرب - يعد تطور درجة تعقيد الاسلحة والمعدات حتميا ، وأنه في مقابل كل تقدم الكتروني يحقق ميزة لأحد الجانبين ، سيتم السعي الى تحقيق تقدم مضاد ، سيتم تحقيقه أخسر الأمر . ونحن قد رأينا التطورات المتعاقبة التي حدثت في فعالية الاجهزة الأمريكية الالكترونية المضادة للصواريخ .

الاستنتاج الثاني هو أن الحرب الالكترونية موضوع يتطلب درجة عالية من التخصص ، فيتطلب تدريباً متخصصاً ومهارات خاصة للتوصل الى الأساليب الفنية المطلوبة لإدارة المعركة من تشويش مضاد وخداع ومراوغة ، وهذا يعني ضرورة أن يضاف الى الجيوش عنصر آخر متخصص يزيد من تعقيدها أكثر مما هي .

والاستنتاج الثالث هو أن احزمة أو شبكات الصواريخ لم يعد ينبغي أن تكون ثابتة ، كما كان الحال غالباً عندما كانت المدافع المضادة للطائرات تدافع عن مواقع ثابتة ، بل يمكن لها أن تتحرك الى الامام مما يجعلها (ان لم تتمكن الاجهزة الالكترونية المضادة للصواريخ من تحييدها) قادرة - بمداها المؤثر المائل ، على حرمان العدو الذي تواجهه من الغطاء أو الدمج الجوي . ويمكن أن يكون للتشكيلات الكبيرة احزمة للصواريخ الخاصة بها التي تؤدي مهمة حماية التشكيلات الى جانب المساعدة في الهجوم ، وهذا ممكن حيث يمكن حمل صواريخ سام على مركبات مجنزرة لتوفير حرية الحركة لها . وقد دخل المصريون الى هذه المرحلة . فبعد أن ظلوا يعتمدون على اقامة مواقع ثابتة لقاذفات الصواريخ في شبكة قوية حتى وقف إطلاق النار تقريبا ، بعد هذا مباشرة ، تقدمت ، شبكة صواريخ سام صوب قناة السويس ولم يعد باستطاعة الاسرائيليين أن يفعلوا شيئاً بالنسبة لها .

اما الاستنتاج الرابع فهو أن الالكترونيات لا يمكن حتى الان أن تحل محل الرجال بالكامل فهي - على سبيل المثال - لا تستطيع التفريق بدرجة كافية بين الطائرات الصديقة والطائرات المعادية المرصودة على شاشات الرادار . فالطائرات المصرية كانت تبقى على ارتفاعات عالية ولا تنقض لمهاجمة الطائرات الاسرائيلية الا بعد توقف نظام الصواريخ عن العمل ، وتشغيل أو وقف نظام الصواريخ يتطلب حساب التوقيت بكسور الثانية ، ونظن أن - المصريين - وربما - الاسرائيليين - أيضا لابد قد فقدوا طائرات أسقطتها نيران صواريخهم أو مدفعيتهم المضادة للطائرات ، كما حدث لدول كثيرة من قبل أثناء الحرب .

لقد أحرزت الحرب الالكترونية تقدماً هائلاً في حرب الاستنزاف التي شنها عبد الناصر ، وضمنت لنفسها مكاناً ثابتاً على الخريطة ، وأصبح محتملاً حدوث تطورات جديدة . ولن يمر وقت طويل قبل أن تدخل عصر « الحرب بالالكترونيات » وهي الحرب التي ستقوم فيها طائرات بدون طيارين بمهاجمة نظم صواريخ تعمل اتوماتيكياً ، دون أن يوجد في ميدان المعركة أي فرد . وربما نتطلع الى حرب تكون الخسائر الأساسية فيها من الآلات والمعدات الالكترونية لا الافراد ، حيث قد يقوم بتشغيل الاجهزة الالكترونية المتحاربة فنيون بزيهم التقليدي بوجهون الاجهزة عن بعد بدلاً من الجنود بزيهم العسكري ولا بد للمرء أن ينتهي الى القول بأن استخدام الالكترونيات في الحرب قد جاء ليبقى . وأن درجة اشتراك الالكترونيات لن يحد منها الا حجم الثروة والموارد والقدرة الفنية المتاحة للدول المعنية ، أو قدرتها على اغراء دول أكبر بامدادها بالوسائل العسكرية الالكترونية ، كما هو الحال بالنسبة لمصر واسرائيل .

محاولة ضرب قلب مصر

وهو قد وضع رايه هذا فى غاية الدقة والاحكام . وفى ٢٥ يناير ذكر الرئيس نيكسون أن الأمريكين لن يفرضوا السلام فى الشرق الاوسط ولن يتفاوضوا نيابة عن دول المنطقة ، الا أنهم على استعداد لتقديم المساعدات العسكرية اللازمة لدعم جهود الحكومات الصديقة - مثل حكومة اسرائيل - للدفاع عن سلامة شعوبها . . وطلبت اسرائيل على الفور خمسا وعشرين طائرة فانتوم وثمانين طائرة سكاي هوك أخرى . واثار هذا استجابة روسية فورية . . وفى ٣ فبراير ، بعث كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتى بمذكرة شخصية الى الرئيس نيكسون عرض فيها وجهة النظر السوفيتية التى كانت تبدى أن أمريكا تضمن تفوق اسرائيل ، وأن مصر تكاد تكون دون أى دفاع فى مواجهة الطائرات الاسرائيلية التى تهاجم حسبما تريد وأن أمريكا التى بدأت تصعيد الحرب بامدادها اسرائيل بطائرات الفانتوم المزودة بأسلحة الكترونية مضادة للصواريخ تتطلب أسلحة الكترونية مضادة مماثلة لمواجهةها . . ولم يكن للروس رغبة كبيرة فى أن يبعثوا الى مصر بمعداتهم الالكترونية المتطورة . .

وكان هذا راجعا - فى جانب منه - الى رغبتهم فى ألا يطلع العالم على أسرار هذه المعدات وهو ما كان سيحدث فى حالة استيلاء اسرائيل على أى منها ، كما كان يرجع أيضا الى أنه اذا وضعت هذه المعدات فى أيد غير خبيرة ثم ثبت عدم فعاليتها (كما فى حالة صواريخ سام - ٢ فى فيتنام) فإن هذا من شأنه أن يسئ الى مظهرهم .

ملحق (١)

عام ١٩٦٧

- ٥ - ١٦ يونيو : الحرب العربية - الاسرائيلية الثالثة التى تسمى أيضا حرب الأيام الستة ، والتى هزم فيها الاسرائيليون المصريين واضطروهم للانسحاب حتى قناة السويس .
- ٢٠ يونيو : زيارة رئيس الأركان السوفيتى لمصر .
- ٢١ يونيو : الرئيس السوفيتى يزور مصر .
- ٢٥ يونيو : أول شحنة من الأسلحة السوفيتية تصل الى مصر جوا .
- أول يوليو : رجال الكوماندوز المصريون يحاولون عبور القناة .
- ٣ يوليو : الاسرائيليون يعترفون بوقوع أول عملية تخريبية فى سيناء .
- ٥ يوليو : مصرع ضابطين اسرائيليين بئران مدافع المورتار المصرية .
- ٨ يوليو : القصف المصرى يؤدى الى مصرع ٥ اسرائيليين واصابة ٣١ آخرين .
- ١٢ يوليو : الاسرائيليون يغرقون زورق طورييد مصريين .
- ١٤ يوليو : أول قصف للمدفعية المصرية الثقيلة عبر القناة .
- ٣٠ أغسطس : بدء مؤتمر الخرطوم (الذى استمر حتى ٣ سبتمبر) .
- ١٤ سبتمبر : انتحار المشير عبد الحكيم عامر .
- ٢١ أكتوبر : المصريون يغرقون المدمرة الاسرائيلية (ايلات) .
- ٢٤ أكتوبر : تدمير معملين لتكرير البترول فى سيناء السويس نتيجة القصف الاسرائيلى بالمدفعية الثقيلة ومدافع المورتار .
- ٢٢ نوفمبر : الامم المتحدة تصدر قرار نوفمبر رقم ٢٤٢ .
- ٢٣ نوفمبر : خطاب نازى لعبد الناصر .
- ٣ ديسمبر : تعيين الجنرال بارليف قائدا لأركان الجيش الاسرائيلى .

عام ١٩٦٨

- فبراير : الاضطرابات الطلابية في القاهرة وحلوان .
- يوليو : سفر عبد الناصر الى موسكو ليطالب المزيد من الاسلحة .
- أكتوبر : الاسرائيليون يبدأون في تحصين خط بارليف .
- ٨ أكتوبر : اسرائيل تتقدم بمشروع سلام للأمم المتحدة .
- ٢٦ أكتوبر : « عملية معر متلا » المصرية ، التي كانت أقوى عملية قصف حتى ذلك الوقت .
- ٣٠ أكتوبر : غارة نجع حمادى التي كانت أول عملية لرجال الكوماندوز الاسرائيليين في عمق مصر .
- نوفمبر : اضطرابات طلابية في مصر .
- ١٦ نوفمبر : انشاء مجلس الدفاع القومى فى مصر .
- ٢٨ ديسمبر : الكوماندوز الاسرائيليون يغرون على مطار بيروت .

عام ١٩٦٩

- ٤ فبراير : تعيين ياسر عرفات رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية .
- ٢٤- فبراير : اعلان حالة الطوارئ فى مصر .
- ٢٦ فبراير : وفاة ليفى اشكول رئيس الوزراء الاسرائيلى .
- ٢٧ فبراير : عبد الناصر يزور القوات المصرية فى منطقة القناة .
- ٦ مارس : تعيين جولدا مائير رئيسة لوزراء اسرائيل .
- ٩ مارس : مصرع الفريق عبد المنعم رياض بقذيفة اسرائيلية على جبهة القناة فرض الاظلام الكامل فى مصر .
- صاروخ سام - ٢ يسقط طائرة اسرائيلية (بايبركب) .
- ٢٧ مارس : عبد الناصر يعلن بدء حرب الاستنزاف فى خطابه بالاتحاد الاشتراكي العربى .
- ٢٩ مارس : الغارة الانتقامية الاسرائيلية الثانية على الصعيد .
- ٢٤ مايو : صاروخ هوك اسرائيلي يسقط طائرة ميج - ٢١ مصرية للمرة الاولى .
- ٢٩ يونيو : ثالث غارة لقوات الكوماندوز الاسرائيلية على الصعيد .

اول يوليو : جولدا مائير رئيسة الوزراء الاسرائيلية توجه تهديدات مستمدة من التوراة .

- ٧ يوليو : يوثانت يتحدث عن « الحرب العلنية على طول القناة »
- ١٩ يوليو : الاسرائيليون يغرون على الجزيرة الخضراء .
- ٢٠ يوليو : أول غارات مصرية على المناطق التي تحتلها اسرائيل ، وأول معارك جوية هناك . واستمر هذا التحدى المصيرى للقوات الجوية الاسرائيلية اسبوعين .
- ٢٧ يوليو : مصرع المراقب السويدي عضو مجموعة المراقبين التابعين للأمم المتحدة .
- ٩ سبتمبر : الاسرائيليون يشنون « حرب الساعات العشر » .
- مصرع احد كبار المستشارين العسكريين السوفيت .
- ١١ سبتمبر : ١٠٢ طائرة مصرية تغير على سيناء .
- سبتمبر : القوات الجوية الاسرائيلية تقصف مواقع صواريخ سام ومواقع الرادار .
- ٢٨ أكتوبر : روجرز يتقدم بمبادرته للسلام (وتم الاعلان عنها يوم ٩ ديسمبر) .
- أكتوبر : القوات الجوية الاسرائيلية تبدأ تدمير نظم الانذار المبكر المصرية .
- ٨ نوفمبر : غارة بحرية مصرية على رمانة .
- ٦ ديسمبر : تبادل الاسرى ٢ اسرائيليان مقابل ٥٨ مصرية .
- ١٨ ديسمبر : وزير الحربية المصرية يزور موسكو ليطالب المزيد من الاسلحة .
- ٢٢ ديسمبر : اسرائيل ترفض مبادرة روجرز .
- ٢٣ ديسمبر : الاتحاد السوفيتى يرفض مبادرة روجرز .
- ٢٥ ديسمبر : خمس زوارق حربية فرنسية الصنع يهرب بها افراد اسرائيليون من ميناء شبربورج « ووصلت الزوارق الى اسرائيل يوم ٣١ ديسمبر »
- ٢٧ ديسمبر : رجال الكوماندوز الاسرائيليون يغرون على رأس غارب ويستولون على جهاز رادار سوفيتى جديد من طراز (بى - ١٢) .

- ٧ يناير : أول غارة اسرائيلية فى عمق مصر .
- ٢٢ يناير : الاسرائيليون يغربون على جزيرة شدوان .
- زيارة عبد الناصر لموسكو لطلب أسلحة أكثر تطورا .
- ٥ فبراير : الضفادع البشرية المصريون يدمرون سفينتين اسرائيليتين فى ميناء ايلات .
- ٦ فبراير : الطائرات الاسرائيلية تغرق سفينة مصرية لزراع الانعام .
- ١٢ فبراير : الاسرائيليون يقصفون مصنعا فى (أبو زعبل) .
- ١٤ مارس : الكوماندوز الاسرائيليون يهبطون على الضفة الغربية للقناة .
- ١٨ مارس : انباء عن صواريخ سام - ٣ لمصر .
- ٢٣ مارس : الاسرائيليون يبدأون مهاجمة شبكة سام من الجو .
- آخر مارس : انباء عن وصول طائرات (ميغ - ٢١ ج) السوفيتية الجديدة الى مصر ومعها طيارون سوفيت .
- أوائل أبريل : الطيارون السوفيت يقومون بطلعات دفاعية فوق وادى النيل
- ٨ أبريل : الاسرائيليون يقصفون مدرسة مصرية .
- ١٣ أبريل : آخر غارة اسرائيلية فى العمق المصرى .
- مايو : المصريون يبنون شبكة جديدة من صواريخ سام .
- أول مايو : خطاب لعبد العناصر يؤذن بعودته كزعيم واثق بنفسه .
- ٣ مايو : رجال الكوماندوز المصريون يطلقون الصواريخ على منطقة الطور التى تحتلها اسرائيل .
- ٤ مايو : الطائرات المصرية تغير على العريش .
- ١٣ مايو : المصريون يفرقون قارب صيد مصرية .
- ١٦ مايو : الطائرات الاسرائيلية تغرق مدمرة مصرية وزورق صواريخ من طراز كومانر .
- ١٩ مايو : غارة للكوماندوز المصريين عبر القناة .
- ٢٨ مايو : بدء هجمات جوية اسرائيلية على بور سعيد استمرت ثمانية ايام .
- ٢٥ يونيو : وزير الخارجية الامريكى روجرز يعلن مبادرته الثانية للسلام .
- ٢٩ يونيو : عبد الناصر يطير الى موسكو . (وظل بها حتى ١٧ يوليو) .
- ٢٩ - ٣٠ يونيو : صواريخ سام - ٢ المدلة تتحرك صوب القناة - الاسرائيليون يفقدون فجأة ثلاث طائرات .

- ١٩ يوليو : صواريخ سام تسقط طائرة اسرائيلية رابعة .
- ٢٣ يوليو : عبد الناصر يقبل مبادرة روجرز للسلام .
- ٤ أغسطس : اسرائيل تقبل مبادرة روجرز للسلام .
- ٥ أغسطس : الدول الاربعة الكبرى بالامم المتحدة تقر مهمة يارنج للسلام .
- ٧ أغسطس : وقف اطلاق النار عبر القناة على « وقف العمليات العسكرية » فى منطقة تمتد خمسين كيلو مترا على جانبي القناة .

ملحق (ب)

قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الصادر

في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧

مجلس الأمن :

إذ يعبر عن قلقه المستمر إزاء الموقف الخطير في الشرق الأوسط ، وإذ يؤكد على عدم جواز حيازة الأراضي عن طريق الحرب ، وعلى الحاجة للعمل لإقرار سلام عادل ودائم تستطيع في ظل جميع دول المنطقة أن تتمتع بالأمن ، وإذ يؤكد مرة أخرى على أن جميع الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة قد التزمت بالعمل بمقتضى المادة الثانية من الميثاق ، يقرر :

مادة ١ - يؤكد المجلس على أن تطبيق مبادئ الميثاق يتطلب إقرار سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط على أن يتضمن هذا السلام تطبيق المبادئ التالية :

أولا : انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من أراضى احتلت خلال النزاع الأخير ..

ثانيا : إنهاء حالة الحرب ، واحترام ، والاعتراف بسيادة وتكامل أراضى جميع دول المنطقة واستقلالها السياسى وحقوقها في العيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها دون تعرض للتهديدات أو أعمال العنف .

مادة ٢ - يؤكد المجلس من جديد على ضرورة :

(أ) ضمان حرية الملاحة في المجارى المائية في المنطقة .

(ب) التوصل إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ..

(ج) ضمان عدم إمكان انتهاك أراضى جميع دول المنطقة واستقلالها السياسى عن طريق اجراءات من بينها إقامة مناطق منزوعة السلاح .

مادة ٣ - يطلب المجلس إلى السكرتير العام تعيين ممثل خاص يتوجه إلى الشرق الأوسط البدء والاستمرار في الاتصالات مع الدول المعنية بهدف التوصل إلى اتفاق ومساعدة الجهود التي تستهدف التوصل إلى تسوية سلمية ومقبولة وفق مواد ومبادئ هذا القرار ..

مادة ٤ - يطلب المجلس إلى السكرتير العام أن يقدم في أسرع وقت ممكن تقريرا إلى مجلس الأمن عن مدى تقدم جهود - الممثل الخاص -

فهرس

٢	شكر وعرفان
٥	مقدمة
٩	١ - كتب البقاء للرئيس عبد الناصر
٢٣	٢ - الاستعداد العسكري
٢٧	٣ - البحث عن الأسلحة
٤٧	٤ - حرب الاستنزاف
٥٨	٥ - الصراع الجوي
٧٤	٦ - تدخلات القوة الجوية
٩٣	٧ - الطبيعة الالكترونية للحرب
١٠٥	٨ - المعركة الالكترونية
١١٩	٩ - لقد جاءت الحرب الالكترونية لكي تستمر
١٢٨	محاولة ضرب قلب مصر
١٢٩	ملحق (أ) عام ١٩٦٧
١٣٠	عام ١٩٦٨
١٣٠	عام ١٩٦٩
١٣٤	ملحق (ب) قرار مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة الصادر في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧

